

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة
المكرمة
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
العربية
فرع الأدب

(... ، ٢٤٩هـ - ... ، ٨٦٣م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الطالبة

أهل رحيان معيوف الفثامي

الرقم الجامعي : ٤٢٤٨٠١١٨

إشراف الأستاذ الدكتور

حسن محمد باجودة

العام الدراسي ١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ملخص رسالة

" الوصف في شعر علي بن الجهم ٠٠٠ ، ٢٤٩ هـ - ٠٠٠ ، ٨٦٣ م "

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا وحبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ... وبعد:

يتناول هذا البحث <الوصف في شعر علي بن الجهم> دراسة شعر علي بن الجهم في الوصف ، والذي يعتبر من أقوى مظاهر شاعريته ، وأدلهة على قوة ملاحظته ، وذلك لاستجلاء أهم الخصائص الفنيّة التي يتّسم بها شعره . وقد تناولت في مقدّمة البحث الحديث عن أهمّيته والأسباب التي حدثت بي إلى التفكير فيه واختياره ، والدراسات السابقة له ، وخطة البحث ومنهجه .

وفي التمهيد تحدثت عن نسب الشاعر وحياته وشاعريته ، والإشارة إلى ديوانه ، وما تمّ بشأن تحقيقه ، وما توصلت إليه من شعر غير موجود في الديوان ، بالإضافة إلى حديث موجز عن الوصف في الشعر العباسي .

وفي الفصل الأوّل: <موضوعات شعر الوصف> تناولت بالدراسة أبيات الشاعر في وصف الإنسان ، والحيوان ، والطبيعة ، والحضارة ، والشعر والأدب . وقد اتبعت في هذا الفصل المنهج الوصفي التقريري .

وفي الفصل الثاني: <الخصائص الفنيّة> تناولت مُعجم الشاعر الشعريّ ، وبناءه اللغويّ للأبيات ، وصوره الفنيّة وموسيقى شعره الخارجيّة والداخليّة . وقد اتّبع في هذا الفصل المنهج الوصفي التحليلي . وأخيراً أنهيت بحثي بخاتمة تتناول أهم نتائجه .

المشرف:

د. حسن محمد باجودة

الطالبة:

الاسم: أمل رحيان معيوف القثامي

التوقيع:

A Summary of The Thesis

"Depiction in The Poetry of Ali Ben Al-Jahm (..., 249 AH - ... , 863AD)

Praise be to mighty Allah the Lord of universe, and pray and peace be to his messenger Mohammed and his family and followers to the day of judgment.

This thesis "The Depiction in The Poetry of Ali Bin Al-Jahm" deals with studying of his poetic description, which is considered one of his strongest aspect in his poetics and his great ability of sharp observation, and which leads us to the most important artistic peculiarities in his poetry.

In the introduction, I've tackled the importance of this poet and the reasons which lead me to him, and the former studies about him. And also the plot and the approach of this research.

In the preface, I've broached the author's ancestry, life and potency. Also I've pointed out to his diwan and its inquiry and I've revealed some poems were not included in his diwan. Further more, I've outlined the art of depiction in the Abbasi era.

In the first chapter "Topics of The Depiction Poetry", I've studied the verses of the poet which described human being, animal, nature, culture, poetry and literature by sticking to the rule of "Definitive Descriptive Approach".

In the second chapter "Artistic Characteristics", I've studied the poetic lexicon of the poet, his linguistic structure, his artistic images, and the external and internal music of his poetry by following the rule of "Analytic Descriptive Approach".

Finally, in the conclusion, I've pointed out the outcome of this research.

Researcher:

Supervisor:

Name: Amal Rjayan Ma'youf Al-Gethamee

Dr. Hasan Mohammad Bajoudah

Signature:

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لساناً ، وأوفاهم بياناً ، وعلى آله وصحبه الأطهار الأبرار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد ...

شهد العصر العباسيّ انتعاشاً اقتصادياً ، وارتقاءً اجتماعياً ، وسمواً حضارياً ، وتنوعاً ثقافياً ، وعموماً ترفيهاً ، أدى كل ذلك إلى نهضة الأدب العربي بعامته ، والشعر بخاصة ؛ ومن أمارات ذلك الشعر ظهور كوكبة هائلة من الشعراء تمتعت بطاقات شعرية عاتية ، ومواهب فنيّة خارقة ، من هؤلاء الشعراء عليّ بن الجهم . ولما قرأت ديوان هذا الشاعر أعجبت به ، ورغبت في دراسته للأسباب التالية:

١- شاعرية علي بن الجهم الفتّة ، فهو شاعرٌ مجيدٌ ، يتمتع بموهبة شعرية فياضة ، وطاقة أدبية متّقدة ، وقد كان مشاركاً في أحداث عصره ، معاصراً للأساطين الشعراء من أمثال : أبي تمام ، والبحتري ، والحسين بن الضحّاك . وديوانه نفيسٌ زاخراً بالألفاظ اللالآة ، والأساليب البراقة ، والجمل الناصعة ، والحكم الرشيدة ، والأغراض المتعدّدة ، والتي تشهد بها عدة قصائد له ، منها : قصيدته البارعة في الحبس ، والتي لم يُقلّ مثلها ، ومطلعها قوله :

قالت حبست فقلت ليس بضائر
حبسي وأيُّ مهتدٍ لا يُعمدُ

وكذلك قصيدته الرصافية ، ومطلعها قوله :

عيونُ المها بين الرّصافة جَبْنُ الهوى من حيثُ أدري ولا
والجسر أدري

٢- أن شعره في الوصف فيه براعة ودقة ، فهو يصور الموصوف كأنك تراه .

وقد وجدت بعض الدراسات السابقة والتي تناولت دراستنا منها حياة الشاعر وشعره، وأخريين تناولتا شعره؛ علماً بأن شعره في الوصف لم يسبق له دراسة مستقلة، وهذه الدراسات هي :

١- دراسة للمؤلف عبد الرحمن رأفت الباشا ، عنوانها : (علي بن الجهم - حياته وشعره) .

٢- رسالة للمؤلف حسن محمد نور الدين ، عنوانها : (علي بن الجهم - حياته وأغراضه الشعرية) .

والدراستان اللتان تناولتا شعره هما :

١- دراسة للدكتور مجاهد مصطفى بهجت ، عنوانها : (الروح الإسلامية في شعر علي ابن الجهم) .

٢- رسالة ماجستير مُقدّمة من الطالب مالك بن حسين الدسوقي النعيري لجامعة الأزهر بمصر ، وهي بحثٌ بلاغيٌّ عنوانها : (تشبيهات علي بن الجهم) .

وقد جاءت خطة البحث في فصلين يسبقهما مقدمة وتمهيد ويتلوها خاتمة ، ثم فهرس للمصادر والمراجع ، وفهرس للموضوعات .

تحدثت في مقدمة البحث عن أهميته ودوافع التفكير فيه والدراسات السابقة له .

وفي التمهيد عرضت لنسب الشاعر وحياته وشاعريته وديوانه وفنّ الوصف في الشعر العباسي .

وتناولت في الفصل الأول <موضوعات شعر الوصف> المباحث التالية :

المبحث الأول: البعد الإنساني الحسيّ والمعنويّ والوجدانيّ .

شمل الوصف الحسي والمعنوي عدة نقاط هي:

أ / وصف الخلفاء ؛ حيث وصف الشاعر جمال وأخلاق كلّ من الخليفة الواثق والمعتمد والمتوكل .

ب / وصف المعارك الحربية ؛ حيث وصف الشاعر معركة فتح أرمينية بقيادة بعا ، ومعركة بأرض خُساف .

ج / وصف الشيب ؛ وفي وصف الشاعر للشيب نشعر بمدى فخر الشاعر به إذا لم يكن على جهل ، وإيمانه القوي بأن الدنيا ليست بدار قرار ، بل هي دار تزوّد بالأعمال الصالحة لدار الآخرة .

د / وصف البخيل والغريب ؛ حيث وصفها الشاعر في مقطوعتين جميلتين

وشمل كذلك الوصف الوجداني عدة نقاط أيضاً هي :

أ / وصف الشاعر إحساسه بالسجن .

ب / وصف الشاعر إحساسه بالصلب .

ج / وصف الشاعر إحساسه بألم الجوى .

د / وصف الشاعر إحساسه بالغربة .

المبحث الثاني : البعد الحيواني

وفي هذا المبحث نلحظ حرص الشاعر على وصف الحيوان وإبراز خلقته ومظاهر قوته ونشاطه فوصف الشاعر الإبل والحية والجواد وكلاب الصيد والطائر الجارح ، وذلك في مقطوعات جميلة .

المبحث الثالث : الطبيعة والحضارة

فقد اهتم علي بن الجهم بوصف الطبيعة حوله ، وكان من أكثر مظاهرها وصفاً لديه

الورد ، فهو يبث فيه الحياة ويملاً نفسه بحب الجمال، ووصف الشاعر الليل وقد عني في تصويره له بناحيتين مهمتين هما التشخيص الدقيق والعناية باللون . ووصف كذلك السحابة ، وكانت أبياته في وصفها إحساساً فذاً عبّرت عنه قريحة شاعر صادق ، كما وصف وادي العقيق الكائن بناحية المدينة .

وفي الحضارة اهتم الشاعر بوصف القصور الفخمة التي كانت ترتفع شامخة في سماء سامراء وبغداد والبصرة والكوفة وغيرها من المدن ؛ وكان القصر الهاروني هو القصر الذي وصفه الشاعر وصفاً دقيقاً . كما وصف الشاعر منزل قيّان وصور ما فيه من أنواع اللهو والإغراء ؛ ووصف سفينة فصور أجزاءها الخارجية ومجاديفها وملاحيتها وما يميّزون به من طباع وحركات .

المبحث الرابع : الأدبيات والشعر

وفي الأدبيات يصف لنا الشاعر الشعر والقصائد والقوافي في أبيات ومقطوعات جميلة .

ومما لا بدّ من الإشارة إليه هو أنني أعتمد في تفسير معاني الكلمات الغامضة في الأبيات الشعرية على ما وجدت في الديوان ، مع الاستعانة بالمعجم الوسيط في كثير من الأحيان .

الفصل الثاني : هو الخصائص الفنيّة ، وقد ضمّن المباحث التالية:

المبحث الأول : المعجم الشعري

وكان معجم الشاعر الشعري متنوعاً ؛ حيث تداول ألفاظاً قادرةً على توصيل تجربته الشعرية بعمقها وأبعادها ، كما تداول ألفاظاً تدلّ على تأثره بألفاظ القرآن الكريم ومظاهر الحضارة .

المبحث الثاني : البناء اللغوي

فقد أدرك علي بن الجهم خاصيّة الملاءمة بين اللفظ والمعنى وما يمكن أن تحقّقه من آثار بعيدة في الأداء . وقد وجد في غنى اللغة المتمثل في كثرة المترادفات وتنوع الصيغ وفي ثروتها الناجمة عن سعة الاشتقاق ما يمكنه من اختيار اللفظة الملائمة للمعنى الذي يريد التعبير عنه .

المبحث الثالث : الصورة الفنيّة

وقد كان علي بن الجهم يلجأ في شعره في الوصف إلى الخيال ويجعله وسيلة أخرى من وسائل التعبير ، فتأزر عندئذ الكلمة الموحية مع الصورة المتخيّلة على التعبير والتأثير . ومظهر التخيل عند ابن الجهم هو التشبيهات والاستعارات والكنيات .

المبحث الرابع : الإيقاع الخارجي والداخلي

حيث كان علي بن الجهم شاعراً سمعياً فهو يعنى بالسمع ويحاول أن يرضيه ، بل إنه يخلب الأذان بموسيقاه الرّصينة وما يُودع فيها من قوة وفخامة حيناً ، ومن عنوية وسلاسة حيناً آخر ، ففي الموسيقى الخارجية نجد تنوعاً في البحور والقوافي ، وفي الموسيقى الداخليّة نجد تنوعاً في استخدام المُحسنات البديعية .

وفي الختام سأل الله عزّ وجلّ أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه ثمّ مقبولاً من أساتذتي ، والله أسأل أن يكون وليي هو نعم المولى ونعم النصير .

كما يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وأخصّ بالشكر كلية اللغة العربية ممثلة في :

سعادة الأستاذ الدكتور : عبد الله بن ناصر القرني عميد كلية اللغة العربية .

سعادة الأستاذ الدكتور : صالح بن سعيد الزهراني رئيس قسم الدراسات العليا العربية .

سعادة الأستاذ الدكتور : حسن محمد باجودة المشرف على هذه الرسالة .

وإلى المكتبة الجامعية التي أسعفتني بالكتب المفيدة والمهمّة .

هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

علي بن الجهم (.) ، ٢٤٩ هـ — -
(. ، ٨٦٣ م)
نسبه وحياته^(١) :

(1) انظر المصادر والمراجع التالية :

- علي بن الجهم - حياته وشعره ، عبد الرحمن رأفت الباشا ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار المعارف بمصر ، ص ١١ وما بعدها .
- علي بن الجهم - حياته وأغراضه الشعرية ، حسن محمد نور الدين ، الطبعة الاولى ، (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ص ١٣ وما بعدها .
- ديوان علي بن الجهم ، تحقيق : خليل مردم بك ، الطبعة الثالثة (١٩٩٦ م) ، دار صادر - بيروت - لبنان ، ص ٥ وما بعدها .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب بمصر) ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، الجزء العاشر ، ص ٢٠٣ وما بعدها .
- تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني ، د/ شوقي ضيف ، الطبعة الحادية عشرة ، (بدون تاريخ) ، دار المعارف بمصر ، ص ٢٥٥ وحتى ٢٧٠ .
- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، الطبعة الأولى ، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) ، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان ، الجزء الثاني ، ص ٤١٦ و ٤١٧ .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لأبي الحسن المسعودي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) ، دار الفكر - بيروت - لبنان ، المجلد الرابع ، ص ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، بدون رقم الطبعة ، (١٩٧٠ م) ، دار صادر بيروت - لبنان ، المجلد الثالث ، ص ٣٣٥ وما بعدها .
- الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ، الطبعة الاولى (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ، دار إحياء التراث العربي ، الجزء العشرون ، ص ١٧٨ و ١٧٩ .
- طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فرّاج ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار المعارف بمصر ، ص ٣١٩ وحتى ٣٢٢ .
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، للخطيب البغدادي ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ، الجزء الحادي عشر ، ص ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ .
- معجم الشعراء ، للمرزباني ، تحقيق : د / ف . كرنكو ، الطبعة الاولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) ، دار = = الجيل - بيروت - لبنان ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
- تاريخ الأدب العربي - الأعصر العباسية - (الأدب المحدث : إلى آخر القرن الرابع الهجري < ١٣٢ هـ - ٣٩٩ هـ >) ، عمر فروخ ، الطبعة الرابعة (١٩٨١ م) ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ، الجزء الثاني ، ص ٢٨٩ و ٢٩٠ .
- تاريخ آداب اللّغة العربية ، جرجي زيدان ، الطبعة الثانية (١٩٧٨ م) ، منشورات دار

هو علي بن الجهم بن بدر ، يُكنى بأبي الحسن ، من بني سامة بن لؤي بن غالب . لم تُحدد كتب التاريخ والتراجم زمن ومكان ولادته ، غير أنّ الأستاذ خليل مردم بك اجتهد في ذلك فقال : < لم يُعين أحدٌ ممن ترجم لعلي بن الجهم سنة مولده ، ولكننا نقدّر أنه ولد سنة ١٨٨ هـ أو قبلها ببسير ، وذلك لأن المتوكّل لما غضب عليه في حدود سنة ٢٣٨ هـ كان عمره يناهز الخمسين ، فلا نكون بعيدين عن الصواب في تقديرنا هذا> (١) .

أما أصل الشاعر فهو من خراسان ، ويرى شوقي ضيف أن والده الجهم قد رحل عن موطن أجداده بخراسان (٢) ، وأنا أميل مع هذا الرأي الذي ذهب إليه شوقي ؛ إذ لم أجد في ترجمته وشعره ما يناقض هذا الرأي ، ويبدو أن شوقي

- مكتبة الحياة - بيروت - لبنان ، الجزء الأول ، ص ٣٨٤ و ٣٨٥
- دراسات في الأدب العربي - العصر العباسي ، د/ محمد زغلول سلام ، بدون رقم الطبعة ، (١٩٩٠ م) ، الناشر : منشأة المعارف بالإسكندرية ، ص ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة : د/ عبد الحلیم النجار ، الطبعة الرابعة (بدون تاريخ) ، دار المعارف بمصر ، الجزء الثاني ، ص ٤٣
- تاريخ الآداب العربية ، رشيد يوسف رضا (اساروفيم فيكتور) ، تحقيق : د/ علي نجيب عطوي ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ص ٢٤٩
- البداية والنهاية ، لأبي الفداء ابن كثير ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م) ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ، الجزء السابع ، ص ٤١٩
- الكامل في التاريخ ، لعز الدين ابن الأثير ، تحقيق : خليل مأمون شيخا ، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٢ م) ، دار المعرفة - بيروت - لبنان ، الجزء الخامس ، ص ٥٨٥
- تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر الطبري ، بدون رقم الطبعة ، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ، الجزء الحادي عشر ، ص ٨٦ و ٨٧
- الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة الخامسة (١٩٨٠ م) ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ، المجلد الرابع ، ص ٢٦٩ .
- نصوص من الشعر العباسي ، د/ عمر الأسعد ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن ، ص ٨٣ و ٨٤ .
- مجلة العرب ، ج ٩ و ١٠ ، السنة ٣٩ ، عدد الربيعان ١٤٢٥ ، تصدر عن دار الإمامة بالرياض ، ص ٦٠٢ و ٦٠٣

(١) مقدمة ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بك ، الطبعة الثالثة (١٩٩٦ م) ، دار صادر - بيروت - لبنان ، ص ٧ .

(٢) ينظر تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف ، الطبعة الحادية عشرة ، (بدون تاريخ) ، دار المعارف بمصر ، ص ٢٥٥

اعتمد في رأيه هذا على بيت الشاعر الذي ورد في ديوانه ، وهو قوله^(١) :

مَذْهَبِي وَاضِحٌ وَأَصْلِي خُرَاسَا نُ وَعِزِّي بِعِزِّكَ مَوْصُولُ

نشأ علي بن الجهم في هذه الأسرة العريقة التي تمتعت بالعلم والوجاهة والثراء ، وظهرت عليه بواكير الموهبة الشعرية ، فاتجه إلى تعلم الشعر والأدب ، واتصل بالعديد من شعراء عصره وكان <في مُقَدِّمَتِهِمْ أَبُو تَمَامِ الَّذِي أَصْفَاهُ وَدَّهُ>^(٢) ، وكان أول لقاء بين الشاعرين في قبة الشعراء ببغداد . يتحدث علي بن الجهم عن ذلك اللقاء فيقول : <كان الشعراء يجتمعون في كلِّ جُمُعَةٍ في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ، ينشدون الشَّعْرَ ، ويعرضُ كُلُّ مِنْهُمُ عَلَى أَصْحَابِهِ مَا يَكُونُ قَدْ نَظَّمَهُ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِمْ فِي الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا ، فَبَيْنَا أَنَا فِي جُمُعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْجُمُعِ ، وَدَعْبِلُ وَابْنُ أَبِي الشَّيْصِ ، وَابْنُ أَبِي فَنَنِ ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ يَسْمَعُونَ إِشْدَادَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، أَبْصَرْتُ شَابًا فِي أُخْرِيَاتِ النَّاسِ جَالِسًا فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ ، فَلَمَّا فَرَعُ كُلُّ مِنْهُمْ وَقَطَعَ إِشْدَادَهُ ، التَفَتَ الشَّابُّ إِلَيْنَا ، وَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ إِشْدَادَكُمْ مِنْذُ الْيَوْمِ فَاسْمَعُوا إِشْدَادِي ، فَكَلْنَا : هَاتِ ، فَأَنشُدُ :

* فُحَوَّاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَا مَدْلُ *

ثم مرَّ فيها مُنْشِدًا حَتَّى أَتَى قَوْلَهُ :

تَغَايِرَ الشَّعْرِ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيَهُ سَتَّقْتَلِيلُ

فعقد ابن أبي الشيص عند هذا البيت خُنْصَرَهُ ، ثم مرَّ فيها الشاب إلى أن أتى على آخرها . ثم أنشد قصيدة أخرى فقلنا له : أيها الشاب ، لمن هذا الشعر؟ فقال : لمن أنشدكموه ، فقلنا له : ناشدناك الله ! من تكون ؟ فضحك ، وقال : أنا أبو تمام الطائي ، فرفعنا مجلسه حينئذٍ ، وعظمناه تعظيمًا كبيرًا ، واشتد إعجابنا به لدمائه أخلاقه ، وفصاحة منطقته ، وجودة شعره ؛ ثم إنني ما عرفت عقد خنصر ابن أبي الشيص ، هل كان إعجابًا به ممَّا سمع في البيت من البديع المرقص ، أو أخذًا عليه في إسكان الياء في : <حتى ظننت قوافيه> ، أعنى من لفظة <قوافيه> وهي ضرورة جائزة عند الشعراء>^(٣) ، ومنذ هذا اللقاء تأصلت أواصر المحبة والأخوة بين الشاعرين ، وقد أشار ابن خلكان إلى تلك الصداقة التي كانت بينهما

(1) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٨٢

(2) تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني ، شوقي ضيف ، ص ١٥٧

(3) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، لجمال الدين بن نباته المصري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بدون رقم الطبعة ، (١٣٨٣هـ) ، الناشر : دار الفكر العربي - بيروت - لبنان ، ص ٣٢٥ و ٣٢٦ ، وانظر : ديوان علي بن الجهم ص ٩ و ١٠ وانظر : علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ٤٦ و ٤٧ .

بقوله : <وكانت بينه وبين ابن أبي تمام مودةً أكيدة>^(١) .

وقد عبّر أبو تمام عن هذه المودة في قصيدته التي يمدح فيها علي بن الجهم ، ويودعه عندما أراد السفر ، يقول في مطلعها^(٢) :

هي فرقة من صاحب لك ماجد
إلى أن يقول :

إن يكدم طرف الإخاء فإننا
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا
أو يفترق نسب ، يؤلف بيننا
أدب أقمناه مقام الوالد

وعندما توفي أبو تمام رثاه علي بن الجهم بأبياته التي يقول فيها^(٣) :

غاضت بدائع فطنة الأوهام
وغدا القريض ضئيل شخص باكيا
وتأوهت غرر القوافي بعده
أودى مثقفها ورائض صعبها
وعدت عليها نكبة الأيام
يشكو رزيته إلى الأقاليم
ورمى الزمان صحيحها بسقام
وغدير روضتها أبو تمام

وفي بلاط الخليفة المتوكل اتصل الشاعر بأبي عبادة البحتري ، وهو أحد شعراء الخليفة ومن ندمائه المقربين إليه ، <ويبدو أن العلاقة بين الشاعرين كانت تقوم أول الأمر على المصانعة والمداراة ، فكان ابن الجهم يدعو البحتري إليه ويجالسه ويتذاكر معه في شئون الشعر والأدب ... ، ثم انتقل الشاعران من المصانعة والمداراة إلى التعادي والمهاجاة ، حتى وجدنا ديوان البحتري يحقل بطائفة من الأهاجي التي قالها في علي بن الجهم>^(٤) .

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، المجلد الثالث ، ص ٣٥٦ ، وانظر : علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ٤٩ .

(2) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار المعارف بمصر ، المجلد الأول ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، وينظر : هامش أخبار أبي تمام ، لأبي بكر الصولي ، تحقيق : خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام وآخرين ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، الناشر : المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ص ٦١ و ٦٢ .

(3) ديوان علي بن الجهم ، ص ٢١٢ .

(4) علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ٦٠ ، ٦١ .

<وكان وجود الشعاعين في بيئة أدبية واحدة والتقاؤهما على مديح خليفة واحد جديرًا بأن يجعلهما يتنازعان المعاني والصور ، مما يترك أثرًا في علاقتهما ، من ذلك قول ابن الجهم في المتوكل^(١) :

ثُمَّ لَمَّا أَقَالَكَ اللَّهُ لِلدَّيْـمِ —————
مِنَ وَصَحَّتْ فُرُوعُهُ وَالْأَصُولُ

أَنِسَ الْبَرْدُ وَالْقَضِيبُ وَهَزَّ الْمَلِكُ —————
عَطْفِيهِ وَاسْتَبَانَ السَّبِيلُ

وقول البحترى من رائيته^(٢) :

وَوَقَفْتَ فِي بَرْدِ النَّبِيِّ مُذَكَّرًا —————
بِاللَّهِ تَنْذَرُ تَارَةً وَتُبَشِّرُ^(٣)

ويقول ابن الجهم في معنى آخر^(٤) :

قَدْ كَانَ مُشْتَاقًا إِلَى خُطْبَةٍ —————
مِنْكَ سَرِيرُ الْمَلِكِ وَالْمَنْبَرُ

ويقول البحترى في هذا المعنى أيضًا^(٥) :

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَأَفَ فَوْقَ مَا —————
فِي وَسِعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ

وفي ذلك دليلٌ على براعة موهبة علي بن الجهم الشعرية .

ومن الشخصيات الشاعرة التي اتصل بها علي بن الجهم ، وكانت من أشدها عداوةً وخصومةً له ، هو الشاعر مروان بن أبي الجنوب ، ويكنى بأبي السمط^(٦) ، فقد <كان علي بن الجهم يُساجله ويناضله ويهاجيه فخاض الناس في أمرهما ، فقال فريقٌ عليّ أشعر ، وقال أكثر الناس : مروان أشعر ، حتى قال مروان بيئته هذين :

لَعَمْرِكَ مَا جَهِمَ بِنَ بَدْرٍ بِشَاعِرٍ —————
وَهَذَا عَلِيٌّ ابْنُهُ يَدَّعِي الشُّعْرَا

وَلَكِنْ أَبِي قَدْ كَانَ جَارًا لِأَمِّهِ —————
فَلَمَّا رَوَى الْأَشْعَارَ أَوْهَمَنِي أَمْرَا

فأجابه علي بن الجهم بهذين البيتين :

(1) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٨١ ، البيت رقم (١٥)

(2) ديوان البحترى ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار صادر - بيروت ، المجلد الاول ، ص ٢٥ ، البيت رقم (٢٩)

(3) المصدر السابق ، ص ٦٠

(4) ديوان علي بن الجهم ، ص ١٢٦ ، البيت رقم (٦)

(5) ديوان البحترى ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار صادر - بيروت - لبنان ، المجلد الأول ، ص ٢٤ ، البيت رقم (٢٧)

(6) هو مروان بن أبي الجنوب ، واسمه يحيى بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، يكنى أبا السمط ، ويلقب غبار العسكر ببيت قاله ويُعرف بمروان الأصغر .

بلاءٌ ليس يُشبهه بلاءٌ عداوة غير ذي حسبٍ ودين
يبيحك منه عرضاً لم يصنئه ويقدح منك في عرض مصون
فحكم الناس جميعاً لمروان أنه أشعر ، وأن الذي قاله عليّ ليس بجواب ، إنما هو استخذاء>^(١) .

وعلق ابن رشيقي على بيتي مروان بقوله : <والشاعرُ أولى من كفَّ منطقهُ ، وأقال عثرات اللسان ؛ لما رُزق من القدرة على الكلام ، والعمو من القادر أحسن ، وبه أليق {وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾} إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَوَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾}>^(٢) .

لقد كانت معاصرة علي بن الجهم لهؤلاء الشعراء دافعا قويا أدّى إلى علوه في مضمار الفن الشعري ، وإعجاب الخلفاء بشعره وخاصة الخليفة المتوكل الذي اتخذهُ نديماً بل إنّه أصبح من خاصة ندمائه ، فقد كان المتوكل يُفضي إليه بأسراره وأسرار جواريه وحظياته .

غير أن هذه العلاقة الحميمة بين الشاعر والخليفة كانت تُوغر صدور قرنائه الشعراء عليه ؛ من أمثال مروان بن حفصة بن أبي الجنوب ، والبحثري ، والحسين بن الضحّاك ، فاتفقوا على السعي بالوشاية به عند الخليفة المتوكل ، <وقالوا له : إنّه يجمش^(٣) الخدم ويغمزهم ، وإنّه كثير الطعن عليك والعيب لك والإزراء على أخلاقك ؛ ولم يزالوا به يُوغرون صدره عليه حتى حبسه ؛ ثم أبلغوه عنه أنّه هجاه ، فنفاه إلى خراسان وكتب بأن يُصلب إذا ورد لها يوماً إلى الليل مُجرداً>^(٤) ، فكانت حياته أشبه <بِحياة درامية وصل فيها إلى الوزارة وإلى الصلب عارياً>^(٥) .

وفي سنة ٢٤٩ هـ ورد على الخليفة المستعين كتاب من صاحب البريد بحلب : أن علي بن الجهم خرج من حلب مُتوجهاً للغزو ، فخرجت عليه وعلى جماعة كانت

(1) طبقات الشعراء ، ص ٣٩٢ ، ومعنى كلمة استخذاء هو : الخضوع والانقياد .

(2) العُمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده ، لابن رشيقي القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، (١٩٧٢ م) ، دار الجيل للنشر والطباعة - بيروت - لبنان ، الجزء الأول ، ص ٧٩ و ٨٠ ، والآية هي من سورة الشورى ، آية رقم (٤١ و ٤٢) .

(3) يجمش الخدم : أي يُلاعبهم ويُقرّصهم .

(4) الأغاني ، الجزء العاشر ، ص ٢٠٨

(5) دراسات في النص الشعري - العصر العباسي ، د/ عبده بدوي ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار قباء للطباعة والنشر - القاهرة - مصر ، ص ٧٦ .

معه خيل من بني كلب ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، حتى جرح ثم مات وكان آخر شعر
قاله هو :

أزيد في الليل ليلُ أم سال بالصُّبح سليلُ؟!
ذكرتُ أهل دُجِيلِ وأين منِّي دُجِيلُ?!

فأبكى من كان في القافلة ، ومات مع السَّحر ، ودفن في ذلك المنزل على
مرحلة من حلب ، وحينما نُزعت منه ثيابه وجد معه رقعة مكتوبٌ فيها :

وارحمتا للغريب في البلد النَّـ أزح ماذا بنفسه صنعا؟!
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا(١)

شاعريته :

تميز علي بن الجهم بسرعة بديهته ، وشاعريته الفذة ، فأصدق شاهدٍ على سرعة
بديهته ، تلك القصة التي روتها كتب التاريخ والأدب والتي تقول : <دخل علي بن
الجهم يوماً على المتوكل وبيديه دُرتان يُقلبهما ، فأنشده قصيدة له ، فرمى إليه
بدرة فقلبها ، فقال : تستنقص بها ، وهي والله خير من مائة ألف؟! ، فقال : لا ،
ولكني فكرتُ في أبيات أعملها أخذ بها الأخرى ، فقال : قل ، فقال :

بسُرَّ من را إمام عدلٍ تَعْرِفُ من بحرهِ البحارُ
الملك فيه وفي بنيهِ ما اختلف الليلُ والنهارُ
يُرجى ويُخشى لكل خطبٍ كأنه جنّة ونارُ
يداه في الجود ضررتان عليه كلتاهما تغارُ
لم تأت منه اليمينُ شيئاً ألا أتت مثلها اليسارُ
فرمى إليه بالدرّة الأخرى> (٢) .

(1) ينظر : مقدمة ديوان علي بن الجهم ص ٢٠ و تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر الطبري
، بدون رقم الطبعة ، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت -
لبنان ، الجزء الحادي عشر ، ص ٨٦ و ٨٧ ، وينظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر ،
لأبي الحسن المسعودي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة
(١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) ، دار الفكر - بيروت - لبنان ، المجلد الرابع ، ص ١١١ ، وينظر
: الأغاني ، لأبي فرج الأصفهاني (نسخة مصورة عن دار الكتب بمصر) ، المؤسسة
المصرية العامة للطباعة والنشر ، الجزء العاشر ، ص ٢٣٤ .

(2) تاريخ الخلفاء ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،
بدون رقم الطبعة وتاريخها ومكان الطبع) ، ص ٣٤٩ .

<ولعل أصدق دليل على شاعريته ، قوله يصف نفسه إذ أخذه حالٌ من أحوال الشعر ، فأحيا ليله بين القوافي وهي تتراعى لخاطره :

أعاذل لو أضافك جنح ليلٍ إليّ وأنت واضعة اللثام
لسرّك أن يكون الليلُ شهراً وألهاك السُّهادُ عن المنام
وعنت كلُّ قافيةٍ شرودٍ كلمح البرق أو لهب الضرام
على أعجازها قرم إذا ما عناه القول أوجز في تمام
شواردُ إن لقيت بهنّ جيشاً صرفن معرّة الجيش اللّهام
وإن نازعتهنّ الشّرْبَ كانت مُداماً أو ألدّ من المُدام> (١)

وكذلك يذكر ابن رشيّق أنّه <حكى عن علي بن يحيى أنّه قال : كنت عند المتوكل إذ أتاه رسولٌ برأس إسحاق بن إسماعيل ، فقام علي بن الجهم يخطر بين يديه ويقول :

أهلاً وسهلاً بك من رسولٍ جئت بما يشفي من الغليل
برأس إسحاق بن إسماعيل

فقال المتوكل : قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع> (٢) .

وقد نظم علي بن الجهم في جميع الأغراض الشعرية ، من مدح وفخر وهجاءٍ وغزلٍ ورتاءٍ ووصفٍ وعتابٍ واعتذارٍ واستعطافٍ . وأشاد الكثير من النقاد بعلمه بالشعر وبشاعريته ، فمما جاء بشأن علمه بالشعر ، <يقول أبو بكر الصولي : سمعتُ أبا إسحاق الحرّبيّ يقول : كان علي ابن الجهم من كملة الرجال ، وكان يقال: علمه بالشعر أكبرُ من شعره> (٣) .

<ويصحّ علم علي بالشعر ما جاء به عبد الله بن الحسين قال : قال لي البحترى : دعاني علي بن الجهم فمضيتُ إليه ، وأفضنا في أشعار المحدثين إلى أن ذكرنا أشجع السلمي ، فقال لي : إنّه يُخلى ، وأعادها مراتٍ ولم أفهمها ، وأنفتُ أن أسأله عن معناها ، فلما انصرفت فكرتُ في الكلمة ونظرت في شعر أشجع فإذا هو ربما مرّت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيتٌ رائع ، وإذا هو يريدُ هذا بعينه أنّه يعمل الأبيات ولا تُصيبُ منها بيتاً نادراً ، كما أن الرامي إذا رمى برشقه فلم

(1) مقدمة الديوان ، ص ٣٧

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١ / ١٩٥

(3) أخبار أبي تمام ، ص ٦٢

يُصب فيه بشيء قيل : إنه أخلى . وكان علي بن الجهم عالماً بالشعر >(١) .
 وذكر ابن المعتز في طبقاته أنه <لما قال علي بن الجهم وهو محبوس كلمته
 التي يُخاطب فيها المتوكل :

قالت حُبست فقلت ليس بضائري حبسي ، وأيُّ مُهندٍ لا يُغمدُ
 ثم قال حين صُلب :

ما ضره أن بُزَّ عنه لباسه فالسيفُ أهولُ ما يرى مسلولا

حكموا له بأنه أشعر الناس ، فأذعنت له الشعراء ، وهابته الأمراء >(٢) . ويقول
 عنه كذلك : <كان علي بن الجهم شاعراً مُقلِّقاً مطبوعاً يضعُ لسانه حيثُ يشاء >(٣)

ووافق المسعودي فقال : <كان علي بن الجهم ، مطبوعاً مُقتدراً على الشعر ،
 عذب الألفاظ ، غزير الكلام >(٤) ، وأبو الفرج الأصفهاني : <كان علي بن الجهم
 شاعراً فصيحاً مطبوعاً >(٥) ، وصاحب
 العمدة : <وكان علي من الفضلاء عالماً بالشعر وصناعة له >(٦) ، والمرزباني : <وهو
 شاعرٌ مطبوعٌ عذب الألفاظ سهل الكلام >(٧) ، والبغدادي : <وكان جيّد الشعر عالماً
 بفنونه >(٨) ، وابن خلكان : <وكان مع انحرافه عن علي بن أبي طالب | وإظهاره
 التسنن ، مطبوعاً مقتدراً على الشعر عذب الألفاظ >(٩) .

وعلى الرغم من قوة شاعريته التي جعلت له الحظوة عند الخلفاء ، إلا أنه
 <لم يتخذ الشعر أداة للتكسب ، وإنما جعله وسيلة للتعبير عن مشاعره ، وسلاحاً
 يشهره للدفاع عن مُعتقداته وتأييد مُعتقداتها ومناهضة خُصومها ، وسجلاً يُدون فيه
 لحظات لهوه ومبائله ، ويصور في ثناياه ومضات مسراته ومباهجه >(١٠) . ففي

(1) الموشح (مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر) ، للمرزباني ،
 تحقيق : علي محمد البجاوي ، بدون رقم الطبعة ، (١٩٦٥ م) ، دار النهضة بمصر ،
 ص ٤٥٢

(2) طبقات الشعراء لابن المعتز ، ص ٣٢٠

(3) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .

(4) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ / ١١١

(5) الأغاني ، ١٠ / ٢٠٥

(6) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١ / ١٩٥

(7) معجم الشعراء ، ص ١٢٤ .

(8) تاريخ بغداد ، ١١ / ٣٦٧ .

(9) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٣ / ٣٣٥ .

(10) علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ٩٠

أبياته التالية نجده يصور لنا منهجه في الشعر فيقول^(١) :
 وما أنا ممن سار بالشعر ذكراً
 ولكن أشعاري يسيرها ذكراً
 وللشعر أتباع كثير ولم أكن
 له تابعا في حال عسر ولا يسر
 وما الشعر مما استظل بظله
 ولا زادني قدراً ولا حط من قدرتي
 ديوانه :

لعلي بن الجهم ديوان ضم أشعاره ، وقد أشارت إليه كثير من كتب التراجم والتاريخ بالعبارات التالية ، <وله ديوان شعر فيه أشعار حسنة>^(٢) ، <وله ديوان شعر>^(٣) ، <له ديوان شعر مشهور>^(٤) ، <وديوان شعره صغير>^(٥) ، <من آثاره ديوان شعر>^(٦) ، <وهو ممن شهر بشعره ، ووجد عند الخاصة والعام>^(٧) ، وذكر ابن النديم في الفهرست <أن أبا بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ صنف شعر علي بن الجهم على حروف المعجم>^(٨) .

وقد تفضل الأستاذ خليل مردم بك مشكوراً بتحقيق هذا الديوان من نسخة محفوظة في خزانة الأسكوريال بأسبانيا ، وهو لا يظن أن هذه النسخة هي التي جمعها أبو بكر الصولي فيقول <لا نظن أن نسخة الأسكوريال هذه هي نسخة الديوان الذي جمعه أبو بكر الصولي ، لأنها لا تشتمل إلا على قسم من شعر علي بن الجهم>^(٩) .

فأخذ الأستاذ على عاتقه مهمة البحث والتنقيب عن بقية شعر الشاعر في المصادر

- (1) الديوان ، ص ١٣٩ ، الأبيات (٢٨ و ٢٩ و ٣٠) .
- (2) البداية والنهاية ، ١٩ / ٧
- (3) الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، ٤ / ٢٧٠
- (4) تاريخ بغداد أومدينة السلام ، للخطيب البغدادي ، ١١ / ٣٦٧ ، وينظر : ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٩
- (5) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، ٣ / ٣٥٦ ، وينظر : ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٩
- (6) معجم المؤلفين ، عمر كحالة ، ١٧ / ٢
- (7) طبقات الشعراء لابن المعتز ، ص ٣٢
- (8) الفهرست ، لابن النديم ، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ص ١٥١ وانظر ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٩
- (9) ديوان علي بن الجهم ، ص ٤٩

والمظان ، فحصل على مجموعة من القصائد والمقطوعات ضمنها الديوان بلسم <التكملة> ثم <صلة التكملة> ، لكن الملاحظ على هذا الديوان أنه لم يخرج بالصورة التامة الكاملة ، فقد حَقَلَ بالكثير من الأخطاء المطبعية والتغوية والإيقاعية ، علاوة على ما وجد فيه من أشعار ليست صحيحة النسبة إلى الشاعر ، وخلا أيضاً من أشعار هي صحيحة النسبة إليه ، فقام رهط من النقاد بالاستدراك على هذا الديوان ضمن مقالات نُشرت في بعض المجلات العربية ، وقد ذُكرت هذه المقالات في عمل رائد للدكتور عبد الرزاق حويزي^(١) عنوانه : <البرهان عمّا في شعر علي بن الجهم من وهم ونقصان> ، والذي يُعدُّ من أفضل وأشمل الاستدراكات على هذا الديوان ، لما يتضمنه من استدراكات الدكتور واستدراكات من سبقه من النقاد^(٢) ، بالإضافة إلى ما قام به الدكتور من إخراج الشعر المنسوب خطأ للشاعر ، وتصحيح الأوهام المطبعية والإيقاعية والتغوية ، والإشارة إلى ما في التخرّيج من نقص واضطراب ، مع محاولة لإتمام ما في الفهارس من نقص^(٣) .

وباطّلاعي شخصياً على كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري ، تبين لي وجود سبعة أبيات من بحر الرجز لم يذكرها حويزي في عمله وهي قول علي بن الجهم^(٤) :

قلتُ لزين لا عدمت زينا يا زينُ يا أحسن من رأينا
أحبُّ منك طلعة إينا ضيفاً أتى مُعتمداً علينا
فقر عينا وأقر عينا حتى إذا أزمع منا بينا
قام فأتى بالذي أولينا

(1) أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، المنيا ، فرع إيتاي البارود ، مصر

(2) هؤلاء النقاد هم : الأستاذ شفيق جبري والدكتور مصطفى عوض الكريم والدكتور مصطفى جواد والدكتور رضوان محمد حسين النجار .

(3) انظر : مجلة العرب ، ج ٩ و ١٠ ، س ٣٩ ، الربيعان ١٤٢٥ هـ ، من صفحة ٦٠٠ وحتى صفحة ٦١٩ .

(4) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، لمحمود الزمخشري ، تحقيق : د/ سليم النعيمي ، بدون رقم الطبعة ، (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ، مطبعة العاني ببغداد ، المجلد الثاني ، ص ٦٨٦ في باب (الطعام وأوانه وذكر الإطعام والضيافة والأكل والأكل والجوع والشبع وما يتعلق بذلك) .

فن الوصف في الشعر العباسي :

الوصف في اللغة هو : <وصف الشيء له وعليه وصفًا وصفة : حلاه> (١) ، والمراد به هنا هو : <الوصف الأدبي الذي يتناول الطبيعة والإنسان والآثار القائمة ، والمنشآت الجميلة ، والحوادث الكبيرة ، وكل ما يعنُّ للإنسان تسجيله باللغة> (٢) .

فالوصف هو الوسيلة الأدبية التي يستعين بها الشاعر لتصوير إعجابه وروعه بما يشاهده ، معتمدًا في ذلك على الخيال وصدق التعبير .

<والوصف جزء من منطق الإنسان ؛ لأنَّ النَّفس مُحتاجة من أصل الفطرة إلى ما يكشف لها من الموجودات ويكشف للموجودات منها ، ولا يكون ذلك إلا بتمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التصور في طريق السمع والبصر والفؤاد> (٣) .

وقد عُرف الوصف منذ عُرف الشعر العربي ، وفي رأي صاحب العمدة نرى أن <الشعر إلا أقله راجعٌ إلى باب الوصف> (٤) ، والشاعر الذي يُظهر مقدرة فنية في نقل صور موصوفه وتجليتها وتوضيحها للسامع يكون ذلك دليلاً على تفوقه وبراعته ، ومدى دقته ومهارته في فنّ الوصف <فأحسن الوصف ما نُعت الشيء حتى تكاد تُمثله عينًا للسامع> (٥) .

والشعراء يتفاوتون في مقدار براعتهم في الوصف ، فهناك من يستطيع إجادة الوصف غير أنه يشتهر بوصف شيء بعينه ، وذلك لعلمه به وشدة اتصاله منه ، يقول الرافعي في هذا الجانب : <وقد يُشارك في أوصاف كثيرة لكنه ينفرد بالشهرة في بعضها ، من جهة العلم لا من جهة الصناعة ، فكلما كان أعلم بأجزاء الموصوف وحالاته ، وأقدر على استقصاء هذا العلم في شعره ، كان أبلغ في الوصف وأولى بالتقديم> (٦) .

وأحسن الوصف عند الرافعي هو ما خرج عن علم ، وصرّفته روعة العجب ، فيقول : <وإن أحسن ما يكون الوصف الصادق إذا خرج من علم وصرّفته

(1) لسان العرب ، لابن منظور ، الطبعة الثالثة (٢٠٠٤م) ، دار صادر - بيروت ، الجزء الخامس عشر ، ص ٢٢٣ ، مادة وصف .

(2) الأسلوب - دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشايب ، الطبعة الثامنة (١٩٩٠م) ، النشر : مكتبة النهضة المصرية بمصر ، ص ٩٠ .

(3) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، الطبعة الثانية (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ، الجزء الثالث ، ص ١١٩ .

(4) العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده ، ٢ / ٢٩٥ .

(5) المصدر السابق ، ٢ / ٢٩٤ .

(6) تاريخ آداب العرب ، ٣ / ١٢١ و ١٢٢ .

روعة العجب>(١) .

وقد تميّز الوصف في العصر العباسي بعدة خصائص جديدة تتضح في :

١- <قدرة الشاعر على التجريد وتداول المعاني كصور ، وانكشاف على عالم الضمير ، وما يتموّج فيه من ظلال وأشعة شعورية>(٢) .

٢- الوجدانية ، <وهي التعبير عن الأشياء من خلال الواقع الذاتي ، فقد تردد بها الوصف العباسي ، وجعلت تصفو حتى الحلولية والصوفية ... ، وأحياناً أخرى فقد كانت تتجهّم وتجنّف ، ويعروها الانكماش ، خاصة عندما تستبدُّ بها نزعة التشخيص لاقتناص الشبه بين الحالات الإنسانية والمظاهر الطبيعية>(٣) .

ولمّا <تميز شعر علي بن الجهم في الوصف بالبراعة ، وربما كان هذا الباب من أقوى مظاهر شاعريته ، وأدلها على قوة ملاحظته>(٤) ، رغبت في إفراده بدراسةٍ مُستقلة ، تقف على أسرار الكلمة الشعرية وما تحمله من مشاعر وأحاسيس تجاه ما اكتنزته أعماقه من تجارب في الحياة .

وقد تعددت موصوفات علي بن الجهم وتنوعت ، فنجد لديه وصفاً للإنسان والحيوان والطبيعة والحضارة والشعر والأدب .

كما وُجد لديه وصفٌ للخمر(٥) ، وزجاجته التي يُعرضُ فيها(٦) ، وساقيته ومجلسه(٧) ، ووصفٌ للقاء بينه وبين محبوبته(٨) ، وما يُعانيه من ألم الوجد بها(٩) ، ووصفٌ لجسد فتاة(١٠) ، وانهدٍ(١١) ، إلا أنني تجاوزت عن موصوفاته في الخمر ،

(1) السابق ، ٣ / ١٢٢ .

(2) فنّ الوصف وتطوره في الشعر العربي ، إيليا الحاوي ، الطبعة الثانية (بدون تاريخ طبع) ، دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان ، ص ٢٢٢ و ٢٢٣ .

(3) السابق ، ص ٢٢٣ و ٢٢٤ .

(4) ديوان علي بن الجهم ، ص ٣٩

(5) السابق ، ص ٦٧ ، المقطوعة رقم (٨) ، ص ٧٠ ، المقطوعة رقم (٤٠) ، الأبيات رقم (٣) ، (٤ ، ٥ ، ٦) .

(6) نفسه ، ص ٩٤ ، المقطوعة رقم (٣٨) ، الأبيات (٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) .

(7) نفسه ، ص ١٠٩ ، الأبيات (٤ ، ٥ ، ٦) في وصف ساقية الخمر ، والبيتين (٧ - ٨) في وصف مجلسه .

(8) الديوان ، ص ٧١ ، المقطوعة رقم (١٥) ، البيتين (٢ ، ٣) ، ص ٧٨ ، المقطوعة رقم (٢٥) ، ص ١١٢ المقطوعة رقم (٥٨)

(9) السابق ، ص ٢١٥ ، المقطوعة رقم (١٥٩) ، ص ٢١٩ ، المقطوعة رقم (١٦٨)

(10) نفسه ، ص ٢٢٢ ، المقطوعة رقم (١٧٦)

وفي المحبوبة وجسدها لعدم رغبتي في هذا النوع من الوصف ، وجعلت
موصوفاته في الإنسان والحيوان والطبيعة والشعر هي ميداني الخصب لدراسة
شعره الذي اتسم بالقوة والجمال.

(1) نفسه ، ص ٢٢٠ ، المقطوعة رقم (١٧١) .

الفصل الأول :
موضوعات
شعر الوصف

أولاً : البعد الإنساني الحسي والمعنوي والوجداني

كان علي بن الجهم شاعراً رقيق الإحساس ذا نظرة ثاقبة ، وفكر مُتقد ، نظر إلى الإنسان على أنه قوة قادرة على التأثير والنهوض بمجتمعها نحو الخير ، غير أنه يرى أن تلك القوة خاصة بفئة مُصطفاة من الناس ، فيقول في بعض قصائده^(١) :

فما كُلُّ من قاد الجياد يسوسُها ولا كُلُّ من أجرى يُقال له

وبما أن الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ، وأن النقاد قد جعلوا أبوابه الخمسة من مدح وفخر وهجاءٍ وغزلٍ ورثاءٍ للإنسان تصف أخلاقه وطباعه ومزايه ومحاسنه وخلقه وتكوينه^(٢) ، فقد أشاد علي بن الجهم في جميع أغرضه الشعرية بهذا الإنسان وصوره تصويراً حسياً ومعنوياً رائعاً .

والمتمم لأوصاف الشاعر في هذا البعد يجد أنها إما أن تكون حسية فيكون طرفاً الصورة فيها ماديين ، <تصوير الكيفيات الجسيمة مما يُدرك بالبصر>^(٣) ، ويسمى هذا النوع من الوصف بالوصف النقلي الذي يقوم على التقاط الشبه الحسي بين ظاهرتين مختلفتين^(٤) .

أو تكون معنوية ، وهي ما كانت الصورة فيها بين فكرة أو حالة نفسية من جهة ، ومشهد حسي أو صورة مادية من جهة أخرى ، <تصوير الكيفيات النفسية من الغرائز والأخلاق>^(٥) ، ويسمى هذا النوع من الوصف بالوصف المادي الذي يقوم على وحدة التأثير النفسي ، بين فكرة في الذهن ومشهد في الحواس^(٦) .

(1) الديوان ، ص ١٣٨ ، البيت رقم (٢٦)

(2) يسوسها : من ساس الدواب إذا راضها وأدبها . أجرى : أي سير ، والمقصود هو ما كُلُّ من تولى رئاسة الناس وقيادتهم يُقال له قائد ، فالقائد له صفات تميزه عن غيره من الناس .

(3) الوصف من وضع لجنة من أدباء الأقطار العربية ، (بدون رقم الطبعة أو تاريخها) ، دار المعارف بمصر ، ص ٥ و ٦

(4) الإيضاح في علوم البلاغة - المعاني والبيان والبدیع ، للخطيب القزويني ، (بدون رقم طبعة وتاريخها) ، مكتبة الفيصلية بمكة ، ص ٢٢٨ .

(5) فنّ الوصف وتطوره في الشعر العربي ، ص ٨ .

(6) الإيضاح ، ص ٢٨٨ .

(7) فنّ الوصف وتطوره في الشعر العربي ، ص ٩ .

أو تكون وجدانية ، وهي الصورة التي <يصف فيها الشاعر ذاته من خلال الأشياء>^(١) ، ويسمى هذا الوصف بالوصف الوجداني ، والذي <يتأثر تأثيراً قوياً بقلق العصب الإنساني الذي يعتريه كثير من التساؤل أمام مفاهيم الكون وحدوده>^(٢) .

وهذا النوع من الوصف أرقى من الوصف النقلي والمادي^(٣) .
وعلى أساس هذا التصنيف يمكننا تقسيم أوصاف هذا البعد إلى قسمين رئيسيين هما :

أ - الوصف الحسيّ والمعنويّ ويتضمّن :

- ★ وصف الخلفاء .
 - ★ وصف المعارك الحربية .
 - ★ وصف الشيب .
 - ★ وصف البخيل
 - ★ وصف الغريب .
- ب - الوصف الوجدانيّ ويتضمّن :
- ★ وصف إحساسه بالسجن .
 - ★ وصف إحساسه بالصّلب .
 - ★ وصف إحساسه بالأمّ الجوى .
 - ★ وصف إحساسه بالغرابة .

(1) المصدر السابق ، ص ١٢ .

(2) المصدر السابق ، ص ١١ .

(3) ينظر المصدر السابق ، ص ١١ .

★ وصف الخلفاء :

١- وصف الخليفة بالصبح :

يقول علي بن الجهم في موازنة مع الصُّبح لوصف شدة ضياء وجه المعتصم^(١) :

وثرنَ وللصُّباحِ مُعقِّباتٌ تُقلِّصُ عنه أعجازَ الظلامِ^(٢)
فلَمَّا أن تجلَّى قال صَحبي أضوءُ الصُّبحِ أم وجهُ الإمامِ^(٣)
فقلتُ كأنه هو من بعيدٍ وجئتُ غرَّةَ الملكِ الهُمَامِ^(٤)

فهذه الصورة جاءت بأسلوب الحوار الدائر بين الشاعر وبين أصحابه الذين سألوه عن مصدر ذلك الضوء الشديد الذي ظهر أمامهم ، هل هو ضوء الصُّبح أم وجه الإمام؟ فجاء جواب الشاعر متأرجحاً بين الشكِّ واليقين ، لكنه لا يلبث أن يؤكد ذلك الشكَّ حينما يُقرُّ جلالَ غرَّة الملك الهُمَام الذي فاق نوره نور الصُّباح .

ويقول في وصف الخليفة المتوكل^(٥) :

يُضيءُ لأبصارِ الرِّجالِ كأنه صباحٌ تجلَّى يزحمُ الليلَ مُقبِلُ^(٦)
تأملُ ترى لله فيه بدائعا من الحسن لا تخفى ولا تتبدلُ^(٧)
فَنُضرةٌ وجهه يقصرُ الطَّرْفُ دُونَهُ وطرفٌ وإن لم يَألفِ الكُحلُ
أَحْمَرُ^(٨)

في هذه الأبيات يصور لنا الشاعر الجانب الحسيِّ لموصوفه ، فنرى أن خياله يلتمس أجمل أوقات الطبيعة ليخلع عليها صورة موصوفه ، فسنا وجهه كأنه الصُّبح الذي أضاء الدنيا بعد ظلام الليل ، ومن يتأمل ذلك الخليفة فإنه سيرى بدائع

(1) الديوان ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(2) مُعقِّباتٌ : أي ملانكة النهار والليل . نُقلِّصُ : أي تقبضُ وثقُصُ . أعجازُ : العجزُ هو مؤخر الشيء .

(3) تجلَّى : أي ظهر وكشف .

(4) جَلَّتْ : أي عظمت وتنزَّهت . غرَّة الملك : أي وجهه .

(5) الديوان ، ص ١٧٤

(6) تجلَّى : أي ظهر واتضح .

(7) بدائع : جمع بداعة أي صار غاية في صفته .

(8) نُضرة : أي الرونق والبهجة . الطَّرْفُ : العين

من الجمال ليست بالخفية أو المتبدلة ، فلوجه نضرة تقصر العيون دونها لشدة ضيائها ، وعيناه كأنهما ذواتا كحل وإن لم يضع فيهما الكحل .
٢- وصف الخليفة بالشمس :

يقول الشاعر في وصف الخليفة المتوكل بالشمس (١) :

وقائل أيهمما أنورُ الشمسُ أم سديدنا جعفرُ
قلتُ : لقد أكبرت شمس الضحى جهلاً ، وما أنصفت من تذكرُ (٢)

.....

الشمسُ يومَ الدجنِ محجوبةً والليلُ يخفيها فلا تظهرُ (٣)
فهي على الحالين مملوكة لا تدفع الرقَّ ولا تُنكرُ (٤)
فكيف قايست بها غرةً غراء لا تخفى ولا تُسترُ (٥)
في كلِّ وقتٍ نورها ساطعٌ وكلُّ وصفٍ دونها يقصرُ
فقال : هل أكملها قدره إذا بدا في حلةٍ يخطرُ (٦)
كالرمح مهزوزاً على أنه لا فارط الطول ولا جحدرُ (٧)
أحسن خلق الله وجهاً إذا بدا عليه حلة تزهرُ (٨)

فهذه الأبيات تبدأ بوصفٍ حسبي ومفاضلة بين نور وجه الخليفة ونور الشمس ، انتهت بتفوق نور وجه الخليفة ، وذلك لأن نور الشمس لا يظهر في الليل ولا

(1) الديوان ، ص ١٢٧ و ١٢٨ .

(2) أكبرت : أي أعظمت من شأن الشمس . ما أنصفت : أي ما استوفيت له حقه .

(3) الدجن : أي المطر .

(4) الرقَّ : أي العبودية والخضوع للمالك .

(5) الغرة : أي الجبهة . غراء : أي بيضاء .

(6) قدره : أي هيئته . حلة : هي الثوب الجيد الجديد غليظاً كان أم رقيقاً . يخطرُ : يتبخر في مشيته .

(7) جحدر : أي الرجل القصير .

(8) تزهرُ : زهر الشيء أي أشرق وتلألأ .

في اليوم المطير ، فكأنها مملوكة لهذه الظواهر الطبيعية التي لا تستطيع دفعها عن نفسها ، أما عرّة الخليفة فهي مشرقة بالأنوار ، ساطعة في كل وقت ، لا تخفيها ظواهر ولا تسترها ظروف ، والأوصاف تقصر دونها .

كما أنه متوسط الطول كالرُمح ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، قد أعطاه الله حُسن الوجه ، وجمال المظهر .

٣- وصف الخليفة بالبدر :

يقول الشاعر في وصف الخليفة المعتصم^(١) :

وَمَعْتَصِمِي الخَلْقَ لِلسَّيْفِ والقَنَا عليه بهاءً حين يَبْدُو وَيُقْبَلُ^(٢)

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بالبَدْرِ طالعًا بَخْسِنَاكَ حَظًّا أَنْتَ أبهى وَأَجْمَلُ^(٣)

فنرى الشاعر يصف جمال الخليفة المعتصم ، ويقول إنه ذو بهاءٍ وجمال ، بل إن في تشبيهه بالبدر الطالع بخساً لحظه ، فهو أبهى وأجمل من البدر .

ويقول في الخليفة المتوكل^(٤) :

يَا بَدْرُ كَيْفَ صَنَعْتَ بالبَدْرِ وَفَضَحْتَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

الدَّهْرَ أَنْتَ بِأَسْرِهِ قَمَرٌ وَلِذَاكَ لِيَلْتَهُ مِنَ الشَّهْرِ

وفي هذه الموازنة نرى أيضاً ترجح كفة الخليفة ، فوجهه منيرٌ ومشرقٌ طوال العام ، بينما يقتصر اكتمال ضوء البدر على ليالٍ محددة من كل شهر وهذه مبالغة جميلة .

ويقول في وصفه هو وولادة عهده^(٥) :

كَأَنَّهُ وَوَلَاةُ العَهْدِ تَتَّبَعُهُ بَدْرُ السَّمَاءِ تَلْتُهُ الأَنْجُمُ الزُّهْرُ^(٦)

فهو بدرٌ وولادة عهده نجومٌ مشرقةٌ من حوله .

(1) الديوان ، ص ١٧٤

(2) معتصمي : نسبة إلى المعتصم والد المتوكل . القنا : جمع القناة ، وهي الرُمح الأجوف .

(3) بخسناك : بحس الشيء أي نقصه .

(4) الديوان ، ص ١٤٣ ، المقطوعة رقم (٨٤) .

(5) الديوان ، ص ١٢٢ ، المقطوعة رقم (٦٤) .

(6) الزُّهر : أي نجومٌ ذات لونٍ أبيض صافٍ مشرقٍ مُضيء .

٤- وصف الخليفة بالشمس والبدر :

يقول الشاعر في وصف الخليفة المتوكل^(١) :

هو شمسُ الضحى إذا أظلمَ الخطُّ بٌ وبدرُ الدجى وسعدُ السُّعودِ^(٢)

فهو يشبهه في إشراقه نور وجهه بشمس الضحى ، وبدر الدجى ، وسعد السعود .

ويقول فيه أيضاً^(٣) :

فتى تسعدُ الأبصارُ في حُسن كما تسعدُ الأيدي بنائله العُمرِ^(٤)

.....

إذا نحنُ شبَّهناه بالبدر طالعاً وبالشمس قالوا حقاً للشمس والبدر

فالشاعر يرى أن مقدار سعادة الناس برويتها لحسن جمال هذا الخليفة يوازي مقدار سعادتها بنيلها للكرم السخي ، وهو بذلك يُشير إلى شدة محبة الناس لهذا الخليفة الذي يفوق جماله جمال الشمس والبدر معاً ، بل إن الشمس والبدر يحقّ لهما أن يُشبَّها في جمالهما بجمال وجه الخليفة ، وهذه مبالغات ممقوتة .
٥- وصف الخليفة بالهلال :

يقول الشاعر في وصف الخليفة المتوكل^(٥) :

رأيتُ الهلالَ على وجهه فلم أدر أيُّهما أنورُ

سوى أن ذاك بعيدُ المحلِّ وهذا قريبٌ لمن ينظرُ

وذاك يغيّبُ وذا حاضرُ وما من يغيّبُ كمن يحضرُ

ونقعُ الهلالِ كثيرٌ لنا ونقعُ الحبيبِ لنا أكثرُ

فالشاعر لما رأى نور وجه الخليفة رأى نور الهلال فيه ، فوقع في حيرة من أمره في معرفة أيهما أكثر نوراً ، الهلال أم وجه الخليفة؟!

لذا نراه يعمد إلى المفاضلة بينهما من حيث القرب والبعد ، والحضور والغياب ، وكثرة المنفعة وقتلها ، فانتهت تلك المفاضلة بترجيح كفة الخليفة ،

(1) الديوان ، ص ١١٠

(2) السُّعود : هي عدة كواكب يُقال لكل واحد منها سعدٌ .

(3) الديوان ، ص ١٣٩ و ١٤٠ .

(4) نائله : أي عطاؤه . العُمر : أي الكثير .

(5) الديوان ، ص ١٣٣ ، المقطوعة رقم (٧٥)

ولا يَجْمَعُ الأموالَ إلا لِبَدَلِها كما لا يُساقُ الهدْيُ إلا إلى النَّحرِ
وما غايةُ المُثني عليه لو أَنَّهُ زُهَيْرٌ والاعشى وامرؤ القيس بن
وَفَرَّقَ شَمَلَ المالِ جُودٌ يَمِينِهِ على أَنَّهُ أَبقى لَهُ أَحْسَنَ الذَّكْرِ

فالشاعر يصف لنا الجانبَ المعنويَّ له ، فيرى أن من شبه البحر والمطر في كثرة مائهما بعباء الخليفة فقد أثنى على البحر والمطر ؛ لأن البحر لو اجتمعت إليه سبعة أبحر أخرى فإنها لا تبلغ مقدار أعطيات أنامل الخليفة العشر .

ويقول فيه أيضاً^(١) :

قال وأين البَحْرُ مِنْ جُودِهِ قلتُ ولا أضعافُهُ أَبْحُرُ
البَحْرُ مَحْصُورٌ لَهُ بِرِزْحِ والجُودُ في كَفْيِهِ لا يُحْصَرُ^(٢)

فهو يصفه بالجود الذي لا يحصره شيء في كفيه ، حتى فاق جود البحار المجتمعمة .

ويقول في وصف كرمه السخي^(٣) :

بَسْرٌ مَنْ رَأى إِمَامٌ عَدْلٍ تَعْرِفُ مِنْ بَحْرِهِ الْبَحَارُ^(٤)
المَلَأُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ ما اِخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
يُرْجَى وَيُخْشَى لِكُلِّ أَمْرٍ كَأَنَّه جَنَّةٌ وَنَارُ
يداه في الجود ضررتان عليه كلتاهما تغار
لم تَأْتِ مِنْهُ اليمينُ شيئاً إلا أَتَتْ مِثْلَهُ اليَسَارُ

فلنحظ جمال الصورة التي جاءت بها هذه الأبيات ، فقد جعل البحار تغرف من بحر كرم الخليفة ، فهو كرم لا مثيل له ، حتى إن يديه قد أصبحتا وكأتهما ضررتان تغار كل واحدة منهما من الأخرى ، فما تُعطيهِ اليمين من عطاء تُعطي مثله اليسار .

(1) الديوان ، ص ١٢٨

(2) البرزخ : الحاجز بين شيئين والمراد هنا قطعة أرض ضيقة ، محصورة بين بحرين ، موصلة بينهما .

(3) الديوان ، ص ١٢٣

(4) سُرٌّ من را : هي سامراء التي بناها المعتصم سنة ٢٢١ ، وانتقل إليها من بغداد .

٨- وصف الخليفة بالشجاعة :

يقول في وصف أخلاق الخليفة الواثق^(١) :

مَلِكٌ يَشْقَى بِهَ الْمَا لُ وَلَا يَشْقَى الْجَلِيسُ^(٢)
 مَلِكٌ تَقْزَعُ مِنْ صَوِّ لَتَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ^(٣)
 أَنْسَ السَّيْفُ بِهِ وَأَسْ تَوْحَشَ الْعَلْقُ النَّفِيسُ^(٤)
 فهو يصفه بالشجاعة والكرم حتى أصبح السيف يأبس بالقرب منه ،
 وتستوحش الجواهر النفيسة منه .

ويقول في الخليفة المعتصم^(٥) :

وَنَظْمٌ إِنْ قَسْنَاكَ بِاللَّيْثِ فِي الْوَعَى فَإِنَّكَ أَحْمَى لِلدَّمَارِ وَأَبْسَلُ^(٦)

فهو خليفة شجاع ، لا تقاس شجاعته بشجاعة الليث ؛ فهو أحمى لذماره
 ورعيته .

ويقول في الخليفة المتوكل^(٧) :

وَتَطْرَبُ الْخَيْلُ إِذَا مَا عَلَا مُتَوْنَهَا فَالْخَيْلُ تَسْتَبْشِرُ^(٨)
 وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ بِأَعْدَائِهِ إِذَا عَلَاهُ الدَّرْعُ وَالْمِغْفَرُ^(٩)

ففي هذين البيتين بين أن الخيل تطرب فرحا وتستبشر النصر عندما يعتلي
 منتهها ، وأن الأرض ترجف بأعدائه عندما تراه متوشحاً درعه ومغفره .
 ويقول في بني العباس^(١٠) :

(1) الديوان ، ص ١٥١

(2) يشقى : الشقاء هو العسر والتعب .

(3) صولته : الصولة أي السطوة في الحرب . الضروس : أي الشديدة المهلكة .

(4) استوحش : أي شعر بوحشة فلم يأبس به . والعلق : هو النفيس من كل شيء يتعلق به
 القلب .

(5) الديوان ، ص ١٧٥

(6) الدمار : كل ما ينبغي حياضته والذود عنه . أبسل : أي أشجع وأعبس عند الحرب .

(7) الديوان ، ص ١٢٨

(8) تستبشر : أي تفرح وتسر .

(9) الدرع : هو قميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس وقاية من السلاح . المغفر :
 زرد يُنسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة .

(10) الديوان ، ص ١٢٥

لبنّي العَبّاس أحْلا
مَ عِظَامٍ وَوَقَارُ (١٢٦)
ولهم في الحرب إقدا
مَ ورأيي وأصنْ طبارُ
ولهم ألسنة تَبْ
ري كما تَبري الشَّفَارُ (١٢٧)

فهو يصفهم بعظمة عقولهم ورجاحتها ، وبشجاعتهم وإقدامهم في الحرب ،
وصبرهم على ضراستها ، وبفصاحة ألسنتهم وبيان منطقتهم ، وبجمال وجوههم
وكأنها النجوم اللامعة في السماء يهتدي بها كل حائر في طريقه .

ويقول فيهم أيضاً (١٢٨) :

سَقِينُمْ وَأَسْقِينُمْ وَمَا زَالَ فَضْلُكُمْ
عَلَى غَيْرِكُمْ فَضْلَ الْوَفَاءِ عَلَى
الْعَدَا
وَمَا زَالَ بَيْتُ اللَّهِ بَيْنَ بِيوتِكُمْ
تَدْبُونَ عَنْهُ بِالْمُهَدَّةِ الْبُثْرِ (١٢٩)

فهو يصفهم بكرمهم وبما منّ الله عليهم من سقيا الحجاج بالماء العذب ،
وبالشجاعة والدفاع عن البيت الحرام بسيوفهم القاطعة ، و بإشراقه وجوهم
وازدیان الملك بها كما ازدانت الأفلاك بالنجوم المشرقة .

٩- وصف الخليفة بفصاحة اللسان :

يقول الشاعر في الخليفة المتوكل (١٣٠) :

وَأَخْطَبُ النَّاسِ عَلَى مَنْبَرٍ
يَخْتَالُ فِي وَطْأَتِهِ الْمَنْبَرُ (١٣١)

فالشاعر يصفه بفصاحة اللسان عند خطابته بالناس ، حتى إن المنبر ليختال
فرحاً عندما تطؤه أقدام الخليفة .

ويقول فيه أيضاً (١٣٢) :

(126) الأحلام : أي العقول . الوقار : أي رزانة العقل ورجاحته .

(127) السنة : جمع لسان وهو عضو النطق عند الإنسان . تبّري : أي تُحدِّدُ . الشَّفَارُ : كلُّ ما
عُرِّضَ وَحَدَّدَ مِنَ الْحَدِيدِ كَالسَيْفِ أَوِ السَّكِينِ .

(128) الديوان ، ص ١٤١

(129) البُتر : جمع الباتر ، وهو من السيوف القاطع .

(130) الديوان ، ص ١٢٨

(131) المنبر : هو مَرَقَاةٌ يَرْتَقِيهَا الْخَطِيبُ أَوْ الْوَاعِظُ فِي الْمَسْجِدِ . يَخْتَالُ : الْخِيَلَاءُ هِيَ
التَّكْبُرُ وَالْعُجْبُ . وَطْأَتُهُ : أَي وَقْفَتُهُ عَلَيْهِ .

(132) الديوان : ص ١٢٦ ، الأبيات (٥ ، ٦ ، ٧) .

- يا وارث الأرض الذي أصبحت أقطارها من نُوره تَزْهَرُ (١)
 قد كان مُشتاقًا إلى خُطْبَةٍ منك سريرُ الملكِ والمِنْبَرِ (٢)
 فأصبحا قد ظفرا بالتِي ما مِثْلُهَا غَنَمٌ لِمَنْ يَظْفَرُ (٣)

فهو يصفه بنور الوجه الساطع حتى إن أقطار الأرض ونواحيها قد أشرفت وتلألأت بفعل ذلك النور القوي الذي انعكس عليها .

ثم نراه يُشخص لنا سرير الملك والمنبر ويخلع عليهما مشاعر الفرح والسرور حينما اعتلاهما الخليفة خاطبا ، ويرى أنهما قد ظفرا بغنيمة لا تماثلها غنيمة أخرى .

ويقول كذلك (٤) :

- إذا ما أجال الرأْي أدركَ فِكْرُهُ غرائبَ لَمْ تَخْطُرْ بِبِالٍ وَلَا فِكْرُ (٥)
 وإنْ ذُكِرَ المَجْدُ القَدِيمُ فإنما يُقْصُّ علينا ما تَنْزَلُ في الزُّبُرِ (٦)

فهو خليفة ملمٌ بجميع دقائق المعلومات وغرائبها ، حتى إنه إذا ذكر المجد القديم فإنه يستطيع أن يقص علينا ما يوجد في الزبور .
 ★ وصف المعارك الحربية :

ومن أوصاف علي بن الجهم الإنسانية التي يشترك فيها الجانبُ الحسِّي والمعنوي في تجلية الصورة وإيضاحها ، أبياته التي <يصف فيها جيش المتوكل بقيادة بغا وقد نهد لقتال إسحاق بن إسماعيل ، فقتله وحمل رأسه إلى الخليفة وفتح أرمينية> (٧) ، والتي يقول فيها (٨) :

- (1) أقطارها : أي نواحيها . تزهَر : أي تُشرق وتتلألأ .
 (2) سرير الملك ، أي كُرسي الخليفة .
 (3) ظفرا : أي فازا . غَنَمٌ : الغنمُ هو الفوز بالشيء في غير مشقة .
 (4) الديوان : ص ١٤٠
 (5) غرائب : أي عجائب .
 (6) الزُّبُر : الكتب السماوية والمفرد زبور . وقد أنزل الله تعالى على داود عليه السلام الزبور .
 (7) علي بن الجهم – حياته وشعره ، ص ١٦١
 (8) الديوان ، ص ١٩٢ ، ١٩٣

جَاوَزَ نَهْرَ الْكَرِّ بِالْخَيْولِ	تَرْدِي بِفَتِيَانٍ كَأَسَدِ الْغَيْلِ (١)
مَعَوَّادَتِ طَلَبِ الدُّحُولِ	خُزِرَ الْعَيُونِ طَيِّبِي النَّصُولِ (٢)
شُعْتُ عَلَى شُعْتٍ مِنَ الْفُحُولِ	جَيْشٌ يَلْفُ الْحَزْنَ بِالسُّهُولِ (٣)
كَأَنَّهُ مُعْتَلِجُ السُّيُولِ	يَسُوسُهُ كَهْلٌ مِنَ الْكُهُولِ (٤)
لَا يَنْتَهِي لِلصَّعْبِ وَالذَّلُولِ	عَلَى أَعْرَ وَاضِحِ الْحُجُولِ (٥)
حَتَّى إِذَا أَصْحَرَ لِلْمَخْدُولِ	نَاجِرَهُ بِصَارِمٍ صَاقِيلِ (٦)
ضَرْبًا طَلْحَقًا لَيْسَ بِالْقَلِيلِ	وَمَنْجَنِيْقٍ مِثْلَ حَلْقِ الْفَيْلِ (٧)
تَرْفُضُ عَنْ خُرْطُومِهِ الطَّوِيلِ	صَوَاعِقُ مِنْ حَجَرِ السَّجَّيْلِ (٨)
تَتْرِكُ كَيْدَ الْقَوْمِ فِي تَضْلِيلِ	مَا كَانَ إِلَّا مِثْلَ رَجْعِ الْقَيْلِ
حَتَّى انْجَلَّتْ عَنْ حَزْبِهِ الْمَقْلُولِ	وَعَنْ نِسَاءٍ حُسْرٍ ذُهُولِ (٩)
صَوَارِخٍ يَعْثُرْنَ فِي الدُّيُولِ	ثَوَاكِلِ الْأَوْلَادِ وَالْبُعُولِ (١٠)

فهو يصف فرسان هذا الجيش بأنهم أقوياء شجعان كأنهم أسد الغابات ، قد امتطوا خيولاً أصيلة ترجم الحصى بحوافرها لشدة سرعتها ، وتوشحوا رماحاً قوية مكنتهم من القتال في كل الأماكن السهلة والغليظة ، وكأنهم السيل الملتطم ،

- (1) الكُرُّ : نهر بين أرمينية وأران يشق مدينة تغليس ، (انظر : معجم البلدان ، مادة الكُرُّ) .
تردى : أي ترجم الحصى بحوافرها .
- (2) الدُّحُولُ : جمع نحل وهو الثَّار . خُزِرَ : جمع أخزر ، وخزراء ، وخزر العين ضيقها وهو كناية عن الغضب . النَّصُولُ : جمع نصل وهي حديدة الرمح أو السهم أو السكين .
- (3) شُعْتُ : أي مُعْبِرٌ . الْفُحُولُ : أي الفانقون فيه . الْحَزْنَ : ما غلظ من الأرض .
- (4) مُعْتَلِجٌ : مُلْتَطِمٌ .
- (5) أَعْرَ : أي بياض في جبهة الفرس . الْحُجُولُ : المحجل من الدواب ، هو ما كان البياض منه في موضع الخلاخيل والقيود وما فوق ذلك .
- (6) أَصْحَرَ : أي برز . الْمَخْدُولُ : أي الذي ترك القتال . نَاجِرُهُ : عاجله وأسرع به .
- (7) طَلْحَقًا : أي شديداً . الْمَنْجَنِيْقُ : هو آلة ترمي بها الحجارة .
- (8) السَّجَّيْلِ : حجارة كالمدر .
- (9) حُسْرٌ : أي نساء مكشوفات الرأس والذراعين .
- (10) الدُّيُولُ : آخر الجيش .

ويقود هذا الجيش قائدٌ قد تجاوز الخمسين من عمره ، ذو حنكة عسكرية لا تُزعزعه الظروف ، يمتطي فرساً أعرّ واضح الحُجول .

فإذا برز فرسان هذا الجيش للمنهزمين من الأعداء فإنهم يُعاجلونهم بسيوفهم المصقولة ، فيضربونهم ضرباً شديداً ، ويطلقون عليهم حجارة من المنجنيق كأنها الصواعق ، لينهزم الأعداء تاركين خلفهم نساءً كاشفاتٍ لرؤوسهن وأذرُعهن ، يبكين لفقد الزوج والأولاد .

كما وصف لنا علي بن الجهم معركة خُساف ، وصور لنا فيها إحساسه بقرب الموت منه ، وهي معركة دارت بينه وبين الأعراب بأرض خُساف حيث هرب من كان معه في القافلة من المقاتلة ، وثبت هو يُقاتلهم قتالاً شديداً ، حيث تاب الناس إليه فدفعهم ولم يحظوا بشيء ؛ فيقول (١) :

صَبَرْتُ وَمِثْلِي صَبْرُهُ لَيْسَ يُنْكَرُ	وَلَيْسَ عَلَى تَرْكِ التَّقَحُّمِ يُعْذَرُ (٢)
وليس الذي يجري من العين ماؤها	ولكنّها رُوحٌ تَذُوبٌ فَتَقْطُرُ (٣)
ولمّا رأيتُ الموتَ تَهْفُو بُؤُودُهُ	وبانتَ علاماتٌ لهُ لَيْسَ تُنْكَرُ (٤)
وأقبلتِ الأعرابُ مِنْ كُلِّ جانبٍ	وشارَ عجاجٌ أسودُ اللّونِ أَكْدرُ (٥)
بكلِّ مُشِيحٍ مُسْتَمِيَتٍ مُشَمَّرٍ	يَجُولُ به طَرْفٌ أَقبُّ مُشَمَّرُ (٦)
بأرضِ خُسافٍ حينَ لم يكُ دافعٌ	ولا مانعٌ إلا الصَفِيحُ المُذْكَرُ (٧)
فَقَلَّلَ في عَيْنِي عَظَمَ جُموعِهِمْ	عزيمَةً قلبٍ فيه ما جَلَّ يَصْغَرُ (٨)

(1) الديوان ، ص ١١٩ .

(2) التَّقَحُّمُ : أي اقتحام الأمر العظيم .

(3) هذا البيت من مجلة العرب ، ج ٣ و ٤ ، رمضان وشوال (١٤٢٥هـ) مج ٤٠ ، ص ٢١١ .

(4) بنوده : أي علاماته .

(5) العجاج : أي العُبار . أكدر : أي نحنا نحو السّواد .

(6) مُشِيحٌ : الحذرُ في أثناء القتال المعرض بوجهه عن أذى السّلاح . مُسْتَمِيَتٌ : أي طالبٌ للموت . مُشَمَّرٌ : أي الجاد المُجتهد في أمره . طَرْفٌ أَقبُّ : الطَرْفُ هو الكريم من الخيل ، والأقب هو الدقيق الخصر الضامر البطن .

(7) خُسافٌ : وهي برية بين بالس وحلب . (انظر : مُعجم البلدان ، مادة خُساف) . الصَفِيحُ المُذْكَرُ : أي السيف العريض .

(8) جَلَّ : أي عَظَمَ .

- بمُعْتَرِكٍ فِيهِ الْمَنَايَا حَوَاسِرٌ وَنَارُ الْوَعَى بِالْمَشْرِفِيَّةِ تُسَعَّرُ^(١)
 فَمَا صُنْتُ وَجْهِي عَن ظُبَاتٍ وَلَا انْحَزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَتَكَسَّرُ^(٢)
 وَلَمْ أَكُ فِي حَرِّ الْكْرِيهَةِ مُحْجَمًا إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرْبِ لِلْوَرْدِ
 إِذَا سَاعَدَ الظَّرْفُ الْفَتَى وَجَنَانَهُ وَأَسْمَرُ خَطِيٍّ وَأَبْيَضُ مِبْتَرُ^(٤)
 فَذَاكَ ، وَإِنْ كَانَ الْكَرِيمُ بِنَفْسِهِ إِذَا اصْطَكَّتِ الْأَبْطَالُ فِي النَّقْعِ
 مَنَعَتْهُمْ مِنْ أَنْ يَنَالُوا قَلَامَةً وَكُنْتُ شَجَاهُمْ وَالْأَسِنَّةُ تَقْطُرُ^(٦)

فالشاعر في هذه الأبيات ينقل إلينا ببراعةٍ تامةٍ صورة الحرب وكأننا مُشتركون فيها ، حيثُ أسهمت الصور المرئية والسمعية في إبراز الصورة ، <فجسم المعنويات وشخصها ، ولون الصورة ودبجها ، وحرك المشاهد بعنف يحكي عنف المعركة>^(٧) ، فنرى الفرسان قد أحاطت بالشاعر من كلِّ مكان ، وأثارت الخيول بحوافرها غباراً أسود ، وقد تعالت أصواتُ سهيل الخيول وخبطها الأرض بحوافرها ، واصطكاك السيوف بعضها ببعض ، وتكسر الرماح ، واستعار النار ، وأخذت المنايا تتلهف لخطف الأرواح ، لكن الشاعر بعزيمته القوية ، وقلبه الشجاع الذي يصغرُ فيه كل عظيم ، واجه هؤلاء الأعراب ببسالة نادرة ، ودربة مُحنكة ولم ينهزم مثل بقية رفاقه ، بل قاتلهم ، ومنعهم من أن ينالوا حتى القلامه .

(1) المنايا : جمع منية وهي الموت . حواسرٌ : جمع حسرى أي مُتلهفة . المشرفية : هي سيوف تُجلب من المشارف منسوبة إليها .

(2) ظبات سيوفهم : أي حد السيوف . القنا : أي الرماح .

(3) الكريهة : أي الحرب . محجماً : أي مُنصرفاً . الورد : عكس الصدر ، وهو الإقبال على الشيء .

(4) الظرف : أي الكريم من الخيل ، جنانه : أي قلبه . أسمر خطي : الأسمر هو الرمح ، والخطي هو الرمح المنسوب إلى الخط ، وهو موضع ببلاد البحرين تُنسب إليه الرماح الخطية . أبيض مِبْتَرٌ : المراد به السيف ، والمعروف في كتب اللغة أن يقال : سيفٌ باتر وبِئَر ، ولكن علي بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة ، فرجحنا هذا الضبط ؛ إذ المُستعمل في القطع من هذه المادة إنما هو (البتر) ، واسم الآلة منه مِبْتَر . (الأغاني ٢١٦/١٠) .

(5) اصطكت : أي اضطربت واصطك أحدها بالآخر . النقع : الغبار الساطع .

(6) قلامه : ما قطع من طرف الظفر أو الحافر أو العود ، وقلامه الظفر مثل في القلة والحقارة . الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح .

(7) علي بن الجهم – حياته وشعره ، ص ١٦١

★ وصف الشيب :

وقد ورد ذكر الشيب في القرآن الكريم ؛ حيث يقول الله تعالى : { قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا }^(١) . كما ذكر الشيب عند كثير من الشعراء ، من ذلك قول أبي العتاهية^(٢) :

بكيْتُ على الشَّبَابِ بدمع عيني فلم يُعْنِ البكاءُ ولا النحيبُ
فيا أسفًا أسِفْتُ على شبابٍ نعاهُ الشَّيبُ والرَّأسُ الخَضِيبُ
عَرَيْتُ من الشَّبَابِ ، وكان عُصْنًا كما يَعْرِى من الورقِ القَضِيبُ
فيا لَيْتَ الشَّبَابِ يَعُودُ يَوْمًا فأخبره بما فَعَلَ المَشِيبُ

وعند ابن الجهم نقرأ أبياته التالية التي يصور فيها جمال منظر الشيب وموقفه منه ، فيقول^(٣) :

فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّيْبِ لَاحَ كَأَنَّهُ ثنَايا حَبِيبِ زارنا مُتَبَسِّمًا^(٤)
فَلَمَّا تَرَاءَتْهُ العُيُونُ تَوَسَّمتْ بَدِيهَةَ أَمْرٍ تَدْعُرُ المَتَوَسِّمًا^(٥)
فلا وأبيكَ الخير ما انْفَكَّ ساطِعُ مِنْ الشَّيْبِ يَجْلُو مِنْ دُجَى اللَّيْلِ
إلى أَنْ أعادَ الدُّهْمَ شُهْبًا ولم يَدَعْ لَنَا من شَيَاتِ الخَيْلِ أَقرَحَ أرثَمًا^(٧)

- (1) الآية من سورة مريم ، آية رقم (٤) .
- (2) ديوان أبي العتاهية ، بدون رقم الطبعة ، تاريخها (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م) ، دار بيروت للطباعة والنشر .
- (3) الديوان ، ص ٢٠٠ .
- (4) الثنايا : هي أربع أسنان في مُقدِّم الفم ثنتان من فوق وثنان من أسفل وواحدتهما ثنية .
- (5) توسمت : توسم الشيء ، أي تفرسه وتعرفه وتبينه . البديهة : هي المفاجأة . تدعره : أي تخيفه وتُفزعُه .
- (6) يجلو : أي يُنظف . دُجى الليل : أي ظلامه . < فنعت بياض الشيب بالسُّطوع ، وسواده بسواد اللَّيْلِ > .
- (7) الدُّهْم : جمع أدهم وهو الأسود . شُهْبًا : الشُّهْبَةُ هي بياض يتخلله سواد . شَيَاتِ الخَيْلِ : جمع شية وهي كل لون يُخالِفُ مُعْظَمَ لون الفرس . الأقرح من الخيل : هو الذي في جبهته قرحة وهي بياض بقدر الدرهم أو دونه . الأرثم : الفرس الذي في طرف أنفه بياض .

هل الشيبُ إلا حليةٌ مُستعارةٌ ومُنذرٌ جَيْشٍ جاءنا مُتقدِّمًا
 فها أنا منه حاسرٌ مُتعمِّمٌ ولم أر مثلي حاسرًا مُتعمِّمًا (١٧٣)
 كأنَّ مكانَ التاجِ سلَكًا مُفصلًا بَنورِ الخُزامى أو جُمئًا
 وَضِيءٌ كَنَصْلِ السِّيفِ إن رَثَّ إذا كان مَصْفُولَ الغرارين
 إذا لم يَشيبْ رأسٌ على الجهلِ لم على المرءِ عارٌ أن يَشيبَ ويهرَمًا

فلشاعر يُشبهه ظهور شعيرات الشيب البيضاء في شعره الأسود بثنايا الحبيب المتبسّم الزائر له ، وبالنهار الذي أجلى ظلام الليل ، وبالسيف اللامع عندما يُخرج من غمده .

وهو يشبه بياض بعض رأسه بالشخص الحاسر المتعمم في آن واحد ، كما أن الشيب عنده هو حلية للإنسان تدل على هيبته ووقاره ، ومنذر له ببدء أيام الهرم والضعف وانتهاء أيام الشباب والقوة .

وتلمع في بيته الأخير حكمة جميلة ، مفادها أنه لا عيب في الشيب والهرم إذا لم يكن على جهل .

ويقول في الشيب أيضًا (١٧٦) :

مِنْ وَرَاءِ الشَّبَابِ شَيْبٌ حَثِيثُ السِّدِّ يِرُ وَاللَّيْلُ مُزْعَجٌ بِنَهَارِ (١٧٧)
 وَمَعَ الصِّحَّةِ السَّقَامُ وَحَالُ الْـ عَزٌّ مَقْرُونَةٌ بِحَالِ صِغَارِ
 لَيْسَ دَارُ الدُّنْيَا بَدَارٌ قَرَارِ فَتَزَوَّدْ مِنْهَا لِدَارِ الْقَرَارِ

فهو يُشبهه مجيء شعر الشيب الأبيض بعد الشعر الأسود بمجيء ضوء النهار الأبيض بعد ظلام الليل الأسود ، ويقرّر أنّ كلَّ شيء في هذه الدنيا سيفنى وينتهي لأنها ليست بدار قرار بل هي دار يتزود منها بالأعمال الصالحة للأخرة .

(173) حاسرٌ : من لاغطاء على رأسه . المتعمم : هو الواضع العمامة على رأسه . والمعنى : أن بياض رأسه أشبه بالحاسر المتعمم في آن واحد .

(174) يوجد في هذا البيت خطأ نحوي في كلمة (سلكًا) والأصح (سلكٌ) .

(175) وضِيءٌ : أي الحسنُ النظيف . رَثَّ غمده : أي بلي . الغرارُ : أي حدُّ السِّيفِ . مخدماً : هو القاطع من السيوف

(176) الديوان ، ص ١٤٤ ، المقطوعة رقم (٨٦)

(177) حثيث : أي السريعُ الجادُّ في أمره .

★ وصف البخيل :

يقول في وصف البخيل وسوء طبعه^(١) :

وليس الفتى مَنْ باتَ يَحْسُبُ رِبْحَهُ بَطِيئًا ضَنِينًا بِالذِي هُوَ رَابِحُهُ
يَرى أَنَّهُ لَا حَقَّ إِلَّا لِنَفْسِهِ عَلَيْهِ وَأَنَّ الْجُودَ بِالْمَالِ فَاضِحُهُ
لَهُ عِلْلٌ دُونَ الطَّعَامِ كَثِيرَةٌ وَوَجْهَةٌ قَبِيحٌ أُرْبَدُ اللَّوْنِ كَالْحُهُ^(٢)
كثِيرُ هُمُومِ النَّفْسِ كَزُّ كَأَنَّهُ مِّنَ الْبُخْلِ قَفْلٌ ضَاعَ عَنْهُ^(٣)

فهذا البخيل حريص على جمع المال وحساب أرباحه ، متحاشياً التصدق منه، فهو يظن أنه ليس لأحد حق في ماله إلا نفسه فقط لذلك تراه كثير الهموم ، ضيق الصدر ، حتى أصبح وجهه قبيحاً أربد اللون ، كأنه القفل الذي ضاع عنه مفتاحه .

★ وصف الغريب :

ويقول في وصف حال الغريب عن أهله ووطنه^(٤) :

طَلَبُ الْمَعَاشِ مُقَرَّقٌ بَيْنَ الْأَحْبَابِ وَالْوَطَنِ
وَمُصَيِّرٌ جَادَ الْجَلِي دِلَى الضَّرَاعَةِ وَالْوَهْنِ^(٥)
حَتَّى يُقَادَ كَمَا يُقَا دُ النَّضْوِ فِي ثَنِي الرَّسَنِ^(٦)
ثُمَّ الْمَنِيَّةَ بَعْدَ ذَا فَكَأَنَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ

إنها صورة معبرة ، لذلك الغريب الذي رحل عن وطنه وأهله من أجل طلب الرزق ، فأخذت رياح الشوق والحنين تعصف به حتى ضعف جلده وصبره وأصبح يقاد كما يقاد ذلك الحيوان المهزول الذي رُبط بطرفي الحبل فأخذ يرعى وهو مقيد به ، فإذا ما جاءت المنية كان كمن لم يكن أصلاً .

(1) الديوان ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، الأبيات (١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١)

(2) أربد اللون : أي أحمر حمرة فيها سواد عند الغضب . كالحة : أي عابس .

(3) كزُّ : أي ضيق

(4) الديوان ، ص ٢٢٢ ، المقطوعة رقم (١٧٤)

(5) جلد : صبر . الضراعة : أي الخضوع . والوهن : الضعف .

(6) النضو : الحيوان الهزيل . ثني : أي طرفا الحبل . الرسن : ما شد على الدابة من الحبل .

(ب) – الوصف الوجداني :

لقد مرَّ الشاعر بعدة مواقف عصبية في حياته ، أثرت في نفسه أشدَّ التأثير ، وتركت بصماتها على شعره الذي صور لنا فيه ما عاناه وقاساه من الآم .
★ إحساسه بالسجن :

تعدُّ قصائد علي بن الجهم في السجن أعلى شعره قيمة ، وأكثرها أصالة ، وأوضحها تصويراً لشخصية صاحبها ، وأقدرها على مدنا بالتجربة التي عانها الشاعر^(١) ، فبعد أن كان ابن الجهم مقرباً من المتوكل ومن أخصَّ ندمائه إليه ، إذا به يزج في غياهب السجون بسبب تأمر أعدائه عليه ، وقيامهم بالسعي بالوشاية به عند المتوكل حتى تغير قلبه عليه فأمر بسجنه ومصادرة أمواله .

وقد أشارت بعض كتب التاريخ والأدب والتراجم إلى قصيدته الدالية في السجن ؛ حيث قال المسعودي : <وله في الحبس شعرٌ معروفٌ لم يسبقه إلى معناه أحدٌ>^(٢) ، ووافقه أبو الفرج الإصفهاني فقال : <وأحسن شعر قاله في الحبس قصيدته التي أولها : قالت حبست ...>^(٣) ، كما أشار إلى هذه القصيدة ابن خلكان فقال : <وله وقد حبس أبياته المشهورة ...>^(٤) .

يقول علي بن الجهم مخاطباً نفسه وواصفاً لها إحساسه بالسجن^(٥) :

قالت حبست فقلت ليس بضائر	حبسي وأيُّ مهتدٍ لا يعمدُ
أوما رأيت الليث يالف غيله	كبراً وأوباش السباع تردد ^(٦)
والشمس لولا أنها محجوبة	عن ناظرِك لما أضاء الفرقد ^(٧)
والبدر يدركه السرار فتجلي	أيامه وكأله متجدد ^(٨)

(1) علي بن الجهم – حياته وشعره ، ص ١٨٠

(2) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ / ١١٤

(3) الأغاني ، ١٠ / ٢١٣ ؛ والغمد : هو غلاف السيف .

(4) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ٣ / ٣٥٧

(5) الديوان ، ص ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ ، القصيدة رقم (٣٧) ، الأبيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧)

(6) غيله : أي موضع الأسد وهو عرينه . أوباش السباع : أي جموع السباع .

(7) الفرقد : أي النجم القطبي

(8) السرار : آخر ليلة فيه .

والغَيْثُ يَحْصُرُهُ الْعَمَامُ فَمَا يُرَى
إِلَّا وَرَيْقَهُ يِرَاحُ وَيِرْعُدُ^(١)
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْنَدُ^(٢)
وَالزَّرَاعِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا
إِلَّا النُّقَافُ وَجَدْوَةٌ تَتَوَقَّدُ^(٣)

فهو وصفٌ جميلٌ مؤثرٌ في كوامن النفس ، فنفس الشاعر قالت له كلمة <حُبست> فقط ، لكنها كانت كالشعلة التي هيجت مشاعر الشاعر فأجابها مُحدداً موقفه من السجن منذ البيت الأول بقوله : <ليس بضائر> ، لأنه كالسيف الذي رُدَّ إلى غمده ، والأسد الذي أوى إلى عرينه ، والشمس التي احتجبت خلف ظلام الليل ، والبدر الذي يولد من جديد بعد أن أدركته ليالي الشهر الأخيرة فأخفته ، والغيث الذي حصره السحاب في داخله فما نرى غير أوله فقط ، والنار التي اختبأت بين الأحجار تنتظر من يشعلها ، والرماح التي أحرقتها جنوة النار من أجل أن تقوم كعوبها .

وهذه الأوصاف تعكس مدى قوة الشاعر وصلابته في مواجهة الظروف القسية التي لن تقهره .
★ إحساسه بالصلب :

بعد أن تجاوز الشاعر محنة سجنه إذا به يواجه محنة صلبه ؛ حيث صدر أمر المتوكل بنفيه إلى خراسان ، فسجن هناك وصلب عارياً يوماً كاملاً .
يقول علي بن الجهم في حادثة صلبه مجرداً بخراسان على يد ظاهر بن عبد الله^(٤) :

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ صَبِيحَةَ الْـ
إِثْنَيْنِ مَعْمُورًا وَلَا مَجْهُولًا^(٥)
نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلءَ عَيْونِهِمْ
شَرَفًا وَمِلءَ صُدُورِهِمْ تَبْجِيلًا

(1) الغمام : أي السحاب . وريقه : أي أوله .
(2) تصطلي : أي تشتعل . الأزند : العود الأعلى الذي تُقدح به النار .
(3) الزرّاعية : هي رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج اسمه زاعب كان يعمل الرّماح . كعوبها : هي العقدة بين الأنبوبتين . النقاف : آلة من خشب تُسوى بها الرّماح .
(4) الديوان ، ص ١٨٥ ، القصيدة رقم (١٣٣) ، الأبيات رقم (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧)
(

(5) الشّاذياخ : هي من ضواحي نيسابور ، أو بلاد خراسان ، وكانت قديماً بستان لعبد الله بن ظاهر ملاًصفاً لمدينة نيسابور ، فبنى فيها دار له . (انظر : معجم البلدان مادة الشّاذياخ)

- ما ازداد إلا رفعة بئكولِهِ
 هل كان إلا الليث فارق غيبه
 لا يأمن الأعداء من شدّاته
 ما عبه أن بزّ عنه لباسه
 إن يبتذل فالبدر لا يزرّي به
 وانزادت الأعداء عنه نُكولا (١)
 فرأيتُهُ في محمَلٍ محمولا (٢)
 شدّاً يقصّل هامهم تقصيلاً (٣)
 فالسيفُ أهولُ ما يرى مسلولاً (٤)
 أن كان ليلة تمّه مبذولاً (٥)

ففسّ الشاعر الصابرة ترى في الصلّب شرقاً وتبجلاً لها ، فأعداؤه أرادوا التنكيل به بصلبه ، لكن الصلّب زاده رفعة فزادت أعداؤه فراراً وإحجاماً عنه ، فهو كالليث الذي حمّله الأعداء على محمَلٍ خوفاً من قوته وبطشه وكالسيف والبدر أحسن وأروع ما يكونان وهما عريتان .
 ★ إحساسه بالأم الجوى :

وصف علي بن الجهم في قصيدته الرّصافية إحساسه بألم الحُبّ الذي أرسلته سهام عيون المها ، وتعتبر قصيدته هذه من أشهر قصائد الشاعر وبها اشتهر بين الأدباء ولا سيما المتأخرين منهم (٦) . يقول فيها (٧) :

- عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرَّصَافَةِ وَالْجِسْرِ
 جَبْنُ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَنْرِي وَلَا
 أَعْدَنَ لِي الشُّوقَ الْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ
 سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدَنْ جَمْرًا عَلِي
 سَلِمَنْ وَأَسْلَمَنْ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا
 تُشَكُّ بِأَطْرَافِ الْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ (١٠)

(1) يُرِيدُ بِنِكْوَلَةِ الْأُولَى : التَّنْكِيلَ بِهِ ، وَبِالْثَّانِيَةِ : الْفِرَارَ وَالْإِحْجَامَ عَنْهُ .

(2) مَحْمَلٌ : الْعِدْلَانُ عَلَى جَانِبِي الدَّابَّةِ يُحْمَلُ فِيهِمَا .

(3) شَدَّاتِهِ : أَي قُوَّتِهِ وَمَثْنُهُ . هَامِمٌ : الْهَامَةُ هِيَ الرَّأْسُ .

(4) بُزَّ : أَي نَزَعَهُ وَأَخَذَهُ بِجَفَاءٍ وَقَهْرٍ . أَهْوَلُ : أَي أَخْوَفُ وَأَرْعَبُ .

(5) ابْتَذَلَ الرَّجُلُ : أَي امْتَهَنَهُ .

(6) الدِّيوان ، ص ١٣٥ ، الهامش ، السطر رقم (٦)

(7) الدِّيوان ، ص ١٣٥ ، القصيدة رقم (٨٠) ، الأبيات رقم (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦)

(8) الرّصافة : هِيَ رُصَافَةُ بَغْدَادَ ، وَهِيَ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْعِرَاقِ ، بَنَاهَا الْمَهْدِيُّ بِأَمْرِ مِنْ أَبِيهِ وَبِهَا جَامِعٌ . (انظر معجم البلدان ، مادة الرّصافة) . الجسر : هُوَ الْجِسْرُ الَّذِي يُعْبَرُ عَلَيْهِ .

(9) سَلَوْتُ : سَلَاهُ ، أَي نَسِيَهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ بَعْدَ فِرَاقِهِ .

(10) تُشَكُّ : شَكَّ الشَّيْءُ أَي طَعَنَهُ . الْمُثَقَّفَةُ السُّمْرِ : أَي الرَّمَّاحُ الْمُقَوِّمَةُ .

وَقَلْنَ لَنَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ إِنَّمَا تِضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بِلَيْلٍ وَلَا
فَلَا بَدَلَ إِلَّا مَا تَزَوَّدَ نَاطِرٌ وَلَا وَصَلَ إِلَّا بِالْخِيَالِ الَّذِي
أَزْحَنَ رَسَيْسَ الْقَلْبِ عَن مُسْتَقَرِّهِ وَالْهَبْنُ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ (٣)

فهذه العيون التي لحظها الشاعر ما بين الرُصافه والجسر قد جلبت له الهوى من حيث يدري ومن حيث لا يدري ، وأعدت له الشوق القديم الذي لم تسَل نفسه منه ، فكانت كالجمره التي زيدت على جمر آخر فأوقدته وزادت من آلامه وتباريحه حتى أصبح قلبه كأنما يُقَطع بأطراف الرِّمَّاح السُّمر .

ثم نرى أن هذه العيون قد أخذت تخاطب الشاعر واصفة له نفسها بالأهله التي تضيء من بعيد في ظلام الليل للسائرين ، فهذه العيون التي لمعت للشاعر من بعيد يقتصر كرمها على تزويده بالنظر إليها ، ويقتصر الوصل بها على الخيال فقط ، فكان لهذا الوصف وقعه المؤلم على قلب الشاعر الذي انزاح من مكانه ، واشتعلت نيران الهوى بين أضلاعه .
★ إحساسه بالغربة :

قد يشعر الإنسان في لحظة من لحظات إبداعه بغربة، وقد يكون فعلاً يعيش حالة غربة ، وقد شعر علي بن الجهم بغربة ذكرها في أبياته التالية وهي آخر ما قاله من الشعر (٤) :

وَارْحَمْنَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّأ زح ماذا بنفسه صنعا (٥)
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا
كَانَ عَزِيزًا بِقُرْبِ دَارِهِمْ حَتَّى إِذَا مَا تَبَاعَدُوا خَشَعَا
يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وَعَرَبْتِيهِ عَدَلٌ مِنَ اللَّهِ كُلُّ مَا صَنَعَا

فالشاعر قد اكتوى بنار الغربة التي فرقت بينه وبين أحبائه ، وصيرته بعد

(1) الأهله : جمع هلال . نُقْرِي : القَرَى والقَرَاء هو الضيافة والكرم ، ونُقْرِي أي تُضيف . يسري : أي قطع الليل بالسير فيه . والمعنى أَنَّهُن يُنظرن وَلَا يُقْرِن .

(2) بَدَل : البذل هو ما جاء عن طيب نفس .

(3) الرسييس : هو الشيء الثابت الذي لزم مكانه . ألهبن : أي أشعلته وهيجته . الجوانح : جمع جانحة وهي ضلع قصيرة مما يلي الصدر .

(4) الديوان ، ص ١٥٩ ، المقطوعة رقم (١٠٣)

(5) النَّازح : أي البعيد .

العزة بقربه من ديارهم إلى الخشوع والخضوع ببعده عنها ، لكن نفسه السامية كانت خير معين له في غربته ، وذلك بإيمانها الصادق بعدل الله تعالى في كل أمر يقدره .

من خلال عرضي لأوصاف الشاعر في البعد الإنساني ، تبين لي إكثاره من وصف الخلفاء ؛ حيث وصفهم بالصُّبح وبالشمس والبدر والهلال والنجوم والبحر والشجاعة والفصاحة .

كذلك وصف الشاعر الشيب وصوره تصويراً رائعاً ، ووصف البخيل والغريب ، ووصف مجموعة من أحاسيسه تمثلت في إحساسه بالسجن وإحساسه بالصَّلب وإحساسه بألم الجوى وإحساسه بالغرابة .

ثانيا : البعد الحيواني

لقد عني الشعراء منذ القدم بتصوير كل ما يقع تحت أعينهم من مظاهر الطبيعة الساكنة والمتحركة فجاء شعرهم وصفاً لهيئاتها وأحوالها . فنرى أن النقاد يخصون فن الوصف <بالحيوان والنبات والأرض والماء والنار والسماء>^(١) .

وقد اهتم علي بن الجهم بهذا الفن حيث <لم يكتف بالاستعانة به على أداء أغراضه المختلفة من مديح وهجاء وفخر وغزل وحماسة ، وما إلى ذلك ، وإنما قصد إليه قصداً وجعله غرضاً أصيلاً من أغراض شعره>^(٢) .

ولما كان الحيوان من أهم مظاهر البيئة وأشدّها اتصالاً بالإنسان فقد برع الشاعر في وصفه ، وإبراز محاسن خلقته ، ومظاهر قوته ونشاطه ، وكانت الإبل هي من أكثر الحيوانات وصفاً عنده ، حيث شكل وصفه لها نصف أوصافه الحيوانية ، التي تمثلت في وصفه لحيّة وجوادٍ وكلاب الصيد والطائر الجارح .
الإبل :

وهي <من أعظم الحيوانات التي عرفها العرب ، وقد ارتبط اسمها بالصحراء لمقاومتها لظروفها القاسية>^(٣) .

ولما كان علي بن الجهم من أبناء هذه الصحراء الواسعة ، فقد اتصل بالإبل وركبها ، وانفعل بشكلها الخارجي الذي يتجلى فيه عظمة الخالق وإبداعه ، كما انفعل بحركتها السريعة التي جعلتها تجوب الفلاة في وقت قصير .
١- وصف الشكل الخارجي لها :

يقول الشاعر في النياق التي ارتحل عليها إلى الخليفة المعتصم^(٤) :

إِيَّاكَ خَلِيفَةَ اللَّهِ اسْتَقَلَّتْ قَلَانِصُ مِثْلُ مُجْفَلَةِ النَّعَامِ^(٥)

تراها كالسّراةِ مَعْمَمَاتٍ إلى اللَّبَّاتِ مِنْ جَعْدِ اللَّغَامِ^(٦)

(1) الوصف ، ص ٦ .

(2) علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ١٥٦

(3) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول د/ أنور عليان أبو سويلم ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ص ١١٣

(4) الديوان ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧

(5) استقلت : مضت وارتحلت . والقلائص : جمع قلووس وهي من الإبل الناقة الشابة . مجفلة : شاردة ونافرة .

(6) السراة : جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء يقال له السراة ، وإنما سمي بذلك لعلوه . (انظر معجم البلدان ، مادة السراة ، وانظر : لسان العرب ، مادة <السراة>) .

تَهاوَى بَيْنَ هَدَّارٍ نَجِيٍّ	وَقُورِ الرَّحْلِ طَيَّاشِ الزَّمَامِ (٢١٨)
وَبَيْنَ شِمْلَةٍ تَطْعَى إِذَا مَا	تَهَافَّتِ الْمَطِيَّ مِنْ السَّامِ (٢١٩)
جَزَعَنْ قَاطِرَ القَاطُولِ لِيلاً	وَأَعْرَاضَ المَاطِيرَةِ للمُقَامِ (٢٢٠)
فَعُجِنَ بِهَا وَقَدْ أَنْضَى طَلاها	قِرَانُ اللَّيْلِ بِاللَّيْلِ التَّمَامِ (٢٢١)
وَكُنَّ نَواهِضَ الأَعْنَاقِ عُلباً	فَعُدْنَ وَهَنَّ قَضبانُ التَّمَامِ (٢٢٢)
فَشَبَّهَها مَواقِعَها بِعَفْدٍ	تَساقُطِ مَنْ فَرِيدٍ أَوْ نِظامِ (٢٢٣)

إنه تصوير جميل لحركة هذه النياق التي تسير بسرعة شديدة تشبه سرعة النعام الشارد من العدو ، والناظر إليها يراها كجبال السراة في علو أسنمتها وضخامة أجسامها وتتابعها ، ويرى أن أعالي أفواها قد عمه زبد أبيض متراكم أخذ يزبد منها عند إسراعها بالسير إلى أن غطى نحرها فهي تسير سيراً شديداً ما بين بغير سريع ، رزين الرحل ومضطرب الزمام من شدة العدو ، وبين ناقة سريعة تتفوق على غيرها من النوق التي تساقطت من التعب والملل .

ونياقه السريعة هذه استطاعت أن تعبر الجسر الذي فوق نهر القاطول ليلاً ، لتقطع وادي المطيرة وتصل إلى قصر الخليفة ، وعندما توقفت ظهر الهزال على أعناقها التي أخذت شكل أغصان الثمام المتقوسة ولما بركت هذه الإبل ، بركت

(218) الهدار : من هدر البعير إذا ردد صوته في حنجرته . النجى : أي السريع . تهاوى : أي تسير سيراً شديداً . وقوراً : أي رزين . الرحل : ما يوضع على ظهر البعير للركوب . الزمام : الخيط الذي يشد في البرة . أو الخشاش ثم يشد إلى طرف المقود . طياش : الطيش هو خفة العقل وهو ضد الوقار والرزانة .

(219) شملة : أي سريعة . تهافتت : أي تساقطت شيئاً فشيئاً . السام : أي الملل ، وفي الديوان (السنام) وهو خطأ .

(220) جزع : أي قطع وجزأ . القاطول : نهر عند سامراء مقطوع من دجلة مما يلي بغداد ويصب في النهروان . (انظر معجم البلدان - مادة قاطول) . قاطر : جمع قنطرة وهي جسر منقوس مبني فوق النهر يعبر عليه . أعراض : جمع عرض وهو واد فيه شجر . المطيرة : قرية من نواحي سامراء . (انظر معجم البلدان - مادة مطيرة) .

(221) عاج بالمكان أقام ، وعاج السائر : وقف . أنضى بغيره إنضاءً : أي أهزله بكثرة السير . والطفى : هي الأعناق . التمام : الليل الطويل .

(222) العلب : غلاظ الأعناق . الثمام : عُشب من الفصيلة النجيلية وهو نبت ضعيف . قضبان : جمع قضيب وهو الغصن .

(223) الفريد : الدر الذي نُظِمَ وفُصِّلَ بغيره . والنظام : هو الخيط الذي يُنظَمُ به اللؤلؤ ونحوه .

متفرقة عن بعضها البعض وكأنها حبات الدرّ التي انفرطت من العقد .
ويقول أيضاً^(١) :

بَخِيفَانَةٍ كَالْقَصْرِ وَجَنَاءَ حُرَّةٍ نَمْنُهَا مِنَ النَّوْقِ الْهَجَانِ
مُذَكَّرَةٌ خَرَقًا مُضَبَّرَةٌ الْقَرَا يَفُوتُ يَدَ الْعَادِيِّ مِنْهَا الْمَشَارِفُ^(٣)
كَأَيِّ وَرَحْلِي فَوْقَ أَحْقَبَ لَاحَهُ طِرَادُ جِيَادٍ وَقَعُهَا مُتْرَاصِفُ^(٤)

فراه يصف هذه الناقة بالجرادة في شدة سرعتها ، وبالقصر في ضخامة
بدنها ، ويعظم وجنتيها ، فهي كريمة معتقة لوجود صفة في أذنّها تدل على
أصالتها . كما أن هذه الناقة تنتمي إلى النوق البيض الكرام ، اللينة في السير والتي
تعهدت تربيتها وتغذيتها . فهي قوية كالجمال في الخلق والخلق ، شديدة السرعة لا
تتعهد مواضع قوائمها . وموثق ظهرها ، حتى إن الرجل (العادي) وهو الذي
ينتمي إلى قوم عاد المشهورين بطولهم وقوتهم وضخامة أجسادهم لو أراد أن
يلمس سنامها بيده لم يتمكن من ذلك لبعده سنامها .

ثم يشبه الشاعر هذه الناقة التي ركبها ووضع عليها رحله ، بالحمار الوحشي
الأبيض البطن الذي غيره وأضره المطاردة المستمرة من الجياد له .
ويقول في وصف مظهر ناقته^(٥) :

وَأَخُو فِلاَةٍ سَهْوَقٍ وَسَقَتْ لَهُ خُنْفٌ نَوَاحِلُ كَالْقِيسِيِّ ذَوَابِلُ^(٦)
أَوْ كَالْإِرَانِ تَضَاعَلَتْ أَنْقَاضُهُ وَكَذَاكَ ظَاهِرُ آلِهَاتٍ مُتَضَائِلُ^(٧)

- (1) مجلة العرب ، مج ٤٠ ، ج ٣ و ٤ ، ص ٢١٦ .
- (2) خيفانة : الجرادة ، وناقة خيفانة : أي سريعة فهي مثل الجرادة في السرعة . الوجناء :
العظيمة الوجنتين . الهجان : البيض الكرام . الخوانف : اللينة في السير .
- (3) مذكرة : أي ناقة متشبهة بالجمال في الخلق والخلق . يفوت : أي يسبق . مُضَبَّرُ الخلق :
أي الموثق الخلق . القرا : أي الظهر . المشارف : أي الأماكن المرتفعة والمقصود هنا
(سنام الناقة) .
- (4) أحقب : أي الحمار الوحشي الذي في بطنه بياض . لاحه : أي غيره وأضره . الطراد :
أي فرسان الطرد . وقعها : أي صوت حوافرها . متراصف أي منتظم .
- (5) مجلة العرب ، مج ٤٠ . ج ٣ و ٤ ، رمضان وشوال ١٤٢٥ هـ ص ٢١٩ .
- (6) السهوق : أي الصحراء الواسعة . وسقت حملت . خنف : أي اللينة اليدين في السير .
نواحل : أي نحيفات ضامرات . القيسي : أي الرماح . ذوابل : أي دقيقات يابسات .
- (7) الإران : الثور الوحشي . تضاعلت : تضاعل الشيء أي تقبض وانضم بعضه إلى بعض
 . أنقاضه : أي بنيته . آلهة : الآل : السراب ، والآل كذلك بمعنى الشخص .

أَوْ كَالْقِدَاحِ أَجَالَهَا ذُو مِيعَةٍ	جَدْلَانُ مِنْ نُجْبَاءِ قَارَةَ نَابِلٍ (٢٣١)
أَفْنَى ثَمَائِلِهَا الْوَجِيفُ وَسَائِقٌ	عَرْدٌ يُمَاطِلُهَا النَّدَى وَثُمَاطِلٌ (٢٣٢)
يَقْصُ الْإِكَامَ بِهَا مَشِيقٌ عَيْطَلٌ	مُتَخَدِّدُ الْخَدَّيْنِ أَقْلِحُ بَاسِلٌ (٢٣٣)
يَنْتَلُو سُوَارِدَهَا عَلَى عِلَاتِهِ	مَرَحًا كَمَا يَنْتَلُو السَّنَانَ الْعَامِلُ (٢٣٤)
فَإِذَا اسْتَرَابَ بَرَبُوعَةٍ أَوْ رَهْوَةٍ	فَلَهْنًا عَنْهُ تَجَانْفٌ وَتَزَايِلٌ (٢٣٥)

يبدأ علي بن الجهم أبياته بوصف نفسه بحبه للصحراء الواسعة ، والتي سار فيها على ظهر إبل اتصفت بلين يديها في السير وضمورها حتى كأنها الرِّمَّاح اليابسة الدقيقة أو الثور الوحشي الذي انضم بعض أجزاء بدنه إلى بعض ، وقد تضاءلت شخوصها لطول السفر ، وهي كذلك مثل أعواد السهام التي أدارها رجل ذو نشاط وفرح لأنه من خيار قبيلة قارة الماهرين برمي السهام .

لقد أفنى سيرها السريع ما بقي في بطنها من الماء والعلف . فسائقها كان يطيل

(231) القِدَاحُ : جمع قِدْح وهو السهم قبل أن يُنصَلَ ويراش . قال أبو حنيفة : والقِدْح العود إذا بلغ فشُدَّب عنه الغصن ، وقطع على مقدار النبل الذي يراد من الطول والقصر . أجل : أي أداره . ذو مِيعَةٍ : المِيعَةُ أول كل شيء وأنشطه . جدلان : أي انتصب وثبت . نجباء : أي خيارها . قارة : اسم قبيلة ، وهم عَصَلُ والدبش بن الهون بن خزيمة ، وإنما سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم لما أراد الدخاش أن يفرقهم في بني كنانة ، وهم رُماة الحدق في الجاهلية . قال أبو عبيدة : وإنما قيل : <أنصف القارة من رامها> في حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة : قال : وكانت القارة مع قريش وهم قوم رُماة فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون ، فقيل : قد أنصفهم هؤلاء إذ ساووه في العمل الذي هو من شأنهم وصناعتهم (انظر : مجمع الأمثال ، للميداني ، تحقيق : د / جان عبد الله ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، دار صادر ، الجزء الثاني ، ص ٥٦٥) . نابل : أي صاحب النبل .

(232) ثمائِلُها : أي البقية من العلف والشراب في بطن العبير . الوجيف : السرعة في السير . عَرْدٌ : هو كل إنسان صانت طرب في الصوت .

(233) يَقْصُ : أي يقطع ويشق . الآكام : الموضع الأكثر ارتفاعا عما حوله . مشِيقٌ : ضامر خفيف . عَيْطَلٌ : طويل . متخدد : أي المهزول . أقْلِحُ : أي الذي تغلو أسنانه صفرة . باسل أي عابس وجهه لقوته .

(234) يَنْتَلُو : أي يعقب . الشوارد : سير الإبل . السنان : نصل الرمح . العامل : أعلى الرمح مما يلي السنان .

(235) استراب به : أي رأى منه ما يريبه ، والريبة : الظن والشك والتهمة . ربوة : الأماكن المرتفعة . رهوة : الأماكن المنخفضة .

لها الحداء والإشاد فكانت تتجاوب معه وتمده بشيء فريد من السرعة ، وكانت هذه الإبل تشق الأماكن المرتفعة يتبعها بعير ضامر اللحم ، طويل مهزول الخدين ، علا أسنانه صفرة علبس الوجه لقوته وشدته . وهو يتبعها في المسير على حاله وطبيعته ، كأنه العامل الذي يتبع نصل الرمح دائماً ، فإذا أخذته الرابية بالمكان المرتفع أو المنخفض فإن هذه الإبل تأخذ في الانحراف والابتعاد عنه .
٢- وصف سرعة الناقة :

وصف الشاعر سرعة ناقته التي أوردته إلى ديار أبيه وعمه بخراسان فقال^(١) :

نَشَطَتْ عَقْلَهَا فَهَبَّتْ هُبُوبَ الْـ رِيحِ خَرْقَاءَ تَخْبِطُ الْبُلْدَانَ^(٢)
أُورِدْتَنَا حُلْوَانَ ظَهْرًا وَقَرْمِيـ سَيْنَ لَيْلًا وَصَبَّحَتْ هَمْدَانَ^(٣)
أَنْظَرْتَنَا إِذَا مَرَرْنَا بِمَرُـ وَوَرِدْنَا الرِّزِيقَ وَالْمَاجَاتَا^(٤)

فهي سريعة ونشيطة وعندما ركبها ازدادت نشاطاً واستطاعت أن تنفك من عقالها الذي عقلت به لتسابق الهبوب السريعة جرياً ، حتى إنها لا تتعهد مواضع قوائمها ، بل تخبط الأرض بيديها بقوة شديدة ، لقد وصلت إلى مدينة حلوان في وقت الظهر وإلى قرميسين في الليل ومع إشراقة أنوار الصباح وصلت إلى همدان ، وهناك تمهلت هذه الناقة لتتوقف في مدينة <مرو> حيث دار أبيه الجهم وعمه إدريس ، فوقف الشاعر عليها ليسلم على أهله ويسأل عن أخبارهم مفتخراً ومتباهياً بموطنه .
الحية :

لقد تناول الشعراء الحية بالوصف ، فلم يدعوا عضواً من جسمها إلا وقد تطرقوا إليه وبرعوا في وصفه ، كالرأس والعين والفم والناب والسم ، حتى الأماكن التي كانت تأوي إليها وتسكنها أو تمر بها^(٥) .

ويقول الجاحظ في وصفها : <وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم

(1) الديوان ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، المقطوعة رقم (١٦٧)

(2) العُقْلَة : ما يعقل به كالقيد أو العقال . خرقاء : أي الناقة التي لا تتعهد مواضع قوائمها .
تخبط : أي تخبط الأرض بيديها

(3) حلوان مدينة في آخر حدود السواد مما يلي جبال بغداد (انظر : معجم البلدان - مادة حلوان - قرميسين : مدينة بين همدان وحلوان (انظر : معجم البلدان - مادة - قرميسين) .

(4) مرو : أشهر مدن خراسان وبها الرزيق والماجان وهما نهران كبيران يخترقان شوارعها . (انظر : معجم البلدان - مادة مرو)

(5) الحية في التراث العربي ، د/ أحمد إسماعيل أبو يحيى ، قدم له د/ ياسين الأيوبي ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) المكتبة العصرية - بيروت ص ١٢٥

الحية إلا والحية أقوى بدءاً منه أضعافاً> (١) .

ويؤكد قول الجاحظ ، الأبيات التالية التي يصف فيها علي بن الجهم حية لقيها هو وأصحابه في طريقهم يقول فيها(٢) :

عُجْنَا المَطِيَّ ونحنُ تحتَ الحاجرِ بَيْنَ الأَبَارِقِ والسَّبِيلِ العَامِرِ (٣)
 وإذا بداهيّةٍ كأنَّ حَفِيْقَهَا بَيْنَ الثَّمَامِ حَفِيْفٌ لَيْثٌ خَادِرِ (٤)
 صَمَاءَ لو نَفَخْتَ ثَبِيرًا نَفْحَةً لَانْسَاحِ أو لَهْوِي هَوِيَّ الطَّائِرِ (٥)
 فدَعَوْتُ وَحشًا فاستجابَ فلمْ نجدُ للأمرِ عِزًّا مِثْلَ قُرْبِ النَّاصِرِ
 وَسَمَتِ إليَّ فبادرَتْها ضَرْبَةً تَرَكْتَ معالمَهَا كَرَسَمِ دَاثِرِ (٦)

فهذه الأبيات جاءت في قالب الأسلوب القصصي المشوق ، فعندما عطف الشاعر هو ورفاقه رؤوس مطاياهم لتتوقف وترتاح من عناء الرحلة في موضع <الحاجر> ما بين تلك الرمال الغامرة والحجارة الغليظة ، وإذا بحية بين أعشاب الثمام تحف حفيفا كأنه حفيف الأسد الذي عراه فتور واسترخاء .

ويصف الشاعر هذه الحية بأنها صماء ، لكنها قوية جداً حتى إنها لو نفخت جبل ثبير لانشق أو سقط من مكانه مثلما يسقط الطير من السماء فدعا الشاعر رفيقه واسمه وحش ليساعده على قتلها ، فلبى دعوته وأقبل إليه لينصره ، لكن الحية لما أحست بدنو الشاعر منها سمت نحوه تريد غرس أنيابها فيه ، فعاجلها الشاعر بضربة قضت عليها وجعلت جثتها كالأثر الذي درس .

(1) الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية (١٣٨٥هـ - ١٩٨٦م) مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الجزء الرابع ، ص ١١١ ، وانظر نهاية الأرب في فنون الأدب ١٠ / ١٣٦ .

(2) الديوان ، ص ١٤٢ ، المقطوعة رقم (٨١)

(3) عجنا : عاج الراكب البعير أي عطف رأسه بالزمام . الحاجر : موضع بطريق مكة (انظر معجم البلدان مادة <الحاجر>) الأبارق : جمع أبرق وهو غلظ فيه حجارة وطين . الغامر : هو ما غمر بالماء أو الرمل .

(4) داھية : الأفعى . حفيف الأفعى : صوت جلدها . خادر : أي الذي عراه فتور واسترخاء . الثمام : نبت ضعيف لا يطول .

(5) ثبير : جبل بمكة . (انظر : معجم البلدان - مادة ثبير) انساح : أي اندفع وانشق .

(6) داثر : أي قدم ودرس .

ويقول في وصف جسم الحية^(١) :

جَسْمٌ كَعُودِ أَرَاكِ مَا يُرْتَضَى لِسَوَاكِ^(٢)

مَا فِيهِ نَفْعٌ لِبَاغٍ إِلَّا انْتِحَالٌ سَوَاكِ^(٣)

إنها تشبه عود السواك في دقتها وتحولها ، لكنه سواك لا يصلح أن يتسوك به ، فلا يوجد في جسمها نفع لمن يعتدي عليها إلا أن يدعي أنه عود سواك .
الجواد :

لقد <وصف العباسيون الخيل فأوغلوا في رسمها>^(٤) ، <فجاء وصفهم لهذا الحيوان على جانب كبير من الدقة والتفصيل والتنويع>^(٥) . لكننا لا نحظى في شعر علي بن الجهم بالكثير من الأبيات في وصف الخيل ، وإنما نجد لديه بعض الأبيات فقط ، منها بيتان قالهما في وصف جواد <يعرض فيهما أبرز ما يتحلى به الجواد الأصيل>^(٦) . يقول فيها^(٧) :

فَوْقَ طَرْفٍ كَالطَّرْفِ فِي سُرْعَةٍ دَّ وَكَالْقَلْبِ قَلْبُهُ فِي الذِّكَاكِ^(٨)

مَا تَرَاهُ الْعُيُونُ إِلَّا خَيْالًا^ش وَهُوَ مِثْلُ الْخَيْالِ فِي الْإِنطِوَاءِ^(٩)

إنه جواد سريع جدًا ، يشبه الجفن في سرعة تحركه ، فلا تراه العيون إلا كما ترى الخيال ، كما أنه سريع اليقظة والذكاء .
ونجد لديه بيتًا في وصف سرعة الخيل يقول فيه^(١٠) :

(1) الديوان ، ص ١٧٠ ، المقطوعة رقم (١١٩) .

(2) الأراك : هو شجر السواك واحده أراك .

(3) باغ : الباغي هو من تجاوز الحد واعتدى على غيره . انتحال : انتحل الشيء أي ادعاه لنفسه وهو لغيره .

(4) الوصف ، ص ٥٥

(5) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، ص ١٢٣

(6) علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ١٥٩

(7) الديوان ، ص ٥٨ ، المقطوعة رقم (٣) .

(8) الطَّرْفُ : هو الكريم من الخيل . الطَّرْفُ : العين أو الجفن . الشد : الجذب .

(9) الخيال : ما تشبّه لك في اليقظة والمنام من صورة . الإنطواء : أثبتت همزة الوصل اضطراراً والأصل الانطواء .

(10) مجلة العرب ، ج ٣ و ٤ ، رمضان وشوال ١٤٢٥ هـ ، مج ٤٠ ص ٢٠٤

نَسَجَتْ سَنَابِكُهَا سَمَاءً فَوْقَهَا جعلتْ أَسِنَّةَ نُجُومِ سَمَاءٍ (١)

إن هذه الخيل من شدة سرعتها أثارت حوافرها غباراً كثيفاً فوقها كأنه الليل
وكان أسنة الرماح وهي تلمع فيه نجوم ذلك الليل .

كلاب الصيد وطائره الجارح :

والكلاب أصناف لا يحيط بها إلا من أطال الكلام ، وجملة ذلك أن ما كان
منها للصيد فهي الضراء ، وواحدتها ضروة ، وهي الجوارح والكواسب ، ونحن
لا نعرف منها إلا السلوقية ، وهي من أحرار الكلاب وعتاقها (٢) .

ولما أطلق أبو طاهر عليّ بن الجهم من الحبس أقام معه بالشاذياخ مدة
فخرجوا يوماً إلى الصيد واتفق لهم مرج كثير من الطير والوحش ، وكانت أيام
الزعفران ، فاصطادوا صيداً كثيراً حسناً ، وأقاموا يشربون على الزعفران ، فقال
علي بن الجهم يصف ذلك (٣) :

وَطِنْنَا رِيَاضَ الزَّعْفَرَانِ وَأَمْسَكْتَ عَلَيْنَا الْبُزَاةَ الْبَيْضَ حُمْرَ

٤٤ - ٤٥

وَلَمْ تَحْمِهَا الْأَدْعَالُ مِنَّا وَإِنَّمَا أَبْحَنَّا حِمَاَهَا بِالْكَلابِ النَّوَابِجِ (٥)

بِمُسْتَرَوِحَاتٍ سَابِحَاتٍ بَطُونُهَا عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالَ السَّهَامِ

٦١ - ٦٢

وَمُسْتَشْرِفَاتٍ بِالْهُوَادِي كَأَنَّهَا وَمَا عَقَفْتَ مِنْهَا رُؤُوسُ

٦٧ - ٦٨

(1) السنبك : طرف الحفر وجانباه من القدم . الأسنة : هي جمع سنان وهو نصل الرمح .

(2) الحيوان ص ٣١١/١ . وانظر الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، ص ١٣١ .

(3) الأغاني ، ٢٢٧/١٠ . وانظر الديوان ، ص ٨٤ ، المقطوعة رقم (٣٣) .

(4) البزاة : جمع بازي وهو جنس من الصقور . الدراج جمع دارج وهو نوع من الطير
يدرج في مشيه .

(5) الأدغال : جمع دغل وهو الشجر الكثير الملتف الذي يتوارى فيه للختل والغيلة . النواجج
: كالنواجج فنباج الكلب أي نباحه

(6) مستروحات : استروح الشيء أي تشممه . سابحات : أي سريعات . السزوالج : أي
السرعة .

(7) الهوادي : الأعناق . عقت : أي عطف وعوجت . الصوالج : جمع صولج وهي عصا
معقوف طرفها .

وَمِنْ دَالِعَاتِ أَلْسِنًا فَكَأَنَّهَا
لِحَى مِنْ رَجَالٍ خَاضِعِينَ
فَلَيْتَا بِهَا الْغَيْطَانَ فَلَيْتَا كَأَنَّهَا
أَنَامِلُ إِحْدَى الْغَانِيَاتِ الْحَوَالِجِ (١)
فَقُلْ لِبُغَاةِ الصَّيْدِ هَلْ مِنْ مُفَاخِرِ
بِصِيدٍ وَهَلْ مِنْ وَاصِفٍ أَوْ
قَرْنًا بُزَاةً بِالصَّقُورِ وَحَوْمَتٍ
شَوَاهِينَا مِنْ بَعْدِ صَيْدِ الزَّمَامِجِ (٤)

إن هذه المقطوعة <تمثل تمثيلاً دقيقاً لخروج سراة العصر في رحلات جماعية إلى المروج في مواسم الصيد واستخدامهم لوسائل صيد متعددة يطلقونها وراء الوحش والطيور ، كالكلاب والبزاة والصقور والشواهين والزمامج وهي نوع من العقبان> (٥) .

فنرى طيور البازي وقد انطلقت مسرعة خلف طيور الدراج الحمراء لتصطادها ؛ حيث لم تتمكن من الاحتماء عنها بالأشجار الكثيفة لوجود كلاب الصيد التي حامت حولها . وهي تنبح مفزعة الطرائد .

ويصف علي بن الجهم هذه الكلاب بقوة حاسة الشم لديها حيث إنها تستطيع أن تعرف موقع فريستها من خلال شم رائحتها عن بعد ، فإذا أبصرتها انطلقت مسرعة خلفها سابحة بطونها كأنها السهام السريعة ، كما أنها تتميز بطول أعناقها وانعطفاتها كأنها رأس العصا المعقوف طرفها . فإذا أسرع بالعدو أخرجت ألسنتها من أفواهها <طمعاً في الفريسة كأنها لحي مسترسلة ممتدة> (٦) .

لقد تمكنت هذه الكلاب من صيد جميع الطرائد التي احتضنها ذلك المرج وكأنها أصابع الفتاة الجميلة التي أخذت تندف القطن حتى خلصته من الحب ، لذلك نرى الشاعر يتحدى هواة الصيد بأن يفخروا بصيد أكثر من صيده ، أو أن يصفوا رحلة صيد أجمل من وصفه ، أو أن يخرج معه أحدهم ليناهاض بالصيد لمعرفة أيهما الصياد الماهر والذي توفرت له وسائل الصيد القوية .

(1) دالعات ألسنا : أي مخرجات ألسنتها . كواسج : جمع كوسج وهو الذي لحيته على ذقنه لا على عارضيه .

(2) الحوالج : جمع حالجة وهي التي تندف القطن حتى يخلع الحب منه .

(3) مخارج : من خارجه إذا ناهده وناهاضه في الصيد .

(4) حومت : أي دارت . الشواهين : جمع شاهين وهو طائر من جوارح الطير وسباعها ، من جنس الصقر . الزمامج : جمع زمج وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب تغلب على لونه الحمرة .

(5) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ص ٣٦٥

(6) المصدر السابق ، ص ٣٦٥

ونلاحظ أن هذه المقطوعة اختصت بوصف كلاب الصيد <أما وسائل الصيد الأخرى ، فيشير إليها الشاعر إشارة عابرة -في بيته الأخير- فيذكر البزاة والصقور والشواهين والعقبان ، أما الطرائد المصادة من الوحوش فهي غير مذكورة ، ومن الطير يذكر الدراج الأحمر> (١) .

ويصف علي بن الجهم طائر الصيد الجارح بقوله (٢) :

وقد حملنا كل مستوفزٍ أدبه الحاذق واختاراً (٣)
مضطرمّ تحسبه طالباً عند جميع الناس أوتاراً
يفتق حملايين عن مقلةٍ يخالها الناظر ديناراً (٤)
صادقةً تعمل لحظاً إلى مقاتل الطائر نظاراً
مخاتل لئن له جلجلٌ لم يأل عذاراً وإنذاراً (٥)
كأنه شغلة نار إذا عاين قبجاً أو خشنشاراً (٦)
أو عربيّ فاتك ثائرٌ يخاف في تقصيره العاراً (٧)

لقد حرص الشاعر هو ورفاقه في رحلاتهم الصيادية هذه على حمل الطائر الجارح المستعد للانقضاض على الفرائس والذي اختاره أمهر مدربي الطيور الجارحة ، فقد أدبه ودرّبه على طرق الصيد والقنص ، لذلك تجده مضطرمّاً دائماً وكان له تاراً يطلبه من جميع الناس .

والناظر إليه يلحظ أن جفنيه يفتقان ويوسعان عن عين من يراها يظن أنها دينارٌ ، وهي حادة النظر تقوم بمراقبة الطرائد فإذا أبصر شيئاً منها انطلق إليه

(1) المصدر السابق . ص ٣٦٥ و ٣٦٦

(2) مجلة العرب ، ج ٣ و ٤ ، رمضان - شوال ١٤٢٥ هـ ، مج ٤٠ ، ص ٢١٢

(3) المستوفز : أي المتأهب الذي أخذ وضع الاستعداد للانقضاض . الحاذق : أي الماهر بعمله .

(4) حملايين : الحملوق هو ما غطي من الجفون بياض العين . والمقلة : العين كلها .

(5) المخاتل : الماكر المخادع . والجلجلة : الحركة مع الصوت الجهير الشديد .

(6) القبيج : هو الحجل وهو جنس طيور تصاد . خشنشار : هو طائر من طيور الماء .

(7) فاتك : أي ركب ما تدعو إليه نفسه غير مبالٍ . الثائر : أي الذي لا يبقي على شيء حتى يدرك ثاره .

بكل مكرٍ وخداعٍ غير مُبالٍ أو عابه بإنذارها أو إعدارها فلا تسمع سوى صوت
انطلاقه الجهير الناتج عن شدة اندفاعه . فهو عندما يرى القبح أو الخشنشار يكون
كشعلةِ النَّارِ أو العربيِّ المنذِّعِ في طلبِ النَّارِ من عدوه غير عابه بأحد .

من خلال ما سبق تبين لي إبداع الشاعر في أوصافه في البعد الحيواني ؛
حيث وصف الناقة وصور لنا شكلها الخارجي وما وهبها الله من محاسن خلقية ،
وصور لنا مدى سرعتها ونشاطها . كذلك وصف الشاعر الحية ودقة جسمها ،
ووصف الجواد وشدة سرعته ، ووصف كلاب الصيد الماهرة في معرفة موقع
طرائدها ، ووصف الطائر الجارح .

ثالثا : الطبيعة والحضارة :

إلى جانب اهتمام علي بن الجهم بوصف الحيوان اهتم كذلك بوصف الطبيعة والتي تمثلت في تصويره للورد والريحان ، والليل ، والسحابة ، والمطر ، ووادي العقيق .

وقد جاءت أكثر أوصافه للطبيعة على شكل مقطوعات اتسمت بسلاسة الأسلوب وسهولته ما عدا وصفه للوادي والسحابة ، فقد جاء وصفه لهما مقدمتان لقصيدتين طويلتين ، كانت الأولى في مدح الخليفة المتوكل ، والثانية في رثائه .

واهتم كذلك بوصف آثار الحضارة التي تجلت بصورة باهرة في قصور الخلفاء <التي أفتنوا فيها وجعلوها بهجة للعين والنفس> (٢٧٧) .

وكان القصر الهاروني للخليفة الواثق بالله هارون بن المعتصم ، هو القصر الذي حظي بوصف علي بن الجهم له ، فقد صورته تصويراً حسيّاً دقيقاً ، يثير في النفس الإحساس بمدى جماله وفخامته .

ومن مظاهر الحضارة الأخرى التي صورها علي بن الجهم ، نجد لديه قصيدتين إحداهما في وصف منزل مُقَيّن وما فيه من أنواع اللهو والإغراء ، والأخرى في وصف أجزاء السفينة وملاحيها ، وهاتان القصيدتان هما من أوجود ما لى الشاعر في باب الوصف (٢٧٨) .

(أ) وصف الطبيعة :

★ الورد

لقد أكثر الشعراء من وصف الورد وتفننوا في ذلك ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء ابن الرومي والبحثري . ولابن الرومي أبيات جميلة منها أبياته التالية في النرجس (٢٧٩) :

خجلت خدود الورد من تفضيله	خجلاً تورّدها عليه شاهدُ
لم يخجل الورد المورد لونه	إلا وناجله الفضيلة عاندُ
فصل القضية أن هذا قائد	زهرَ الرياض وأن هذا طاردُ

<كان للورد أوفى نصيب من وصف الشاعر ، فهو يبث فيه الحياة ، ويملاً

(277) في الشعر العباسي الرؤية والفن ، عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية (١٩٩٤م) ، ص ٣٨٤ .

(278) انظر علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ١٦٤

(279) ديوان ابن الرومي ، تحقيق : د. حسين نصار ، بدون رقم الطبعة ، تاريخها (١٩٧٤م) ، مطبعة دار الكتب بمصر ، ٦٤٣/٢ .

نفسه بحب الجمال> (١) فيقول في وصفه (٢) :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أَعْجَبَهُ
بَدَا فَأَبْدَتْ لَنَا الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا
مَا عَايَنْتُ قُضْبُ الرِّيحَانِ طَلَعَتْهُ
بَيْنَ النَّدِيمِينَ وَالْخَلِيِّنَ مَضْجَعُهُ
قَامَتْ بِحُجَّتِهِ رِيحٌ مُعْطَّرَةٌ
فَبَادَرَتْهُ يَدُ الْمُشْتَاقِ تُسْنِدُهُ
كَأَنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ صَبَابَتِهِ
لَا عَذَّبَ اللَّهُ إِلَّا مَنْ يُعَذِّبُهُ

حُسْنُ النَّبَاتِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْعَرْدِ
وَرَا حَتِ الرَّاحُ فِي أَثْوَابِهَا الْجُدْدِ
إِلَّا تَبَيَّنَ فِيهَا ذَلَّةُ الْحَسَدِ
وَسَيْرُهُ مِنْ يَدِ مَوْصُولَةٍ بِيَدِ
تَجَلُّو الْقُلُوبَ مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْكَمَدِ
إِلَى التَّرَائِبِ وَالْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ (٦)
أَوْ مَانِعًا جَفْنَ عَيْنِيهِ مِنَ السَّهْدِ (٧)
بِمُسْمَعٍ بَارِدٍ أَوْ صَاحِبِ نَكْدِ (٨)

لقد أبدع الشاعر في تصوير تلك الورود التي أعجبها جمال الرياض المتلألئة بأنوار الربيع ، وتغريد الطيور الشجية ، فبدأت تتفتح ، وبدأت الدنيا تكشف عن محاسنها الرائعة ، فشعرت النفوس بنشوة لا تقل عن نشوتها بالراح . وكانت الرياحين ذوات القصب الجرداء قد امتلأت منافسة وحسداً وغيره لهذه الورود المتفتحة ذات العطر الزكي ، لذلك مالت أغصانها ذلة وصغاراً> (٩) .

ثم إن هذه الورود قد اتخذت لها مضجعاً بين المتصاحبين على الشراب والمسامرة ، وبين المتحابين المتفقين في الهوى ، فهم يتهادونه فيما بينهم كرمز للمحبة والمودة ، فهو حلقة الوصل بين يد المحب الهادي ويد المحبوب المهدي إليه ، كما أن أريج العبق وشذاه الفواح ، الذي استطاع أن يصل إلى أعماق

(1) علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ١٥٩ .

(2) الديوان ، ص ١٠٤ المقطوعة رقم (٥٠) .

(3) حسن النبات : حسن الرياض .

(4) راحت الراح : أي نشوة الخمر

(5) تجلُّو : أي تكشف وتزيل . الأوصاب : أي الوجع والمرض . الكمد : أي الحزن الشديد .

(6) الترائب : عظام الصدر مما يلي الترقوتين . الأحشاء : جمع حشا وهو مادون الحجاب مما يلي البطن كله من الكبد والطحال .

(7) صبابته : أي مرارة شوقه . السهد : الأرق وعدم النوم .

(8) بمسمع : المغني .

(9) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، ص ٣٣٩ .

القلوب فيخلصها من الأحزان والأوجاع ، أقوى دليل وأصدق شاهد يؤكد شغف الناس به <حتى إنهم ليضمونه إلى الصدور والأحشاء والكبد يريدون أن يطفئوا نيران أشواقهم ، ويشفوا به لوعات صبابتهم وسهادهم الطويل> (١) .

والشاعر في بيته الأخير <يحدب عليه حدب الأم الحانية التي لا تريد أن يعكر صفو وحيدها المدلل معكراً أو ينال من شعوره المرهف مؤثراً> (٢) ، فأخذ يدعو على من يعذبه بأن يعذبه الله بسماع مغنّ بارد أو بمصاحبة صاحب نكد .
ويقول في وصفه أيضاً (٣) :

أَمَا تَرَى شَجَرَاتِ الْوَرْدِ مُظْهِرَةً لَنَا بَدَائِعَ قَدْ رُكِّبْنَ فِي قَضْبِ (٤)
كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ يُطِيفُ بِهَا زَبْرَجْدٌ وَسَطْهَا شَدْرٌ مِنَ الذَّهَبِ (٥)

إنه وصف دقيق لتلك الورود التي استثارت حس الشاعر فأخذ يمعن بدقة وإبداع في تشبيه كل جزء منها ، فقد أظهرت للناظر إليها بدائع في غاية الحسن والجمال ، فتجد أنها قد رُكبت في أغصانها الخضراء وكأنها أحجار اليواقيت الحمراء التي أحاط بها زبرجد أخضر وفي وسطها قطع من الذهب الأصفر ، والصورة هذه هي من قول أرديشير <الورد ياقوت أحمر وأصفر ودرُّ أبيض على كرسي زبرجد يتوسطه شذور الذهب> (٦) .

وأجمل من ذلك ، أبياته التالية التي يصف فيها الورد وصفاً رائعاً ، حيث يشبهه بفتاة جميلة ، تميز كل عضو فيه بمحاكاته للون بعض الأحجار الكريمة ،

(1) تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني ، ص ٢٣٣ ،

(2) علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ١٦٠

(3) الديوان ، ص ٧٣ المقطوعة رقم (١٩) ، وتنسب هذه الأبيات لابن المعتز وابن الرومي أيضاً .

(4) بدائع : بدع الشيء بداعة وبدوعاً : أي صار غاية في صفته ، قضب : جمع قضيب وهو الغصن .

(5) يواقيت : جمع ياقوت وهو حجر من الأحجار الكريمة ، وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ، ولونه في الغالب شفافاً مشرباً بالحمرة أو الزرقة أو الصفرة ويستعمل للزينة ، يطيف : أي يدور ويحوم حوله . زبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر المصري والأصفر القبرصي .

(6) تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني ، ص ١٩٢

والمعادن الثمينة ، فيقول (١) :

صَفْرَاءُ تَضْحَكُ عَنْهَا رَوْضَةٌ أَنْفُ فِي وَصْفِهَا عَجَبٌ نَاهِيكَ مِينُ
الجِسْمُ فِيهَا قَضِيبٌ فِي زُمْرِدَةٍ والجفنُ مِنْ فِضَّةٍ والعَيْنُ مِنْ ذَهَبِ
كَأَنَّ رَشْحَ النَّدى مِنْ حَوْلِ نَاطِرِهَا (دمع) (*) تَرَقَّرَقَ فِي أَجْفَانِ

فهذه الورود ذات اللون الأصفر قد امتلأت بها روضة لم ترع من قبل فكان لها من أوصاف الجمال ما يروع الناظر إليها ، فجسمها غصن أخضر قد علاه كأس أخضر كأنه حجر الزمرد أما جفنها فهو أوراق فضية اللون كأنها من معدن الفضة ، و عينها عبارة عن ميسم أصفر كأنه قطعة من معدن الذهب . وقد أخذت قطرات الندى تسيل من أوراق هذه الورود كأنها الدمع الذي يسيل من أجفان الشخص الشديد البكاء ، وهذه صورة تدل على صنعة للشعر ، لوجود التناقض بين الفرح والدمع .

كما يقول في وصف لون أوراق الوردة ومدى نعومتها(٤) :

عَشِيَّةٌ حَيَّانِي بَوْرْدٍ كَأَنَّهُ خُدُودٌ أَضِيْقَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ
إنه يشبه هذه الوردة التي حياها بها صاحبه ، بالخدود المتلاصقة وذلك في جمال حرمتها ونعومة ملمسها ، وروعة ترتيب ورقها .

ونجده كذلك يصف الورد بأوصاف محبوبته فيقول(٥) :

مَا أَخْطَأَ الْوَرْدُ مِنْكَ لَوْ نَا وَطِيْبَ رِيحٍ وَلَا مِلَالَا
أَقَامَ حَتَّى إِذَا أَنْسَنَا بِقُرْبِهِ أَنْسَرَ عَ انْتِقَالَا

فقد شبه لون الورد بلون محبوبته الأبيض المشوب بحمرة ، وشبه رائحته الذكية برائحة عطرها اللطيف ، وشبه سرعة زوال شذاه بسرعة تغير عهد المحبوبة وسرعة فراقها(٦) .

(1) مجلة العرب ، ج ٣ و ٤ ، رمضان - شوال ١٤٢٥ هـ ، ص ٢٠٥ . وقد جاء البيت الأول بلفظة (صَفْرَاءُ) .

(2) روضة أنف : أي لم ترع من قبل . العجب : روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشيء .
(*) جاء هذا البيت بلفظة (دم) .

(4) الديوان ، ص ١٥٦ ، المقطوعة رقم (٩٧)

(5) السابق ، ص ١٨٤ ، المقطوعة رقم (١٣٢)

(6) ينظر الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، ص ٣٣٣ .

★ اللَّيْل :

إن من أشهر الشعراء الذين عنوا بوصف الليل وتصويره ، هو بشار بن برد ، ذلك الشاعر الضرير الذي استطاع وصف الليل على الرغم من فقدته لبصره ، من ذلك أبياته التي يقول فيها^(١) :

خَلِيلِي مَا بَالُ الدُّجَى لَا تَرْحُزُحُ وَمَا لِعَمُودِ الصُّبْحِ لَا يَتَوَضَّحُ
أَضَلَّ النَّهَارُ الْمَسْتَنِيرُ طَرِيقَهُ أَمْ الدَّهْرُ لَيْلٌ كَلَّهُ لَيْسَ يَبْرَحُ
وَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى كَانَهُ بَلِيلِينَ مَوْصُولٌ فَمَا يَتْرَحُزُحُ
كَيْأَنَّ الدُّجَى زَادَتْ وَمَا زَادَتْ وَلَكِنْ أَطَالَ اللَّيْلُ هَمٌّ مُبْرَحُ

ومن مظاهر الطبيعة التي وصفها علي بن الجهم : الليل ، وقد عني في تصويره له بناحيتين مهمتين : التقسيم والتشخيص الدقيق ، والعناية باللون ؛ فيقول في وصف شدة طول الليل وعدم انقضائه^(٢) :

كَمْ قَدْ تَجَهَّمَنِي السَّرَى وَأَزَالَنِي لَيْلٌ يَأْوِءُ بِصَدْرِهِ مُتَطَاوِلُ^(٣)
وَهَزَزَتْ أَعْنَاقَ الْمَطِيِّ أَسُومَهَا قَصْدًا وَيَحْجُبُهَا السَّوَادُ الشَّامِلُ^(٤)
حَتَّى تَوَلَّى اللَّيْلُ ثَانِي عِطْفِهِ وَكَأَنَّ آخِرَهُ خِضَابٌ نَاصِلُ^(٥)
وَحَرَجْتُ مِنْ أَعْجَازِهِ وَكَأَنَّمَا يَهْتَزُّ فِي بَرْدِي رُمْحٌ ذَابِلُ^(٦)
وَرَأَيْتُ أَعْغَاشَ الدُّجَى وَكَأَنَّهَا حَزَقُ النَّعَامِ دُعْرَنَ فَهِيَ جَوَافِلُ^(٧)

(1) ديوان بشار بن برد ، تحقيق: محمد الطاهر ابن عاشور ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار الثقافة - بيروت - لبنان ، ١٠٤/٢ .

(2) الديوان ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، المقطوعة رقم (١٢٤) .

(3) تجهمه : أي استقبله بوجه كرية ، والسرى : سير عامة الليل ينوء : أي أثقله وأماله .
أزالني : أي جعلني في ضيق .

(4) أسومها : أي أكلفها السير قصداً .

(5) ثاني عطفه : ثنى الشيء وعطفه ورد بعضه على بعض والعطف هو الجانب . خضاب ناصل : أي صبغ حناء زائل .

(6) أعجازه : العجز مؤخرة الشيء . بردي : كساء مخطط يلتحف به . ذابل : أي رمح دقيق .

(7) الأغباش : جمع غبش وهو بقية الليل . والحزق : جمع حزقة وهي الجماعة . جوافل : أي شاردة ونافرة .

وَحَمَيْتُ أَصْحَابِي الْكَرَى وَكَأَنَّهُمْ فَوْقَ الْقِلاصِ الْيَعْمَلَاتِ أَجَادِلُ^(١)

فالشاعر في هذه الأبيات يشكو من كثرة ما حلَّ عليه الليل بوجهه الكريه الذي طال عليه حتى صار في ضيق وهم أثقل به صدره ، فقام إلى إبله يكلفها السير قصداً حتى اهتزت أعناقها في مسيرها ، وكان الليل بسواده الشامل يحجبها عن ناظريه ، فظلت تسير حتى تولى ذلك الليل وهو ثاني عطفه ، وأخذ سواده يذهب تدريجياً حتى أصبح لونه كأنه صبغ الحناء الزائل ، وخرج الشاعر من آخره كأنه رمح ذابل يهتز في كسائه الذي يلتحف به ، وذلك من شدة البرد ، ثم أخذت بقايا ذلك الليل تغيب سريعاً تحت وطأة النهار الساطع ، كأنها جماعة النعام الشارد فزعا من الصيد ، عندها قام الشاعر إلى رفاقه الذين منعهم من النوم طوال الليل حتى كأنهم وهم فوق نوقهم النجبية صقور قوية حادة النظر .

ويقول كذلك في وصف ليلة شديدة الظلام^(٢) :

وَلَيْلَةٌ كُحِلَتْ بِالنَّقْسِ مُقْلَتْهَا أَلْقَتْ قِنَاعَ الدُّجَى فِي كُلِّ أَخْدُودٍ^(٣)

قَدْ كَادَ يُغْرِقُنِي أَمْوَاجُ ظَلْمَتِهَا لَوْلَا اقْتِبَاسِي سَنَى مِنْ وَجْهِ

إن سواد عين هذه الليلة يشبه نفس سواد الكحل ؛ حيث رمت بأغظيتها المظلمة في كل شقوق الأرض حتى كاد الشاعر يغرق في أمواج ظلمتها ، لولا اقتباسه من وجه داود ضوءاً ساطعاً بدد ظلام تلك الليلة .

كما وصف ذلك الليل الذي كان فيه جريحاً قبيل وفاته فيقول^(٥) : < من المجتث >

أَزِيدُ فِي اللَّيْلِ لَيْلُ أَمْ سَأَلَ بِالصُّبْحِ سَيْلُ

يَا إِخْوَتِي بِدُجَيْلٍ وَأَيُّنَ مِنْي دُجَيْلُ^(٦)

(1) القلاص : جمع قلوص وهي الشابة من الإبل . واليعملات : جمع يعملة وهي الناقة النجبية . والأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .

(2) الديوان ، ص ١٠٦ ، المقطوعة رقم (٥١)

(3) بالنقس : النقس هو المداد الذي يُكتحل به . مقلتها أي عينها . قناع الدجى : غطاء الظلام . أخدود : الأخدود هو الشق المستطيل في الأرض .

(4) سنَى : أي ضوء ساطع

(5) الديوان ، ص ١٨٣ ، المقطوعة رقم (١٢٩)

(6) دجيل : اسم نهر في موضعين أحدهم مخرجه أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل للقادسية دون سامراء ، وإياه عنى علي بن الجهم ، والآخر نهر الأهواز ، (انظر : معجم البلدان - مادة - دجيل) .

فهو يصور طوله وعدم انجلائه ، وكأنه قد زيد فيه ليل آخر ، وسال بأثوار الصبح سيل عارم ، <وهي معاناة حقيقية أحسها علي بن الجهم ، وعبر عنها بهذين البيتين الصادقين ، حيث نسمع صراخه في الليل الطويل المهول يطلب انكشافه ، ونشعر باستغاثته الحارة بإخوته لينقذوه من آلامه التي لا تبارحها> (١) .

★ السحابة والمطر :

ويصف الشاعر <سحابة سافقتها ريح الصَّبَا نحو إقليم العراق ، فلما رأت الثرى يرنو إليها ببصره ويرجو عندها الري جادته بغيثها العميم ، فملأت ودياته ، وأمرعت أرضه ، وكست مروجه بالخضرة ، وتوجت أشجاره بالزهر ، فبدأ كالعروس ترفل ببرودها وتزهو بوشيحها ، وظل دأبها كذلك حتى أغنت العراق من فقر ، وأخصبته من جذب ، فلما شعرت أنها قضت حقه عليها ، ولت مسرعة> (٢) . فيقول (٣) :

وسَارِيَةٍ تَرْتَادُ أَرْضًا تَجُودُهَا	شَعَلْتُ بِهَا عَيْنًا قَلِيلًا هُجُودُهَا (٤)
أَتْنَا بِهَا رِيحُ الصَّبَا وَكَأَنَّهَا	فَتَاهُ تُزَجِّيهَا عَجُوزٌ تَقُودُهَا (٥)
تَمِيسُ بِهَا مَيْسًا فَلَا هِيَ إِنْ وَتَتْ	نَهْتَهَا وَلَا إِنْ أَسْرَعَتْ تَسْتَعِيدُهَا (٦)
إِذَا فَارَقَتْهَا سَاعَةً وَلِهَتْ بِهَا	كَأَمَّ وَلِيدٍ غَابَ عَنْهَا وَلِيدُهَا
فَلَمَّا أَضْرَّتْ بِالْعُيُونِ بُرُوقَهَا	وَكَادَتْ تُصِمُّ السَّامِعِينَ رُعودُهَا
وَكَادَتْ تَمِيسُ الْأَرْضُ إِمَّا تَلْهُفَا	وَإِمَّا حِذَارًا أَنْ يَضِيعَ مُرِيدُهَا
فَلَمَّا رَأَتْ حُرَّ الثَّرَى مُتَعَقِدًا	بِمَا زَلَّ مِنْهَا وَالرُّبَى تَسْتَزِيدُهَا (٧)

(1) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، ص ٦٩ .

(2) علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ١٣٤ .

(3) الديوان ، ص ١١٣ ، المقطوعة رقم (٥٩) .

(4) السارية : السحابة تأتي ليلاً . ترتاد : تطلب . الهجود : النوم .

(5) تزجيها : زجي الشيء ، دفعه برفق .

(6) تميمس : أي تتبختر وتختال في مشيتها . ونت : الونى : أي الضعف ، وونى أي فتر وضعف . نهى : زجر . استعاد : أي سأله أن يعود .

(7) متعقدًا : أي متراكما . زلّ : أي زلق ومر سريعًا . الرُّبَى : جمع ربوة وهي الأماكن المرتفعة .

وَأَنَّ أَقَالِيمَ الْعِرَاقِ فَقِيرَةٌ إِلَيْهَا أَقَامَتْ بِالْعِرَاقِ تَجُودُهَا
فَمَا بَرَحَتْ بَعْدَادُ حَتَّى تَفَجَّرَتْ بِأُودِيَةِ مَا تَسْتَفِيقُ مُدُودُهَا (١)
وَحَتَّى رَأَيْنَا الطَّيْرَ فِي جَنَابَتِهَا تَكَادُ أَكْفُ الْعَانِيَاتِ تَصِيدُهَا
وَحَتَّى اكْتَسَتْ مِنْ كُلِّ نَوْرٍ كَأَنَّهَا عَرُوسٌ زَهَاها وَشَيْهًا وَبُرُودُهَا (٢)
وَدِجْلَةٌ كَالدَّرْعِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهَا لَهَا حَلَقٌ يَبْدُو وَيَخْفَى حَدِيدُهَا (٣)
فَلَمَّا قَضَتْ حَقَّ الْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ أَتَاهَا مِنَ الرِّيحِ الشَّمَالِ بَرِيدُهَا (٤)
فَمَرَّتْ تَفُوتُ الطَّرْفَ سَبْقًا كَأَمَّا جُنُودُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَكَتَّ بُنُودُهَا (٥)

لقد <أوفى علي بن الجهم وصف السحاب والمطر غايته القصوى ، فراح يحشد لمشاهدها جهداً فنياً ضخماً ، ومضى يرسم لها مناظر رائعة تعتمد على الملاحظة الدقيقة لأشكالها وهيئاتها> (٦) . فعينه القليلة النوم قد شغلت بمشاهدة سحابة قادمة من مكان بعيد في ظلام الليل ، تطلب أرضاً جذباء لتجود عليها بخيرها العميم . وهذه السحابة تقودها وتدفعها ريح الصبا الرقيقة ، وكأنها عجوز تقود وتدفع ابنتها برفق ولين ، بل هي تميمس بها ميساً ، فلا تزجرها إن هي فترت وضعفت عن السير ، كما لا تسألها العودة إن هي أسرعت ، وكذلك تفعل ريح الصبا مع هذه السحابة فهي <لا تعصف بها ولا تستعجلها بل تضمها إليها ضمّاً رقيقاً كالأم الحنون المولهة بوليدها> (٧) .

وفي ثنانيا هذه السحابة قد لمعت بروق كادت تخطف الأبصار ، وأرعدت رعود مجلجلة كادت تصم الآذان ، فأخذت هذه السحابة تقترب من وجه الأرض حتى كادت تلمسها إما تلهفاً لإمدادها بالوبل وإما حذراً من إضاعة خيرها على

(1) تستفيق : من أفاق أي عاد إلى طبيعته عن غشية لحقته .مدودها : المد هو السيل أو كثرة الماء .

(2) النور الزهر . الوشي : نقش الثوب ويكون من كل لون ، والوشي نوع من الثياب الموشية تسمية بالمصدر . والبرود : جمع بُرد وهو ثوب مخطط . زهاها : زادها حسناً في المنظر .

(3) دجلة : نهر ببغداد (انظر : معجم البلدان - مادة دجلة) . الدرع : هو قميص من حلقات من الحديد متشابكة .

(4) البريد : الرسول .

(5) تفوت : أي تسبق . الطَّرْفُ : تحرك العين أو الجفن .

(6) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، ص ٩٤ .

(7) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

غير مريدها ، فلما رأَت حرة الثرى المتعقد والربى تطلب منها المزيد ، وأن أقاليم العراق فقيرة من الأمطار ، قامت تجود عليها بالغيث العميم فما زالت بغداد تستقبل ذلك الخير حتى تفجرت بأودية لا تتوقف سيولها عن الاندفاع ، وأصبحت الطيور لا تقوى على الطيران لتبلل أجنحتها من غزارة الوبل ، فكادت أكف الغائيات يسهل عليها اصطيادها ، واكتست الأرض من كل زهر لونها وشكلاً ، كأنها عروس زادها بهاءً وحسناً ثيابها المنقوشة بالألوان وكساؤها المخطط ، وكان نهر دجلة حينما تمر الرياح عليه مشكلة موجاً لامعاً من الأمطار ؛ درعٌ متحركٌ له بريقٌ ولمعانٌ .

ولما شعرت هذه السحابة أنها قضت حقَّ العراق وأهله من الأمطار ، أتاها من ريح الشمال رسولها المبدد لها فذهبت مسرعة تسبق الطرف سرعة ، وكأنها جنود عبد الله عندما ولّوا مسرعين وهاربين تاركين خلفهم الخليفة المتوكل صريعاً ملطخاً بدمائه .

فهذه الأبيات كما نلاحظ ، <إحساسٌ فذٌ بمشاهد الطبيعة الخيرة ، عبرت عنه قريحة شاعر صادق ، وريشة فنان بارع يعرف كيف يستخدم أدوات صناعته وكيف يبعث في لوحاته حياة نابضة بالحركة والخفقان> (٣٢٨) .
★ وصف الوادي :

وفي وصف وادي العقيق ، الكائن <بناحية المدينة وفيه عيونٌ ونخلٌ> (٣٢٩) ، يقول (٣٣٠) :

هَذَا الْعَقِيقُ فَعَدَّ أَيُّ ——— دِي الْعَيْسِ عَنْ غُلَوَائِهَا (٣٣١)
وَأَمْنَعُ نَوَاجِيَهَا النَّجَا ——— عَ فَلَاتَ حِينَ نَجَائِهَا (٣٣٢)

(328) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، ص ٩٥ .

(329) معجم البلدان ، لشهاب الدين البغدادي ، تحقيق : فريد الجندي ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٥٦/٤

(330) الديوان ، ص ٦١ ، المقطوعة رقم (٥) الأبيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨)
(331) العقيق : وادي بالمدينة . العيس : الإبل تضرب إلى الصفرة ، وهي الإبل البيض مع شقرة يسيرة .

الغلاء : الغلو ونشاط الشباب وسرعه . عد : من عد فلان الأمر أي خلاه وانصرف عنه .

(332) نواجيها : النواجي جمع ناجية وهي الناقة السريعة تنجو بمن ركبها . النجاء : الإسراع والسبق . لات : من الحروف المشبهة بليس وتعمل عمل ليس .

- وَإِذَا مَرَرْتَ بِبئرِ عُرٍ وَةٌ فَاسْقِي مِن مَّاءِهَا (١)
 وَاجْنَحُ إِلَى السَّمُرَاتِ أَوْ لِلسَّفْحِ مِن جَمَائِهَا (٢)
 إِنَّا وَعَيْشُكَ مَا دُمَمٌ نَا العَيْشَ فِي أَفْنَائِهَا (٣)
 أَيَّامَ لَمْ تَجْرُ النَّوَى بَيْنَ العَصَا وَكِحَائِهَا (٤)
 سَقِيًا لَتَلُوكَ مَعَاهِدًا إِذْ نَحْنُ فِي أَرْجَائِهَا (٥)
 مَا كَانَ أَنَسَهَا وَأَشْهُ عَفَّ أَسْدَهَا بِظَبَائِهَا (٦)

يخاطب علي بن الجهم بهذه الأبيات أحد رفاقه الذاهبين إلى المدينة ، ويصف له فيها أيامه التي قضاها في وادي العقيق الموجود بناحيتها ، ثم يطلب من رفيقه عندما يصل إلى هذا الوادي أن يصرف عن أيدي إبلة العيس السرعة والنشاط ، وأن يمنع نوقه الفتية من الإسراع والسبق ، حتى لا تسرع فتجاوز المرور بهذا الوادي ، لأنه يريد من رفيقه المرور ببعض الأماكن المحببة إلى نفسه في ذلك الوادي ، حيث يطلب منه أن يسقيه من بئر عروة ، وأن يميل إلى شجر الغضا أو سفح جبل جماء لأنه قد عاش في ساحاتها تلك وهو غير لائم أو معيب للعيش فيها فقد كانت أياماً جميلة ، لم تأت بالبعد حتى بين العصا ولحائها .

وفي ختام الأبيات نراه يدعو لتلك المزارات التي كانت مشهداً له ولأحاببه بالسقيا والخير العميم ؛ لأنها أماكن أنس ومحبة حتى بين الأسود والظباء ، حقيقة أو مجازاً .

- (1) بئر عروة : هي بئر موجودة بعقيق المدينة تنسب إلى عروة بن الزبير بن العوام (انظر معجم البلدان _ مادة العقيق) .
 (2) السمر شجر من العضاة وهو اسم جمع واحده سمرة ، وتجمع على سمرات . جمائها : الجماء : جبيل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف (انظر معجم البلدان - مادة الجماء) . جنح : أي مال .
 (3) ذم الشيء : أي عابه ولامه .
 (4) اللحاء : قشر الشجر أو ما على العود من قشرة . النوى : أي البعد والناحية يذهب إليها .
 (5) المعهد : أي محضر الناس ومشهدهم .
 (6) شغف به وبجبهه : أي غشي حبه قلبه .

(ب) - الحضارة :

★ وصف القصر الهاروني :

<من المناظر الحضارية التي ترتبط بالمدن ، القصور الفخمة التي كانت ترتفع شامخة في سماء سامراء وبغداد والبصرة والكوفة وغيرها من المدن ، وكان لهذه القصور أسماء معروفة تنسب لصاحبها أو للمكان الذي شيدت فوقه ، وقد اختص الخلفاء وأولادهم ووزرائهم بأكبر عدد منها> (١)

وقد أبدع علي بن الجهم في وصف القصر الهاروني والذي يقع <قرب سامراء وينسب إلى هارون الواثق بالله ، وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل ، وبإزائه بالجانب الغربي المعشوق> (٢) .

فيقول فيه (٣) :

بَانَ بِقَرَبِ الْخَلِيفَةِ التَّحْفُ	مَحَلُّ صَدَقٍ وَرَوْضَةِ أَنْفٍ (٤)
لَمْ تُنْتَسَبْ قَبْلَهُ إِلَى أَحَدٍ	وَلَا تَحَلَّتْ مِنَ الْأَلَى سَلْفُوا (٥)
الْبَحْرُ وَالْبَرُّ فِي يَدَيِّ مَلِكٍ	تُشْرِقُ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ السُّدْفُ (٦)
اخْتَارَهَا اللَّهُ لِلْإِمَامِ لَذَا	يُنْصِفُ مِنْ نَفْسِهِ وَيُنْتَصِفُ (٧)
قَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ بِالْمَلِكِ الْـ	وَأَثِقَ بِاللَّهِ يَشْرَفُ الشَّرْفُ (٨)
تَبَارَكَ الْجَامِعُ الْقُلُوبَ عَلَى	طَاعَتِهِ وَالْقُلُوبُ تَخْتَلِفُ

(1) الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، ص ٣١١

(2) معجم البلدان ، ٣٨٨ / ٥

(3) الديوان ، ص ١٦١ ، المقطوعة رقم (١٠٦) ، الأبيات (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) ، وقد حُذِفَ البيت الثاني من هذه المقطوعة لأنه مكسور .

(4) بان : أي ظهر واتضح . الخليفة : هو هارون الواثق بالله بن المعتصم . التحف : جمع التحفة وهي الطرفة ويقال لماله قيمة فنية أو أثرية تحفة . روضة : هي الأرض ذات الخضرة . أنف : أي لم ترع من قبل . محل صدق : أي محل صالح

(5) (تُنْتَسَبُ) في الديوان (تُنْسَبُ) فكان البيت بهذه الصورة مكسوراً فقمنا بإصلاحه . تحلت : حل بالبيت أي سكنه . الألى سلفوا : أي تقدموا عليه وسبقوه من الخلفاء .

(6) السدْف : جمع سدفة وهي الظلمة .

(7) جاء الشطر الأول من هذا البيت باسم الموصول (الذي) .

(8) تشرف : من شرف شرقاً أي ارتفع وعلت منزلته . الشرف : العلو والمجد .

فالشاعر يصف هذا القصر بعدة صفات تبين ما يتحلى به من مزايا فهو قصر ذو قيمة فنية ، بني في محل صالح وروضة أنف. إنه قصر لم ينسب إلى أحد قبل الخليفة الواثق ، ولم يسكنه خليفة من الخلفاء الذين سبقوه ، بالإضافة إلى موقعه الجغرافي المهم على نهر دجلة حيث البر والبحر كلاهما بالقرب من هذا الخليفة العادل . فالله عز وجل اختار هذه الدار لتكون قصرًا لهذا الخليفة العادل ، الذي تعلق به منزلة المجد .

وقال في البركة المحفورة في القصر الهاروني^(١) :

أُنشأتها بركة مباركة	فبارك الله في عواقبها ^(٢)
حُفَّت بما تشتهي النفوس لها	وحارت الناس في عجائبها
لم يخلق الله مثلها وطناً	في مشرق الأرض أو مغربها
كأنها والرياض مُحديقة	بها عروس تجلى لخاطبها ^(٣)
من أي أقطارها أتيت رأي	ت الحسن حيران في جوانبها
للموج فيها تلاطم عجب	والجزر والمد في مشاربها ^(٤)
قدرها الله للإمام وما	قدر فيها عيبا لعائبها
أهدت إليها الدنيا محاسنها	وأكمل الله حسن صاحبها

فهو يصفها بأنها بركة مباركة ، ويدعو لها باستمرار البركة في عواقبها ، وقد حُفَّت هذه البركة بما تشتهي النفوس لها ، وفوق ذلك حارت الناس في عجائبها وبديع صنعها ، فالرياض الخضراء محيطة بها من كل الجوانب وكأنها العروس تعرض لخاطبها فمن أي جهة أتيت ستري ذلك الحسن يتجلى فيها وتسمع صوت تلاطم الأمواج فيها ، وترى في مشاربها ظاهرة المد والجزر ، فما فيها عيب ، بل إن الدنيا قد أهدت إليها محاسنها ، وأكمل الله حسن صاحبها .

(1) الديوان ، ص ٨٠ ، المقطوعة رقم (٢٩) .

(2) عواقبها : العواقب جمع العاقبة وهي آخر كل شيء أو خاتمته ، أو كل ما سوف يأتي

(3) محديقة : أي محيطة بها . تجلى : أي تعرض .

(4) تلاطم : التطمت الأمواج أي ضرب بعضها بعضاً . الجزر : هو انحسار ماء البحر عن الشاطئ بفعل الجاذبية . المد : ارتفاع ماء البحر على الشاطئ . مشاربها : المشرب : الموضع الذي يشرب منه .

أما في وصف روعة الفن المعماري لهذا القصر فيقول علي بن الجهم (١) :
<من المتقارب>

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمُلُوكَ	كَتَبْتَنِي عَلَى قَدْرِ أخطارها (٢)
وَأَعْلَمُ أَنَّ عُقُولَ الرَّجَا	لِئَلْ يَقْضَى عَلَيْهَا بِأثارها (٣)
فَلرُّومَ مَا شَادَهُ الْأَوْلُونَ	وَالْفُرْسَ مَا ثَوَّرَ أَحْرَارها
فَلَمَّا رَأَيْنَا بِنَاءَ الْإِمَامِ	رَأَيْنَا الْخِلَافَةَ فِي دَارها
وَكُنَّا نَعُدُّ لَهَا نَخْوَةً	فَطَأْمَنَ نَخْوَةَ جَبَّارها (٤)
وَأَنْشَأَتْ تَحْتَجُّ لِلْمُسْلِمِينَ	عَلَى مُحْجِدِيهَا وَكُفَّارها (٥)
بَدَائِعُ لَمْ تَرَهَا فِارِسٌ	وَلَا الرُّومُ فِي طُولِ أعمارها (٦)
صُحُونٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعُيُونُ	وَتَحْسِرُ عَنِ بَعْدِ أَقطارها (٧)
وَقِبَّةٌ مُلْكٌ كَأَنَّ النَّجْوِ	مَ تَقْضِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارها (٨)
تَخِرُّ الْوُفُودُ لَهَا سُجْدًا	إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصارها
إِذَا لَمَعَتْ تَسْتَبِينُ الْعِيُو	نُ فِيهَا مَنَابِتَ أَشْفَارها (٩)

(1) الديوان ، ص ١٤٦ وما بعدها .

(2) أخطارها : جمع خاطر ، وهو ما يخطر بالقلب من أمر أو رأى أو معنى . ومازلت : في الديوان (مازالت) فكان البيت مكسور ونحن أصلحناه .

(3) تقضي : قضى أي حكم وفصل .

(4) نخوة : نخا الرجل نخوة أي افتخر وتعظم . طأمن : أي خفض . وقد جاء هذا البيت في الديوان بلفظة (فطمأنت) وهو بهذه الصورة مكسور فقمنا بإصلاحه .

(5) (أنشأت) في الديوان (أنشأت) وهذا الضبط أدخل بالوزن

(6) بدائع : أي من بدع الشيء بداعة وبدأعاً أي صار غاية في صفته .

(7) صحون : جمع صحن وهي ساحة في وسط الدار . تحسر ، حسر البصر أي كلَّ فهو حسير . أقطارها : جمع قطر وهو الناحية .

(8) قبة : هي بناء مستدير مقوس مجوف يعقد بالأجر ونحوه . تقضي : أي تُفشي .

(9) تستبين : استبان أي ظهر واتضح واستبان الشيء أي وضح . أشفارها : جمع الشفرة وهي حرف كل شيء وشفر الجفن حرفه الذي ينبت عليه الهدب . (منابت) في الديوان (منابت) وهذا خطأ لا بد أن تنصب لأنها مفعول به .

ق ضَاءَ الْحِجَازُ سَنَا ثَارَهَا (١)	وإن أوقدت نأرها بالعرا
عَ كَسَاهَا الرِّيَاضَ بِأَنْوَارَهَا (٢)	لها شُرْفَاتٌ كَأَنَّ الرَّبِيَّ
لُعُونَ النَّسَاءِ وَأُبْكَارَهَا (٣)	نَظْمَنَ الْفُسَيْفِسَ نَظْمَ الْحُلِيِّ
نَ بِفِصْحِ النَّصَارَى وَإِفْطَارَهَا (٤)	فَهُنَّ كَمَا صُنِّبِحَاتٍ بِرَزْ
وَمُصَلِّحَةٍ عَقْدَ زُنَّارَهَا (٥)	فمنهنَّ عاقِصَةٌ شَعْرَهَا
مَ وَلِلثَّبْرِ أَكْرَمُ أَشْطَارَهَا (٦)	وَأَرْوْقَةٌ شَطْرَهَا لِلرُّخَا
عَلَيْهِ النَّخِيلُ بِأَثْمَارَهَا (٧)	وَسَطْحٍ عَلَى شَاهِقٍ مُشْرِفٍ
غِنَاءَ الْقِيَانِ بِأَوْتَارَهَا (٨)	إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ لَهَا أَسْمَعَتْ
فَلَيْسَتْ تُقْصِرُ عَنْ ثَارَهَا (٩)	وَقَوَارَةٍ ثَارَهَا فِي السَّمَاءِ
عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبٍ مِدْرَارَهَا	تَرُدُّ عَلَى الْمُزْنِ مَا أَنْزَلَتْ

- (1) السَنَا : الضوء الساطع .
- (2) شرفات القصر : أي أعاليه ، وهي ما يبني على أعلى الحائط منفصلا بعضه عن بعض على هيئة معروفة . الأنوار : جمع نور وهو الزهر .
- (3) الفسيفاء : هي قطع صغيرة ملونة من الرخام وغيره يؤلف بعضها إلى بعض ثم تتركب في حيطان البيوت من داخل . والعون : جمع عوان وهي من النساء النصف في سنها .
- (4) المصطحبات : الفتيات اللواتي يحملن الشموع الموقدة . الفصح : عيد تذكار قيامة المسيح ويعرف بالعيد الكبير .
- (5) عاقصة : عقصت المرأة شعرها أي شدته في قفاها . زنارها : هو حزام يشد على وسط البطن .
- (6) هذا البيت من مجلة العرب ، ج ٣ و ٤ ، مج ٤٠ (رمضان وشوال ١٤٢٥ هـ) ، ص ٢١٥ .
- الأروقة : جمع رواق وهو بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد طويل . والشطر نصف الشيء . التبر : فتات الذهب أو الفضة قبل أن يصاغ .
- (7) شاهق : أي مرتفع العلو .
- (8) القيان جمع قينه وهي الأمة المغنية ، وقيل الأمة مغنية كانت أم غير مغنية .
- (9) الفوارة : منبع الماء المندفع الصاعد .

لَوَ انَّ سُلَيْمَانَ أَدَّتْ لَهُ شَيَاطِينُهُ بَعْضَ أَخْبَارِهَا (١)
لَأَيُّقِنَنَّ أَنَّ بَنِي هَاشِمٍ يُضَلُّهَا عَظْمٌ أَخْطَارِهَا

بدأ الشاعر قصيدته <بمقدمة وثيقة الصلة بالموضوع ، فقد تحدث عن الملوك وشغفهم ببناء القصور وبين أهمية تلك المباني في تقويم عقول أصحابها وأشار إلى ما خلفه الروم والفرس من فن معماري باهر ، إلا أن هذا الفن يتضاءل أمام قصر الخليفة الذي هو بصدده وصفه> (٢) .

فناه يصفه بالفخامة والجمال ، حتى إنه لما رأى هذا البناء ، رأى الخلافة الإسلامية العظيمة في هذه الدار التي أنشأها الخليفة الواثق بالله هارون بن المعتصم ، وقد كان يعدُّ لما شاهده الفرس والروم من أبنية دورٍ في شموخهم وتعاليمهم ، فجاء بناء الخليفة باعثاً لهم على تواضع جباريهم ، والحدّ من غرورهم وتعاضلهم ؛ وذلك لجماله الرائع ، فكان هذا البناء حجة للمسلمين يدلّ على تفوقهم على الكفار ؛ لما له من البدائع التي لم ترها الفرس والروم ، في طول أزماتها .

ويتميز هذا البناء أيضاً بساحته الكبيرة التي تسافر فيها العيون لترتدّ حسيّرة كليلّة لبعده أقطارها ، فهي لا تكاد تتحقق من آخرها ؛ كما أن له قبة شفافة تنعكس عليها النجوم كأنما تُسرُّ إليها بأسرارها ، وتكاد الوفود حينما تقبل على الخليفة وترى هذه القبة أن تسجد إعظاماً وإجلالاً لروعة الفن ومهابته ، فإذا لمعت استوضحت العيون منابت أجفاتها ، وإذا أوقدت بالقرب منها نار فإن الحجاز تضاء من سنا ضوئها فهي كالمرآة العاكسة ، كما أن لها شرفات مرصّعة منظومة بالفسيفساء الملونة كأنها رياضٌ موشاة بأنواع الزهور والورود الملونة ، أو كأنها النساء العون والأبكار الجميلات اللاتي تُزيّن قاماتهن حلّى متألّئة وهنّ يحملن الشموع الموقدة في عيد النصر وإفطارهم ، <وقد عقصت بعضهنّ شعرها ، وأطلقته أخريات ، إحداهن تسير والأخرى تصلح زنارها> (٣) ، فهي تهتّز وتتحرّك فيزداد حليها بريقاً ولمعاً وتألّواً ، ولهذه القبة رواق منقوش نصفه من الرخام ونصفه الآخر وهو الأكرم من فتات الذهب ، وسطح هذا القصر شاهق ومرتفع في العلو تتدلى أعذاق النخيل وثمارها الملونة عليه ، فإذا هبت الريح بين سعفها سمعت حفيفاً منعماً ، كأنه غناء القيان اللاتي يُحسنّ العزف والغناء على الأوتار ، وأما خارج القصر فتوجد فيه نافورة تقذف الماء نحو السماء بقوة شديدة

(1) سليمان: هو سليمان بن داود عليهما السلام يضرب المثل بسلطانه على الجن وتسخيره لهم .

(2) مجلة الفيصل ، العدد (٢١٣) ، ربيع الأول ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م تصدر من المملكة ، ص ٩٧ مقال للدكتورة/ نور الشمالان عنوانه: <القصر الهاروني بين الطبري وعلي بن الجهم> .

(3) المصدر السابق ، ص ٩٧

، وكان لها ثأراً في السماء تريد أخذه ، أو كأنها تريد أن ترد على المزن ما أنزلت من أمطار على الأرض .

والشاعر في ختام وصفه يرى بأنه لو أخبر سيدنا سليمان عليه السلام بأوصاف هذا القصر من قبل شياطينه المسخرة له لأيقن بأن عظم أخطار بني هاشم هو سبب تفوقها .
★ وصف منزل قيان :

إن مساوي الحضارة التي جاءتنا من الأمم الأخرى قد انتقلت إلينا منذ العصر العباسي ، فكثرت المفاصد الاجتماعية ، كسماع الغناء ؛ وقد وجد في ديوان علي بن الجهم مقطوعة تصف المغنيات وما يدور في مجالسهن . وهذه المقطوعة يعفُّ القلم واللسان عنها ، ولولا أنني أريد أن أكمل رسالتي على الشكل المطلوب لما ذكرت هذه المقطوعة، والتي يصف لنا فيها الشاعر منزلَ مُقَيِّنٍ^(١) بالكرخ < كان يعاشر فيه جماعة من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه وردَّ من النفي>^(٢) فيقول فيها^(٣) :

نزلنا بباب الكرخ أفضل منزل	على محسنات من قيان المُفضَّل ^(٤)
فلابن سريج والغريض ومعبد	ودائع في آذاننا لم تبدل ^(٥)
أوانس ما فيهن للضيف حشمة	ولا ربُّهن بالمهيب المجل ^(٦)
يسرُّ إذا ما الضيف قل حياؤه	ويغفل عنه وهو غير مُعقل
ويكثر من دم الوقار وأهله	إذا الضيف لم يأس ولم يتبدل ^(٧)
ولا يدفع الأيدي السفيهة غيراً	إذا نال حظاً من لبوس ومأكَل
ويطرق إطراق الشجاع مهابة	ليطلق طرف الناظر المتأمل ^(٨)

(1) مقين : أي صاحب قيان .

(2) الأغاني : ٢١٩ / ١٠

(3) الديوان ، ص ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٩ ، المقطوعة رقم (١٣٦)

(4) الكرخ : محلة مشهورة من محال بغداد . القيان : جمع قينة وهي الأمة المغنية وقيل الأمة مغنية كانت أو غير مغنية .

(5) ابن سريج والغريض والمعبد من أشهر المغنيين في العصر الأموي .

(6) المجل : صاحب العظمة والوقار .

(7) يتبدل : أي ترك التصاون .

(8) أطرق : أي أرخى عينيه ينظر إلى الأرض ، طرف : العين أو الجفن .

فَأَعْمَلُ يَدًا فِي بَيْتِهِ وَتَبَدَّلَنْ
أَشِرُّ بِيَدٍ وَاعْمِرْ بِطَرْفٍ وَلَا تَخَفْ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمِصْبَاحِ وَالْهَجْ
وَسَلْ غَيْرَ مَمْنُوعٍ وَقَلْ غَيْرَ مُسَكَّتٍ
لَكَ الْبَيْتُ مَا دَامَتْ هُدَايَاكَ جَمَّةً
تُصَانُ لَكَ الْأَبْصَارُ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ
وَأَيَّاكَ وَالْمَوْلَى وَمَا شَنْتَ فَاغْفَلْ
رَقِيبًا إِذَا مَا كُنْتَ غَيْرَ مُبَحَّلٍ (٣٨٠)
فَإِنْ خَمَدَ الْمِصْبَاحُ فَادْنُ وَقَبَّلْ
وَنَمْ غَيْرَ مَدْعُورٍ وَقَمْ غَيْرَ مُعْجَلٍ
وَدَمْتَ مَلِيًّا بِالشَّرَابِ الْمَعْسَلِ (٣٨١)
وَيُصْنَعِي إِلَيْكَ بِالْحَدِيثِ الْمُقْصَلِ

وهي مقطوعة تعطي صورة سيئة لما كان يرتكب من موبقات في بعض
الدور في ذلك العصر .
★ وصف السفينة وملاحيتها :

وصف علي بن الجهم سفينة ، فصور أجزاءها الخارجية ، ومجاديفها ،
وملاحيتها وما يتميزون به من طباع وحركات وأصوات ، فيقول (٣٨٢) : < من
مجزوء الرمل >

عَجِبْتُ كُلَّ الْعَجَبِ
وَمَا لَهُ عَيْنٌ وَلَا
لِجَامِهِ مِنْ خَلْفِهِ
مَزِينٌ بِالْوَدْعِ فِي الصِّ
مِنْ سَيْرِ هَذَا الْمَرْكَبِ
رُوحٌ جَرَتْ فِي عَصَبِ (٣٨٣)
مُرْكَبٍ فِي الدُّنْبِ (٣٨٤)
دُرٌّ وَرَمْعُ الْعَذْبِ (٣٨٥)

(380) المبخل : أي البخيل الشديد الإمساك .

(381) جمَّة : الجم هو الكثير من كل شيء .

(382) الديوان ، ص ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ ، المقطوعة رقم (٢٤)

(383) عصب : العصب هو ما يشد به المفاصل ويربط بعضها ببعض ، وهو شبه خيوط
بيض يسري فيها الحس والحركة من المخ إلى البدن .

(384) لجامه : اللجام هو الحديدية في فم الفرس ثم سموها مع ما يتصل بها من سيور وآلة
لجاماً والمراد هنا دفة المركب ، والدفة : هي من السفينة السُّكَّانُ ، وهو آلة في مؤخرها
تحركها يميناً أو يساراً .

(385) الودع : خرز بيض تخرج من البحر . ورمع : كذا ولعله ولمع العذب ومعنى اللمع
الخفق يقال لمع الطائر بجناحيه : خفق بهما . العذب : خرق الألوية والواحدة عذبة .

ومأله من ثقرر	ومأله من لبب ^(١)
سباطه في سيره	دفع مرادي الخشب ^(٢)
إذا استتته مجا	ديف له في الطل ^(٣)
أعنى فوق الماء في	هملجة أو خبب ^(٤)
للماء في حيزومه	من صوت موج صخب ^(٥)
حشرجة كالرعد في	عارض غيث لجب ^(٦)
ينساب كالحيية في	عطف ذنابي العقر ^(٧)
له شراع مشرف	كالبند يوم الشغب ^(٨)
منصب تجذبهُ الـ	أرسان جذب الطنب ^(٩)
للريح فيه حنة	من جريه المنجد ^(١٠)
فرسائه الأباط من	ميسان أهل الريب ^(١١)

- (1) الثقر : سير في مؤخر السرج . واللّبب : ما يشد من سيور السرج في اللبة من صدر الدابة ليمنع تأخر السرج أو الرحل
- (2) سباطه : السوط هو ما يضرب به من جلد المرادي : جمع مردي وهو خشبة تدفع بها السفينة وتكونه في يد الملاح
- (3) استتته : أي حثته ، وحثه حثاً أي أعجله إغجالاً متصلاً . مجاديف : جمع مجداف وهو مجداف السفينة .
- (4) أعنى : أسرع . الهملجة : مشية سهلة في سرعة الخبب : السرعة .
- (5) الحيزوم : وسط الصدر . صخب : أي علت فيه الأصوات واختلطت .
- (6) الحشرجة : تردد الصوت . العارض : السحاب المعترض في الأفق . لجب : أي مضطرب .
- (7) عطف : أي ميل . ذنابي : جمع الذنب والذنان من كل شيء عقبه ومؤخره .
- (8) البند : العلم الكبير . الشغب : تهيج الشر كشغب الجن .
- (9) الأرسان : جمع رسن بمعنى الحبال . والطنب : جبل يشد به الخباء والسرادق ونحوهما .
- (10) حنة : حنت الرياح أي صوتت صوتاً يشبه صوت حنين الإبل . المنجدب : المسرع .
- (11) الأباط : جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقيين ، هذا أصله ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم . ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط

عِنْدَ الرِّضَا بِالْغَضَبِ	وَكُلُّهُمْ مَنُظْفُهُ
عَنْ عِنْدَهُ فِي سَبَبِ	وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ سَوَا
طَيْنَ عِنْدَ الْكُتْبِ (١)	فَارْمِ بَعَيْنَيْكَ إِلَى الشَّ
فِي جَرِيهِمْ كَالْحُدْبِ (٢)	تَرَى رَجَالًا رُكَّعًا
جَذْبَةً خَاطِبِ الْقُتْبِ (٣)	يَقْفُونَ أَثَارًا عَلَى
أَثْرَاكَ عِنْدَ الْهَرَبِ (٤)	كَأَنَّهُمْ فِي وَهَقِ الْ
فِي رَاحَةٍ مِنْ تَعَبِ	إِذَا اسْتَرَاخُوا فَهُمْ
عِنْدَ الْغَيَْاءِ الْمُطْرَبِ	عَالِيَةً أَصْنُوتُهُمْ
لَا يَلْسَانِ الْعَرَبِ (٥)	بِمَاءَ بَانَا كُلُّهُمْ

فالشاعر يتعجب كلَّ العجب من سير هذه السفينة التي لا عين لها ولا روح أو لجام ، وإنما لها دفة في مؤخرتها تحركها يميناً ويساراً ، أما مقدمتها فهي مزينة بالخرز الأبيض وفي وسطها تخفق الأشرعة والألوية . فليس لها سرج وسيور كالفرس ولا سوط كسوطه ، وإنما لها مجاديف يدفع بها الملاحون الماء دفعا متصلاً لتسير بسهولة ويسر .

وهذه السفينة عندما تمخر عُباب البحر فإنه يصدر منها صوت عالٍ جداً ناتج عن اصطكاك وسطها بالماء بقوة شديدة وكأنه صوت الرعد المتردد في السحاب العارض المضطرب ، وهي تنساب بسهولة في الماء كاتسياب الحية مع تلوٍّ وميل يشبه ميل ذنب العقرب .

كما أن لها شراعاً عالياً كأنه العلم الكبير المرفوع في يوم الشَّعْب ، فهو

قصبتها ميسان . (انظر معجم البلدان - مادة ميسان) . الريب : جمع ريبة وهي الظن والشك

- (1) الشطين : الشط هو جانب النهر . الكتب : جمع كتيب وهو التل من الرمل . ولعل الأصوب (من عن كتب) أي عن قرب
- (2) الحذب : حذب الرجل أي ارتفع ظهره فصار ذا حذبة .
- (3) جذبة أي مده . القتب : نبات حولي زراعي ليفي من الفصيطة القنبية تفتل لحاؤه حبلاً .

(4) الوهق : الحبل في أحد طرفيه أنشودة يطرح في عنق الدابة والإنسان حتى يؤخذ .

(5) بماء بانا : كأنه حكاية كلامهم بالنبطية .

مُنْتَصِبٌ تَجْذِبُهُ الْحَبَالُ وَتَشُدُّهُ كَجَذْبِ الطَّنْبِ لِلخَيْمَةِ وَشَدَّهَا لَهَا ، وَلِلرَّيْحِ عِنْدَ اصْطِدَامِهَا بِهِ حَنَةً مِنْ سُرْعَةِ السَّيْرِ .

أما أصحاب هذا المركب فهم من الأتباط أهل الشكوك ، فقد اتفقوا في المنطق بحيث لا تعلم هل هم راضون أم غاضبون ، وأن الخير والشر عندهم في سبب واحد ، وعندما ترمي بعينيك إلى الشاطئ ترى منظر الملاحين وهم يخيطنون شباك الصيد ركوعًا ، كمظر أسرى وقعوا في أناشيط الجيش التركي .

وهؤلاء الرجال عندما يذهبون للراحة ، فإن أصواتهم ترتفع بما يطرِبهم من الغناء من مثل قولهم (بماء بانا) وهي أغنية كلماتها ليست باللغة العربية وإنما باللغة النبطية .

من خلال ما سبق يتضح لي اهتمام الشاعر بوصف الطبيعة حوله والتي تمثلت في وصفه للورد وبيان جماله ، والليل وظلمته ، والسحابة ، والوادي .

كما اهتم كذلك بوصف مظاهر الحضارة كوصف القصور ووصف ما فيها من جمال الفن المعماري <حتى ليشبه بعضها مدناً صغرى تمتلئ بالأبنية والأفنية والأساطين والقباب والبساتين والجداول والبرك والنافورات ، مع التأنيق في أبوابها ونوافذها وشرفاتها وزخرفة حيطانها بالنقوش والصور وتعليق الستائر الحريريّة عليها> (1) .

كما وصف السفينة وملاحيتها وأجزاءها الخارجية ، ومنزل مقين كان يعاشر فيه جماعة من فتيان بغداد .

(1) تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني ، ص ٦٨

رابعًا : الأدبيات والشعر

الجهم شغوفًا بحب الأدب والشعر ، فاتجه إلى تعلمهما منذ صغره ، فحرص على مجالسة الأديباء ، ومسامرة الكتاب ومصادقة الأخيار ، مما أدى إلى تفتق موهبته الشعرية مبكرًا ، فكانت له القدرة في السيطرة على القوافي ، والإتيان بالمعاني الصعبة التي أعجزت الكثير ، فنراه في كثير من أبياته يلح على وصف قصائده بالقوة والجزالة حتى إنها استطاعت أن تثور على امرئ القيس ، وأن تشعل القلوب بشواردها .

(أ) - الأدبيات :

١- وصف المجالس الأدبية :

يقول علي بن الجهم وفي وصف حبه للأدب ومجالسة الأديباء (١) :

لو قيل لي تملك الدنيا بأجمعها ولا تكون أديبًا تعرف الأدبا
لقلت لا أبتغي هذا بذا بدلًا ولا أريد بذا مالًا ولا نشبًا (٢)
لجلسة مع أديب في مذاكرة تنفي به هم أو تستجلب الطربًا (٣)
أشهى إلي من الدنيا وزخرفها ومئها فضة أو مئها ذهبًا (٤)

فهي صورة جميلة تعكس مدى تعلق الشاعر بالأدب ، وعدم تفريطه فيه أو قبول المساومة فيه ، فلو عرض عليه أن يملك الدنيا بأجمعها شريطة أن يتخلى عن الأدب لرفض الشاعر ذلك العرض لأنه لا يرغب في استبدال المال بالأدب ، فجلسة مع أديب أشهى إليه من الدنيا ومئها فضة أو ذهبًا ، لأنه في تلك الجلسة يستطيع أن يبعد همه ليطلب فرحه وارتياحه ، وهما أمران لا يتحققان بالمال .

وقال يصف سهرة أدبية ممتعة (٥) :

وليلة كأنها نهار سهرتها وفئحة أخيار

(1) البيت الأول والثاني من مجلة العرب ، س ٤٠ ، ج ٩ و ٢١٠ ، ص ٢٠٦ ، والبيت الثالث والرابع موجودان في الديوان ص ٧٠ ، ٧١ المقطوعة رقم (١٤) ، ولكنهما يختلفان اختلافًا يسيرًا عما جاء في مجلة العرب في كلمتي (تنفي و تستجلب) فقد جاءت في الديوان بـ (أنفي وأستجلب) ، لذلك أوردت المقطوعة كما جاءت في المجلة .

(2) نشبا : النشب أي المال أو العقار .

(3) تستجلب : استجلب الشيء : طلب أن يجلب إليه . الطرب : خفة وهزة تثير النفس لفرح أو ارتياح

(4) زخرف الأرض : ألوان نباتها

(5) الديوان ، ص ١٢٥ ، المقطوعة رقم (٦٩)

لا جاهل فيهم ولا ختارٌ ولا على جليسه هَرَّارٌ^(١)
 لهوهمُ الأسمارُ والأشعارُ ومَلَحٌ تُفدَحُ منها النَّارُ^(٢)
 بمثلهم تُعَاقِرُ العُقَارُ وتُمْتَعُ الأسماعُ والأبصارُ^(٣)

وتُذْرِكُ الأَمَـالَ والأوْطَارَ^(٤)

فهو يشبه هذه الليلة بالنهار ، لأنه لم ينم فيها بل ظل ساهراً يسامر فتية أخياراً ، لا جاهل فيهم ولا غدار ولا سفيه ، وكان لهوهم في تلك الليلة هو الاستماع للحكايات الممتعة ، والأشعار الجميلة ، والنوادر المطربة التي تلذع بحرارتها وكأثها الزند الذي تشعل به النار .

٢- وصف الكتاب :

ولما كان الكتاب هو من أفضل أصدقاء علي بن الجهم ، فقد وصفه وصفاً جميلاً يعكس مدى إعجابه بهذا الصديق فيقول^(٥) :

سَمِيرٌ إِذَا جَالَسْتُهُ كَانَ مُسَلِّياً فَوَادَكَ مِمَّا فِيهِ مِنْ أَلَمِ الْوَجْدِ^(٦)
 يُفِيدُكَ عِلْماً أَوْ يَزِيدُكَ حِكْمَةً وَغَيْرَ حَسُودٍ أَوْ مُصِرٍ عَلَى الْحَقِّدِ
 وَيَحْفَظُ مَا اسْتَوْدَعْتَهُ غَيْرَ غَافِلٍ وَلَا خَائِنٍ عَهْدًا عَلَى قَدَمِ الْعَهْدِ^(٧)
 زَمَانَ رَبِيعٍ فِي الزَّمَانِ بِأَسْرِهِ يُبِيحُكَ رَوْضًا غَيْرَ ذَاوٍ وَلَا جَعْدِ^(٨)
 يُنَوِّرُ آدَابًا بِوَرْدٍ بِدَائِعِ أَحْصَ وَأَوْلَى بِالنُّفُوسِ مِنْ

فالشاعر يصف الكتاب بالسمير الذي في مجالسته سلوى للفؤاد المتألم^(٩) الحزين ، فهو يفيد مجالسه علماً ، ويزيده حكماً ، غير حاسد ولا حاقد ، يحفظ ما يستودعه من أسرار وأخبار ، غير غافل ، ولا خائن للعهد مهما يطل العهد فهو

(1) ختار : أي غدار . والهرار : أي السفية .

(2) الأسمار : جمع السمر وهي الحكايات التي يسمر بها . والملح : الطريف من الأخبار .

(3) تعافر : أي تشرب . العقار : الخمر .

(4) الأوطار : جمع الوطر وهو الحاجة فيها مأرب وهمة .

(5) الديوان : ص ١١١ ، المقطوعة رقم (٥٧)

(6) السمير : هو الرفيق . الوجد : الحزن .

(7) استودعته : استودع فلاناً ودیعة : أي استحفظه إياها .

(8) روضاً : الروضة هي الأرض ذات الخضرة . ذاو : أي ذابل ويابس . جعد : جعد الشيء إذا

اجتمع وتقبض والتوى .

(9) بدائع : بدع الشيء بداعة وبدوعاً : إي صار غية في صفته . أخص : ولعلها أحق .

كزمن الربيع الناضر بخضرته ، حيث يبيح للناظرين الاستمتاع بخضرته التي لا تذبل . والكتاب ينور الآداب بإيراده لمعلومات والأخبار البديعة التي هي ألصق بالنفوس من الورد وأولى بها منه .

وفي منزلة الكتاب يقول علي بن الجهم^(١) :

إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ وَعِنْدِي كِتَابٌ وَكَانَ الطَّبَاهُجُ مِنْ جَانِبِي^(٢)
وَكَاثَتْ رِيَاحِيئُنَا غَضَّةً وَصَهْبَاءَ مِنْ صَنْعَةِ الرَّاهِبِ^(٣)
فَلَيْسَ الْخَلِيفَةُ فِي مُلْكِهِ بِأَنْعَمَ مِنِّي وَمِنْ صَاحِبِي

إنها صورة جميلة جاءت في أسلوب المقارنة بين الشاعر وبين الخليفة في ملكه حيث يرى الشاعر أنه إذا شرب الخمر صباحاً مع رفاقه ، وأكل ذلك الطعام الذي يجده معهم ، وكان معه كتاب يدرسه ، وكانت الرياحين المحيطة بهم طرية وناضرة ، فليس الخليفة الذي في ملكه بأنعم حالاً منه ومن أصحابه .
٣- وصف الرقعة :

كما وصف الشاعر رقعة جاءت مثنية ، فيقول فيها^(٤) :

وَرُقْعَةٌ جَاءَتْكَ مَثْنِيَّةً كَأَنَّهَا خَدٌّ عَلَى خَدٍّ
نَبْذُ سَوَادٍ فِي بَيَاضٍ كَمَا ذُرٌّ فَتِيْتُ الْمِسْكِ فِي الْوَرْدِ^(٥)
سَاهِمَةٌ الْأَسْطَارَ مَصْرُوفَةٌ عَنْ مَلْحِ الْهَزْلِ إِلَى الْجَدِّ^(٦)

فنرى أن هذه الرقعة المثنية وكأنها خدٌّ على خدٍّ ، وكأن ما جاء فيها من كتابة سوداء اللون فتيت المسك الذي ذرٌّ على الورد . وسطور هذه الرقعة في غاية الدقة والنحول ، ومصروفة عن ملح الهزل إلى الجد والصرامة .

(1) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ج ٣ و ٣ ، رمضان وشوال ١٤٢٥ هـ ، ص ٢٠٨

(2) اصطبحت : أي شربت الصبوح ، وهو الخمر . الطباهج : طعام من بيض وبصل ولحم

(3) غضة : أي طرية وناضرة . صهباء : اسم من أسماء الخمر . الراهب : المتعبد في صومعته من النصارى .

(4) الديوان ، ص ١٠٧ ، المقطوعة رقم ٥٣

(5) نبذ : النبذ : الشيء القليل اليسير .

(6) ساهمة : سهم سهوماً : تغير لونه عن حاله لعارض من هم أو هزال أو خمر فهو مساهم . مصروفة : صرف الشيء صرفاً : أي رده عن وجهه .

٤- وصف الخط :

وقال في وصف خط^(١) :

وَخَطَّ كَمَوْشَى الْبُرُودِ مُنْظَمٌ
حُرُوفًا إِذَا لَاعَمْتَ بِالْعَيْنِ بَيْنَهَا
أَنِيقٌ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ^(٢)
حَكَتْ صَنْعَةَ الْوَأَشِيِّ الْمُسَدِّيِّ

فهو يشبه هذا الخط بنقش الثوب ، فإذا نظر إليه شخص وتفرسه وجد أنه منظم وأنيق ، وله حروف إذا وافق بينها بعينه يراها وكأنها تحكي صنعة صابغ الثياب وحائكها ، والذي صور فيها سهاماً كثيرة .
(ب) الشعر :

قال علي بن الجهم في وصف الشعر^(٤) :

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا السِّيفُ يَنْبُو وَحَدُّهُ
كَهَامٍ وَيَفْرِي وَهُوَ لَيْسَ بِذِي حَدٍّ^(٥)
فهو يشبه الشعر بالسيف الذي يرجع من غير قطع ، وحده غير ماضٍ ، ولكنه يقطع معنوياً وذلك بإثارته لمشاعر الرهبة والخوف في النفوس لمجرد رؤيتها له .

كما يقول في وصف الشعر الذي قاله في الخليفة المتوكل^(٦) :

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

فهذا الشعر الذي أنشأه في الخليفة المتوكل قد ذاع وانتشر في كل البلدان وكأنه الشمس التي تشرق على كل البلدان ، والهبوب التي تهب على البر والبحر .
ويقول في وصف القوافي وهي تتراءى لخاطره^(٧) :

(1) البيت الأول من مجلة العرب ، ج ٣ و ٤ ، س ٤٠ ، ص ٢٢٢ ، والبيت الثاني في الديوان ، ص ٢٠٢ المقطوعة رقم ١٥٠

(2) موشي : الوشي : هو نقش الثوب ويكون من كل لون . البرود : جمع برد وهو كساء مخطط يلتحف به . توسم الشيء : أي تخيله وتفرسه . أنيق : أنق الشيء أي راع حسنه وأعجب فهو أنيق .

(3) لاعمت : لاعم بين الشينين أي جمع بينهما ووافق . الواشي : أي الحائك . المسدي : أي الذي يقيم مداها . المسهم : سهم الثوب أي صور فيه سهاماً فهو مسهم .

(4) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ج ٣ و ٤ ، ص ٢١٠ .

(5) ينبو : نبأ أي رجع من غير قطع . حده : حد السيف هو طرفه الرقيق الحاد . كهام : كهام السيف كهامة أي كل بمعنى ضعف فلم يقطع . يفري : أي يقطع ويشق .

(6) الديوان ، ص ١٣٩ ، البيت رقم (٣٢) .

(7) الديوان ، ص ٢٠٦ ، الأبيات (١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣)

- وَعَنَّتْ كُلُّ قَافِيَةٍ شَرُودٍ كَلِمَحِ الْبَرْقِ أَوْ لَهَبِ الضَّرَامِ (١)
 عَلَى أَعْجَازِهَا قَرْمٌ إِذَا مَا عَنَاهُ الْقَوْلُ أَوْ جَزَفِي تَمَامِ (٢)
 شَوَارِدُ إِنْ لَقِيتَ بِهِنَّ جَيْشًا صَرَفَنَ مَعْرَةَ الْجَيْشِ اللَّهَامِ (٣)
 وَإِنْ نَازَعْتَهُنَّ الشَّرْبَ كَانَتْ مُدَامًا أَوْ أَلَدًا مِنَ الْمُدَامِ (٤)
 يَثْرُنَ عَلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ فَمَا أَحَدٌ يَقُومُ بِهَا مَقَامِي (٥)

فالشاعر يفتخر بشاعريته ويشبه ظهور القصيدة الشاردة أمامه بلمح البرق ، أو لهب النار المشتعلة ، وذلك لسرعة شهرتها ، ثم نراه يصف نفسه بالشاعر القرم الذي يلين له وحشيُّ الكلام ، وتدين له شرود القوافي وأنه يستطيع أن يصوغ من الشعر ما لو غالب به جيشاً عظيماً استطاع صرف معرته وأذاه ، أو عاظمي به القوم المجتمعين على الشراب لفتنهم عن شرابهم ، كما أن قصائده تستطيع أن تثور على امرئ القيس ذلك الشاعر الفحل . لأنه لا أحد يستطيع أن ينشئها ويوفيقها حقها من الإبداع سواه هو .

وقال يصف قصيدة قالها في مدح المتوكل (٦) : <من مجزوء الكامل>

- وَقَصِيْدَةٌ غَرَاءَ يَفْـُـو نَى الدَّهْرُ قَبْلَ فَنَائِهَا (٧)
 تَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ نُصْبٌ بَ صَبَاحِهَا وَمَسَائِهَا (٨)

- (1) عَنَّتْ : عنَّ له الشيء ، أي ظهر أمامه وأعرض . القافية الشرود : أي السائرة في البلاد . الضَّرَامُ : أي اشتعال النار .
 (2) أَعْجَازُهَا : العَجْزُ هو مؤخر الشيء . قَرْمٌ : أي الفحل والسيد العظيم . عناه : أي عرض له وشغله وأهمه . أَوْجَزَ الْكَلَامِ : أي قلَّ في بلاغة .
 (3) مَعْرَةُ الْجَيْشِ : هي أن ينزلوا بقومٍ فيأكلوا من زرعهم وأموالهم بما لم يؤذن لهم فيه . واللَّهَامُ : الجيش العظيم كأنه يلتهم كلَّ شيء .
 (4) نَازَعْتُهُنَّ : نازع الرجل غيره الكأس ، عاظمه إيَّاهَا . الشَّرْبُ : جمع شارب وهم القوم يشربون ويجتمعون على الشراب . المُدَامُ : أي الخمر .
 (5) يَثْرُنُ : ثار الشيء ثوراً ، أي هاج وانتشر . امرؤ القيس بن حجر بن الحرث الكندي أشهر شعراء العرب .
 (6) الديوان ، ص ٦٢
 (7) غراء : الأغر المشهور .
 (8) نُصْبٌ : يُقال هذا نُصِبَ عيني ، أي أمامها .

لِ بِمَـذْجِهَا وَهَجَائِهَا (١)	لَمْ تَسْتَمِحْ أَيَدِي الرَّجَا
تُهْدِي إِلَيَّ أَكْفَائِهَا (٢)	بَاتَتْ تُصَانُ فَاَنْ أَنْ
بِ الرَّاْي فِي إِبْقَائِهَا (٣)	حَتَّى إِذَا أَكْمَلْتُ رَغْـ
نُ <مُحَمَّدٍ> بِثَنَائِهَا	خُصَّ الخَلِيفَةُ <جَعْفَر> بـ

فهي قصيدة مشهورة ينتهي الدهر ولا ينتهي التغيي بها لروعيتها ، وسوف تبقى ذائعة ما دام الصباح والمساء ، حتى إن أيدي الرجال لم تستمخ بمدحها وهجائها لأنها لم تسمع أصلاً ، فقد ظلت تُصان وتحفظ ويُعرد بها ، فأن أن تهدي إلى من يستحقها ، حتى إذا اكتملت القصيدة واستوت على ساقها بعد سابق الرأي في إبقائها وحفظها ، خص الخليفة جعفر بن محمد بثنائها .

وقال يصف حال القوافي بعد وفاة المتوكل (٤) : <من الطويل>

مُصَلِّمَةٌ أَرْجَاؤُهَا وَقَصِيدُهَا (٥)	أَنْثَنَا القَوَافِي صَارِحَاتٍ لِقْفَدِهِ
مَعَانِي أَعْيَا الطَّالِبِينَ وَجُودُهَا (٦)	فَقُلْتُ ارْجِعِي مُوفُورَةً لَا تَمَهَّلِي
لِبُعْدٍ وَلَمْ يَشْرُدْ عَلَيَّ شَرِيدُهَا (٧)	وَلَوْ شِئْتُ لَمْ يَصْعُبْ عَلَيَّ مَرَامُهَا
مِنْ الشَّعْرِ أَفْلَادُ القُلُوبِ وَقُودُهَا (٨)	وَلَوْ شِئْتُ أَشْعَلْتُ القُلُوبَ بِشُرْدٍ

لقد شخص الشاعر هذه القصائد الشعرية وجعلها تصرخ لفقد الخليفة ،

(1) تستمخ : أي تطلب العطاء .

(2) باتت : أي ظلت . تصان : صان الشيء أي حفظه في مكان أمين .

(3) الرغب والرغب : الرغبة . ويحتمل أن يكون (الرأي) بمعنى التريث والصبر في سبيل الإلتقان والصواب .

(4) الديوان ، ص ١١٧

(5) القوافي : أي القصائد .

مصلمة : في الأصل : مسلمة ، ولعل ما ذهب إليه المحقق وجهاً غير بعيد فكأنه أنزل القوافي منزلة النساء اللواتي يصلمن بعض أعضائهن لشدة الحزن .

(6) موفورة : الموفور : التام من كل شيء . أعيا : أعيا عليه الأمر . أعجزه فلم يهتدي لوجهه .

(7) يشرد : شرد أي نفر واستعصى . شريدها : أي القصائد الرائعة الصيت .

(8) بشرد : شرد أي نفر واستعصى . شريدها : أي القصائد الرائعة الصيت . الشرود : جمع شاردة يقال قافية شاردة أي سائرة في البلاد . والأفلاذ : القطع .

وتصاب أرجازها وقصائدها بالذل والمهانة ، وهو يطلب منها الرجوع فوراً لتعود موفورة بالمعاني التي أعجزت الطالبين ، ثم نرى الشاعر يصف قدرته الشعرية فهو لو أراد قول الشعر لم يصعب عليه إصابة الهدف منه ، ولم تفر منه القصائد الذائعة الصيت ، كما أنه لو شاء لأشعل قلوب الناس بقصائده المشهورة .

أما حال القريض بعد أبي تمام فيقول فيه^(١) : <من الكامل>

وَعَدَا الْقَرِيضُ ضَنْيِلَ شَخْصٍ بَاكِياً يَشْكُو رَزِيَّتَهُ إِلَى الْأَقْلَامِ^(٢)
وَتَأَوَّهَتْ غُررُ الْقَوَافِي بَعْدَهُ وَرَمَى الزَّمَانَ صَحِيحَهَا بِسِقَامِ^(٣)
أُودَى مُتَّقِفُهَا وَرَائِضُ صَعْبِهَا وَغَدِيرُ رَوْضَتِهَا أَبُو تَمَامِ^(٤)

والشاعر في هذه الأبيات يشخص الشعر بعد وفاة أبي تمام ويجعل منه إنسانا ضئيل الجسم باكياً يشكو مصيبته إلى الأقلام وغرر القصائد التي تأوهت من بعده ، وأعلنت جزعها ، ورمى الزمان صحيحها بسقام ومرض ؛ وذلك لأن متقفها وغدير روضها الشاعر أبا تمام قدم مات .

مما سبق نلاحظ اهتمام الشاعر بوصف المجالس الأدبية وإعجابه بها وعدم قبوله أي مساومة فيها . كما وصف الكتاب والخط والرقعة ، وكل ذلك في مقطوعات جميلة . كذلك اهتم الشاعر بوصف الشعر فصوره في عدة أبيات تصويراً جميلاً وشخص القوافي بعد أبي تمام ، فإذا هي باكية متأوهة لفقدائها غدير روضاتها أبي تمام .

(1) الديوان ، ص ٢١٢ ، المقطوعة رقم (١٥٥)

(2) القريض : الشعر . ضئيل : ضؤل : أي صغر جسمه ونحف . رزيته : أي المصيبة .

(3) تأوهت : أي تألمت وتوجعت . غرر : جمع غرة وهي من كل شيء أوله وأكرمه .

(4) متقفها : ثقف الشيء أي أقام المعوج منه وسواه . رائض : راض القوافي الصعبة أي ذللها .

الفصل الثاني : الخصائص الفنيّة

أولاً : المعجم الشعري

للغة في مجال الشعر دورٌ كبير ، فهي تُستخدم لنقل المشاعر والإيحاءات مع ما ترمز إليه من معانٍ ، فتجد أن الكلمات في الشعر غير محددة الدلالة ، فهي تقبل احتمالات كثيرة ، فكلُّ يتصورها حسب حالته الوجدانية ، وحسب ما يستطيع أن يستنبط منها ، وحسب ما تُثيره أصدائها في نفسه ، وحسب ما تبعثه فيه من عواطف ومشاعر^(١) .

<فالشاعر ينتقي من الألفاظ ويتخير ، ويفاضل بينها ، ويميز بعضها على بعض ، مُتخذاً في نظمه البيت من الشعر لفظاً خاصاً يأبى غيره ؛ لأن أصواته توحى إليه ما لا توحى أصواتٌ غيره>^(٢) .

وبتأملنا لشعر علي بن الجهم في الوصف ، نجد أن الشاعر قد أدرك ما للفظ من إيحاء ، وما يمكن أن تحمله من مشاعر وأحاسيس ، إلى جانب ما تدل عليه من دلالة ذهنية . فأفاد من هذه الميزة في أداء معانيه ، وجعل الكلمة الواحدة تفيض بالكثير من المشاعر والإيحاءات ، وتحمل من الدلالات أضعاف مدلولها اللغوي المحدد^(٣) . فاتصفت ألفاظه بالحيوية والتعبير والتبليغ لإحداث التأثير والإحساس المنشودين في الشعر .

وبتتبعنا للمعجم الشعري للشاعر نجد أنه تداول ألفاظاً قادرة على توصيل تجربته بعمقها وأبعادها ، ويمكننا تصنيف هذا المعجم إلى ثلاثة أقسام هي :

أ- ألفاظ من الطبيعة .

ب- ألفاظ من الإنسان .

ج- ألفاظ من الحرب .

(أ) ألفاظ الطبيعة :

كان الشاعر يلجأ في تصوير العديد من موصوفاته إلى الطبيعة فيحاكيها في لونها أو صوتها أو حركتها ، حتى إذا سمعها المتلقي تمثّلت له كأنه يراها^(٤) .

وقد وظف الشاعر في أبياته الوصفية العديد من ألفاظ الطبيعة ، جاءت لفظاً

(1) ينظر : في النقد الأدبي ، د/ شوقي ضيف ، الطبعة الثامنة (بدون تاريخ الطبع) ، دار المعارف بمصر ، ص ١٣٢ <بتصرف> .

(2) من أسرار اللغة ، د/ إبراهيم أنيس ، الطبعة الخامسة (١٩٧٥م) ، مكتبة الأنجلو المصرية بمصر ، ص ١٤٩ .

(3) ينظر : علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ٢١٥ <بتصرف> .

(4) ينظر الأسلوب ص ٩٠ .

(اللَّيْل) في مقدمتها ؛ حيث وظّفها الشاعر حوالي ثماني عشرة مرة ، وهو عد ليس بالقليل ، فهي تدلُّ دلالة واضحة على أنّ اللَّيْل لا يعني للشاعر ذلك الجانب المظلم للطبيعة فقط ، بل هي تحمل الكثير من المشاعر والأحاسيس التي تجيش بها نفسُ الشاعر .

وقد استعمل الشاعر هذه اللفظة بصيغة التذكير (ليل) ، وبصيغة التأنيث (ليلة) ، فيقول^(١) :

كَمْ قَدْ تَجَهَّمَنِي السَّرَى وَأَزَالَنِي لَيْلٌ يَبُوءُ بِصَدْرِهِ مَطَاوِلُ

وقوله^(٢) :

وَلَيْلَةٌ كُحِلَتْ بِالنَّفْسِ مُقْلُئُهَا أَلَقَتْ قِنَاعَ الدُّجَى فِي كُلِّ أَحْدُودِ

فهاتان اللفظتان في البيتين السابقين ، إلى جانب ما تفيدان من دلالة ذهنية ، تدلان كذلك على نفس الشاعر المثقلة بالهموم .

وتأتي لفظة (الْبَحْر) في المرتبة الثانية من معجم ألفاظ الطبيعة ؛ حيث وظّفها الشاعر حوالي اثنتي عشرة مرّة ، وكان الشاعر يستخدم هذه اللفظة بصيغتين ، فأحياناً تكون بصيغة المفرد (بحر) ، وأحياناً أخرى تكون بصيغة جمع القلة (أبحر) ، وقد اجتمعت هاتان الصيغتان في بيت واحد هو^(٣) :

قَالَ وَأَيْنَ الْبَحْرِ مِنْ جُودِهِ قُلْتُ وَلَا أَضْعَافُهُ أَبْحُرُ

وفي هذا البيت مبالغة مقوتة ؛ حيث جعل الشاعر كرم الخليفة بالمال يفوق كرم البحر بالماء .

ثم تأتي لفظة (الْبَدْر) التي وظّفها الشاعر حوالي تسع مرات ، وكان يرمي عادة من خلال توظيفه لها ، إلى تصوير موصوفه بالبدر المعروف سلقاً بجماله الفائق ، وقد كان للخليفة المتوكل أوفر نصيب في ذلك ، يليه الشاعر نفسه ؛ حيث شبه نفسه في حال سجنه وصلبه بالبدر .

يقول الشاعر في وصف الخليفة المتوكل^(٤) :

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالِعًا بَحْسَنَّاكَ حَطًّا أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْمَلُ

(1) الديوان ، ص ١٧٦ .

(2) السابق ، ص ١٠٦ .

(3) نفسه ، ص ١٢٨ .

(4) الديوان ، ص ١٧٤ .

ويقول في وصف نفسه^(١) :
 إِنَّ يُبْتَدَلُ فَالْبَدْرُ لَا يُزْرِي بِهِ أَنْ كَانَ لَيْلَةً تَمَّهِ مَبْدُولًا

وتأتي لفظة (الشمس) في المرتبة الرابعة من هذا المعجم ، فقد وظفها الشاعر حوالي ثماني مرات ، وهي ترمز إلى السطوع والإشراق ؛ لذا استخدمها الشاعر في وصف الخليفة المتوكل فيقول^(٢) :
 إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاهُ بِالْبَدْرِ طَالَعًا وَبِالشَّمْسِ قَالُوا حَقًّا لِلشَّمْسِ وَالبَدْرِ

وتأتي كُلُّ من لفظة (الصباح) ، و(النجوم) و(الأرض) ، و(النار) في المرتبة الخامسة ؛ حيث وظف الشاعر كُلَّ لفظة منها حوالي خمس مرات .

والصباح هو ذلك الزمن المضيء بعد ظلام الليل . يقول الشاعر^(٣) :
 وَثَرْنَ وَللصَّبَاحِ مُعَقَّبَاتٌ تُقَلِّصُ عَنْهُ أَعْجَازَ الظَّلامِ
 فَلَمَّا أَنْ تَجَلَّى قَالَ صَحْبِي أَضَوْءُ الصَّبْحِ أَمْ وَجْهَ الإِمَامِ

تجد أنه استخدم هذه اللفظة بصيغتين : صيغة الصباح في البيت الأول ، وصيغة (الصبح) في البيت الثاني ، وذلك مراعاة للوزن .

والنجوم هي تلك الأجرام اللامعة في السماء ، والمؤدّة للطاقة ، وقد جاءت في شعر الوصف بصيغة جمع الكثرة (نجوم - فُعُول) ، وبصيغة جمع القلة (أَنْجَمٌ - أَفْعُلٌ) . يقول الشاعر بصيغة جمع الكثرة^(٤) :

ووجوهٌ كُنْجُومِ الـ ليل تهدي من يحارُ

وبصيغة جمع القلة^(٥) :
 وجوه بني العباس للملك زينة كما زينة الأفلاك بالأنجم الزهر

واللفظة الأرض توظيفات جميلة ، منها البيت التالي^(٦) :

(1) السابق ، ص ١٨٦ .

(2) نفسه ، ص ١٣٩ .

(3) نفسه ، ص ٢٠٧ .

(4) الديوان ، ص ١٢٦ .

(5) السابق ، ص ١٤١ .

(6) نفسه ، ص ١٢٦ .

يا وارث الأرض الذي أصبحت أقطارها من نوره تزهر

ففي هذه اللفظة نجد فيها إحياءً بأن الخليفة المتوكل قد ملك الدنيا ، حتى إن الأرض أصبحت ممّا ورثه وملكه ؛ وهذه مبالغة جميلة .

وكذلك اللفظة النّار توظيفات رائعة ، منها قول الشاعر في سجنه^(١) :
والنّار في أحجارها مخبوءة لا تُصطلى إن لم تُثرها الأزند

فستلحظ أن فيها إحياءً بقوة صبر الشاعر على سجنه ، وكأنه ناراً اختبأت بين أحجارها .

وتأتي لفظة (السّماء) في المرتبة السادسة ؛ حيث وظّفها الشاعر حوالي أربع مرات ، ولتوظيفاته لها أبيات في غاية الرّوعة والجمال ، يقول الشاعر^(٢) :
وفوّارة تارها في السّماء فليست تُقصر عن تارها

ففي كلمة (السماء) إحياءً بطول مدى الارتفاع الذي يصله الماء المتصاعد من فوهة تلك النافورة ، وكأنه يلامس السماء لأخذ ثار هناك .

ويأتي في المرتبة السابعة كلّ من لفظة (النّهار) و(الموج) و(البرق) و(الرعد) و(الأعجاز) و(الريّح) ، فقد وظّفت كلّ منها حوالي ثلاث مرات .

فمن شواهد توظيف لفظة النّهار بيت الشاعر التالي^(٣) :
المُلك فيه وفي بنيه ما اختلّف الليل والنّهار

فالشاعر يرى أن الليل والنّهار هما مؤشران زمنيان يتعاقبان ، وفي تعاقبهما استمرارٌ للحياة . فالليل زمن الغموض والرّاحة ، والنهار زمن الوضوح والعمل .

ومن شواهد توظيف لفظة الموج البيت التالي^(٤) :
للمّوج فيها تلاطمٌ عجبٌ والجزر والمدُّ في مشاربها

والشاعر يرى أن هذه البركة على الرغم من قلة مائها بالنسبة لماء البحر واحتباسه بين الجدران ، إلا أنّ لها أمواجاً تزيد من جماله وروعته .

(1) نفسه ، ص ٨٩ .

(2) نفسه ، ص ١٤٨ .

(3) الديوان ، ص ١٢٣ .

(4) السابق ، ص ٨٠ .

ومن توظيفات لفظة البرق البيت التالي (١) :
وَعَتَّتْ كُلُّ قَافِيَةٍ شُرُودٍ كَلِمَعِ الْبُرُقِ أَوْ لَهَبِ الضَّرَامِ

وللفظة الرعد شواهد منها البيت التالي (٢) :
حَـ شَرْجَةٌ كَالرَّعْدِ فِي عَارِضِ غَيْثٍ لَجِبِ

فالبيتان السابقان جاءت اللفظتان فيهما بصيغة المفرد ، أما صيغة الجمع لكلتا اللفظتين فقد أتت في البيت التالي (٣) :
فَلَمَّا أَضْرَّتْ بِالْعُيُونِ بُرُوقَهَا وَكَادَتْ تَصُمُّ السَّامِعِينَ رُغُودَهَا

ففي هاتين اللفظتين إيحاءً بكثرة وبَل تلك السحابة حتى كادت بروقها تضرُّ العيون ، وروعودها تصمُّ الآذان .

ومن توظيفات لفظة الأعجاز الشاهد التالي (٤) :
وَأَثْرُنَ وَالصَّبَّاحِ مُعَقَّبَاتٍ تُقْلَصُ عَنْهُ أَعْجَازَ الظَّلَامِ

فلنلاحظ أن في كلمة (أعجاز) إيحاءً بتتبع أنوار الصبّاح لأواخر الليل المتبقية حتى محتها وأزالتها .

ومن شواهد توظيفات لفظة الريح البيت التالي (٥) :
نَشَطَّتْ عَقْلَهَا فَهَبَّتْ هُبُوبَ الـ رِيحِ خَرْقَاءِ تَخْبِطُ الْبُلْدَانَا

فلفظة الريح هنا فيها إيحاءً بسرعة جري الناقة ، وكأنّها الريح حين هبوبها . أما في المرتبة الأخيرة من ألفاظ معجم الطبيعة ، فيأتي كلُّ من لفظتي (الهلال) و(الغيث) ؛ حيث وظّفهما الشاعر حوالي مرتين .

وقد جاءت لفظة الهلال بصيغة المفرد (الهلال) وبصيغة الجمع (أهّلة) ، يقول الشاعر في البيت التالي (٦) :

(1) نفسه ، ص ٢٠٦ .

(2) نفسه ، ص ٧٦ .

(3) نفسه ، ص ١١٣ .

(4) الديوان ، ص ٢٠٧ .

(5) السابق ، ص ١٢٨ .

(6) نفسه ، ص ١٣٣ .

رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَدْرَ أَيُّهُمَا أُنُورُ
فجاء بلفظة المفرد (هلال) ، وذلك لأن الموصوف مفرد ، وأما عندما كان
الموصوف جمعاً استعمل الشاعر لفظة الجمع (أهلة) ، وذلك في البيت التالي^(١) :

وَقَلْنَ لَنَا نَحْنُ الْأَهْلَاءُ إِنَّمَا تَضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بِلَيْلٍ وَلَا تَقْرِي

ومن شواهد توظيفات لفظة الغيث البيت التالي^(٢) :

وَالغَيْثُ يَحْصُرُهُ الْعَمَامُ فَمَا يُرَى إِلَّا وَرَيْقُهُ يَرَاخُ وَيَرْعُدُ
ففي لفظة الغيث إحياء بمحبة النَّاس للشاعر كمحبتها للغيث ، إلا أنه قد حُبِسَ
عَنَّهُمْ كَمَا حُصِرَ عَنْهُمُ الْغَيْثُ فِي ذَلِكَ الْعَمَامِ .
(ب) أَلْفَاظُ الْإِنْسَانِ :

وكذلك استعمل الشاعر في تصويره لموصوفاته ألفاظاً تخصُّ الإنسان ،
كالوجه ، والعين ، واليد ، واللِّسان ، والخذ ، والقلب والنَّفس .
وقد جاءت لفظة (الوجه) في المرتبة الأولى من معجم الألفاظ الإنسانية ؛
حيث وظفها الشاعر حوالي إحدى عشرة مرة ، منها ما جاء بصيغة المفرد ،
ومنها ما جاء بصيغة الجمع ، فمن أمثلة المفرد ما اتصل به ضمير المتكلم في
قوله^(٣) :

فَمَا صُنْتُ وَجْهِي عَنْ ظَبَاتِ سَيُوفِهِمْ وَلَا انْحَزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَتَكَسَّرُ

وما اتصل به ضمير الغائب في قوله^(٤) :

رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَدْرَ أَيُّهُمَا أُنُورُ

ومن أمثلة الجمع قوله^(٥) :

وَجُوهُ بَنِي الْعَبَّاسِ لِلْمَلِكِ زِينَةٌ كَمَا زِينَةُ الْأَفْلَاكِ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرُ

أما في المرتبة الثانية فيأتي كلُّ من لفظتي (العَيْن) ، و(اليد) ، فقد وظَّفهما

(1) نفسه ، ص ١٣٧ .

(2) الديوان ، ص ٨٩ .

(3) السابق ، ص ١٢٠ .

(4) نفسه ، ص ١٣٣ .

(5) نفسه ، ص ١٤١ .

الشاعر حوالي عشر مرات .

وقد جاءت لفظة العين بصيغ الإفراد والتنثية والجمع ، يقول الشاعر^(١) :

وَمَالَهُ عَيْنٌ وَلَا رُوحَ جَرَتْ فِي عَصَبِ

ويقول^(٢) :

فَارْمِ بَعَيْنَيْكَ إِلَى الشَّدِّ طَيْنَ عِنْدَ الكُؤْبِ

ويقول^(٣) :

فَلَمَّا تَرَاءَتْهُ العُيُونُ تَوَسَّمتْ بَدِيهَةَ أَمْرٍ تَدْعُرُ الْمُتَوَسِّمًا

فستلحظ أنّها في البيت الأول مفردة ، وفي الثاني مُثَنّاة ، وفي الثالث مجموعة .

وقد استعمل الشاعر كذلك الألفاظ التي لها علاقة بالعين على نحو ما .

إنّ العين لمّا كانت عضو حاسة البصر ، فقد أكثر الشاعر من توظيف لفظة (الأبصار) ، وذلك حوالي خمس مرات .

وقد كان توظيف الشاعر لهذه اللفظة في غاية الروعة والجمال ، من ذلك البيت التالي^(٤) :

فَتَى تَسْعُدُ الأَبْصارُ فِي حُسْنِ وَجْهِهِ كَمَا تَسْعُدُ الأَيْدِي بِبَائِلِهِ العَمْرُ

فلنحظ أنّ الأبصار قد شخّصت ، فإذا بها تسعد وتفرح بروية الوجه الحسن .

كما وظف الشاعر لفظة (الطَرْف) ، وهو الجفن الذي يحمي العين ، حوالي

أربع مرات ، وهو توظيف جميل ، من ذلك قول الشاعر^(٥) :

أَشْرُ بَيْدٍ وَاغْمِزُ بِطَرْفٍ وَلَا تَخَفُ رَقِيبًا إِذَا مَا كُنْتَ غَيْرَ مُبَجَّلِ

أمّا توظيف الشاعر لللفظة (اليد) فقد جاء بالصيغ الثلاث : الإفراد ، والتنثية ،

(1) نفسه ، ص ٧٥ .

(2) الديوان ، ص ٧٧ .

(3) السابق ، ص ٢٠٠ .

(4) نفسه ، ص ١٣٩ .

(5) نفسه ، ص ١٨٩ .

والجمع . من ذلك قوله^(١) :
فبَادِرْتُهُ يَدُ الْمُشْتَقِ تَسْنُدُهُ إِلَى التَّرَائِبِ وَالْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ

وقوله^(٢) :

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ عَلَيْهِ كَلَّتَاهُمَا تَغَارِ

وقوله^(٣) :

وَلَا يَدْفَعُ الْأَيْدِي السَّفِيهَةَ غَيْرَةً إِذَا نَالَ حَظًّا مِنْ لُبُوسٍ وَمَأْكَلِ

وتأتي في المرتبة الثالثة كلُّ من لفظتي (القلب) و(النفس) ؛ حيث وظّفهما الشاعر حوالي ست مرات ، وقد جاءتا بصيغة الإفراد والجمع . ومن ذلك قوله^(٤) :

أَزْحَنَ رَسَيْسَ الْقَلْبِ عَنِ مُسْتَقْرِهِ وَأَلْهَبْنَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ

وقوله^(٥) :

تَبَارَكَ الْجَامِعُ الْقُلُوبِ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْقُلُوبِ تَخْتَلِفُ

و جاءت لفظة (النفس) مفردة ، في قوله^(٦) :

كَثِيرٌ هُمُومِ النَّفْسِ كَزُّ كَائِهِ مِنْ الْبُخْلِ فَقُلٌّ ضَاعَ عَنْهُ مَفَاتِحُهُ

وقوله^(٧) :

حُقِّتْ بِمَا تَشْتَهِي النُّفُوسُ لَهَا وَحَارَتِ النَّاسُ فِي عَجَائِبِهَا

أما في المرتبة الأخيرة من معجم الألفاظ الإنسانية فقد جاءت كلُّ من لفظة (اللسان) و(الخدّ) و(العرة) ؛ حيث وظّف كلاً منها حوالي ثلاث مرات .

وقد جاءت لفظة الخدّ بالصيغ الثلاث : الإفراد والتثنية والجمع في الأبيات

(1) نفسه ، ص ١٠٥ .

(2) الديوان ، ص ١٢٣ .

(3) السابق ، ص ١٨٨ .

(4) نفسه ، ص ١٣٧ .

(5) نفسه ، ص ١٦١ .

(6) نفسه ، ص ٨٧ .

(7) نفسه ، ص ٨٠ .

الثلاثة التالية :

قوله^(١) :

وَرُقْعَةٌ جَاءَتْكَ مَثْنِيَّةً كَأَنَّهَا خَدٌّ عَلَى خَدٍّ

وقوله^(٢) :

يَقْصُ الْإِكَامَ بِهَا مَشِيقٌ عَيْطٌ مَتَّخِذُ الْخَدَّيْنِ أَقْلِحُ بِاسِلٌ

وقوله^(٣) :

عَشِيَّةٌ حَيَّانِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ خُدُودٌ أَضِيقتُ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ

أما لفظتا (اللسان) و(الغرة) فقد جاءتا بصيغة الإفراد والجمع فقط ، وإليك هذين البيتين الذين وردت فيهما لفظة اللسان :

قوله^(٤) :

بِمَاءٍ بَانَا كُلُّهُمُ لَا يَلِيْسَانِ الْعَرَبِ

وقوله^(٥) :

وَمِنْ دَالَعَاتِ أَلْسِنًا فَكَأَنَّهَا لِحَى مِنْ رَجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَاسِجِ

وجاءت لفظة (الغرة) في الشواهد التالية :

قوله^(٦) :

فَكَيْفَ قَايَسْتَ بِهَا غُرَّةً غَرَاءَ لَا تَخْفَى وَلَا تُسْتَرُ

وقوله^(٧) :

وَتَأَوَّهْتَ غُرْرُ الْقَوَافِي بَعْدَهُ وَرَمَى الزَّمَانَ صَحِيحَهَا بِسِقَامِ

(1) الديوان ، ص ١٠٧ .

(2) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ص ٢١٩ .

(3) الديوان ، ص ١٥٦ .

(4) السابق ، ص ٧٧ .

(5) نفسه ، ص ٨٤ .

(6) نفسه ، ص ١٢٨ .

(7) الديوان ، ص ٢١٢ .

(ج) ألفاظ الحرب :

ومن مُعجم ألفاظ الحرب ، وظف الشاعر كلاً من لفظة (السيف) حوالي خمس مرات ، ولفظتي (الحرب) و(الجيش) حوالي خمس مرات ، وكلاً من لفظة (الرّمح) و(الدّرْع) و(القنا) حوالي مرتين .

وإليك نماذج من توظيفات الشاعر لهذه الألفاظ :

يقول الشاعر^(١) :

أَنِسَ السَّيْفُ بِهِ وَاسْتَوَى تَوَحَّشَ الْعِاقُ النَّفْسَ يَسُ

ويقول^(٢) :

شَعْتُ عَلَى شُعْتٍ مِنَ الْفُحُولِ جَيْشٌ يَلْفُ الْحَزْنَ بِالسُّهُولِ

ويقول^(٣) :

وَلَهُمْ فِي الْحَرْبِ إِقْدَا مٌ وَرَأْيٍ وَاصْنُ طَبَارُ

ويقول^(٤) :

وَتَرَجُفُ الْأَرْضُ بِأَعْدَائِهِ إِذَا عَالَهُ الدَّرْعُ وَالْمِغْفَرُ

ويقول^(٥) :

وَمُعْتَصِمِي الْخَلْقِ لِلسَّيْفِ وَالْقَنَا عَلَيْهِ بَهَاءٌ حِينَ يَبْدُو وَيُقْبَلُ

مما سبق يتبين لنا أنّ المعجم الاسميّ للشاعر كان بارزاً في استعمال بعض الألفاظ كثيراً وعلى درجات . فإذا تحولنا إلى معجم الأفعال وجدنا فعلاً واحداً يمكننا أن نعدّه الفعل الوحيد الذي أكثر الشاعر من توظيفه ، وهو الفعل (تجلى) بمعنى ظهر واتّضح ؛ حيث وظفه الشاعر حوالي أربع مرات ، وكانت جميعها بصيغة الماضي المذكر والمؤنث ، وتأمّل في ذلك النماذج التالية ، فمن صيغة المذكر ما يلي :

يقول الشاعر^(١) :

(1) السابق ، ص ١٥١ .

(2) نفسه ، ص ١٩٢ .

(3) نفسه ، ص ١٢٥ .

(4) نفسه ، ص ١٢٨ .

(5) نفسه ، ص ١٧٤ .

فَلَمَّا أَنْ تَجَلَّى قَالَ صَحْبِي أَضَوْءُ الصُّبْحِ أَمْ وَجْهَ الْإِمَامِ

ويقول^(٢) :

يُضِيءُ لِأَبْصَارِ الرَّجَالِ كَأَنَّهُ صَبَاحُ تَجَلَّى يَزْحَمُ اللَّيْلَ مُقْبِلُ

ومن صيغة المؤنث ما يلي :

يقول الشاعر^(٣) :

تَخِرُّ الْوُفُودُ لَهَا سُجْدًا إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا

ويقول^(٤) :

كَأَنَّهَا وَالرِّيَاضُ مُحْدِقَةٌ بِهَا عَرُوسٌ تُجَلَّى لِخَاطِبِهَا

★ الحضارة :

وكان <للحضارة التي ضربت بجرانها على أرجاء العالم الإسلامي ، أثرٌ واضحٌ في الشعر العربي ، تجلّى في أفكار الشعراء وأخيلتهم ، وفي معانيهم وألفاظهم ؛ إذ لم يكن الشعراء بمعزل عن مجتمعهم الذي كان يأخذ بأسباب التقدّم والتطور ، وينهل من ينابيع الحضارة العالمية التي كانت تتفاعل مع الحضارة العربية ، لتنشأ بعد ذلك حضارة عربية إسلامية تنفياً بظلالها الناس قرونًا>^(٥) .

لهذا نجد أن شعراء العصر العباسي لم يلجؤوا إلى <استعارة ألفاظ القدماء ؛ لأنّ لهم ألفاظهم ، أي لأنّ لغتهم تطورت كما تطورت حياتهم ، أو لأنّ حياتهم تطورت فيجب أن تتطور اللغة لتلائم هذه الحياة ، حدثت معانٍ لم يكن يألفها القدماء ، فيجب أن تحدث لهذه المعاني ألفاظٌ غير الألفاظ التي ألفها القدماء>^(٦) .

وبالنظر في ألفاظ ابن الجهم نجد أنها تدلّ على ثقافته الواسعة ، وتأثرها بمظاهر الحضارة ، فقد وجدت لديه ألفاظٌ خاصّة بالخلافة والحكم ، وألفاظٌ خاصّة

(1) الديوان ، ص ٢٠٧ .

(2) السابق ، ص ١٧٤ .

(3) نفسه ، ص ١٤٧ .

(4) نفسه ، ص ٨٠ .

(5) لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، د/ جمال نجم العبيدي ، (بدون رقم طبعة أو تاريخها) ، دار زهران - عمان - الأردن ، ص ١٠١ .

(6) حديث الأربعاء ، د/ طه حسين ، الطبعة التاسعة (بدون تاريخ) ، دار المعارف بمصر ، ٩٥/٢ .

بالشعر ، وألفاظ خاصة بالكتابة ، وأخرى خاصة بالملابس والزينة .

★ فمن الألفاظ الخاصة بالخلافة والحكم : استخدم الشاعر لفظة (الخليفة) أربع مرات ، ولفظة (الخلافة) مرة واحدة ، ولفظة (الإمام) خمس مرات ، ولفظة (المُلك) أربع مرات ، ولفظة (الملوك) مرة واحدة ، ولفظة (المُلك) أربع مرات ؛ وإليك نماذج من تلك الأبيات التي وظفت فيها هذه الألفاظ :

يقول الشاعر^(١) :

فَلَيْسَ الْخَلِيفَةُ فِي مُلْكِهِ بِأَنْعَمَ مِنِّي وَمِنْ صَاحِبِي

ويقول^(٢) :

فَلَمَّا رَأَيْنَا بِنَاءَ الْإِمَامِ رَأَيْنَا الْخِلَافَةَ فِي دَارِهَا

ويقول^(٣) :

قَدَّرَهَا اللَّهُ لِلْإِمَامِ وَمَا قَدَّرَ فِيهَا عَيْبًا لِعَائِبِهَا

ويقول^(٤) :

قَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ بِالْمَلِكِ الْوَا ثِقَ بِاللَّهِ يَشْرَفُ الشَّرْفُ

ويقول^(٥) :

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمَلُو كَ تَبْنِي عَلَى قَدْرِ أخطارِهَا

ويقول^(٦) :

قَدْ كَانَ مُشْتَقًّا إِلَى خُطْبَةٍ مِنْكَ سِرِيرُ الْمَلِكِ وَالْمَنْبَرُ

★ ومن الألفاظ الخاصة بالشعر والعروض :

استخدم الشاعر لفظة (الشعر) و(الأشعار) و(القرىض) و(القصيدة) و(القافية) و(القوافي) . وإليك هذه الأبيات التي وظف فيها هذه الألفاظ . يقول

(1) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ص ٢٠٨ .

(2) الديوان ، ص ١٤٦ .

(3) السابق ، ص ٨٠ .

(4) الديوان ، ص ١٦١ .

(5) السابق ، ص ١٤٦ .

(6) نفسه ، ص ١٢٦ .

الشاعر^(١) :

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا السَّيْفُ يَنْبُو وَحَدُّهُ كَهَامٌ وَيَقْرِي وَهُوَ لَيْسَ بِذِي حَدِّ

ويقول^(٢) :

لَهُوهُمْ الأَسْمَارُ والأَشْعَارُ وَمَلْحٌ تُفَدِّحُ مِنْهَا النَّارُ

ويقول^(٣) :

وَعَدَا القَرِيضُ ضَيْلُ شَخْصٍ يَشْكُو رَزِيَّتَهُ إِلَى الأَقْلَامِ

ويقول^(٤) :

وَقَصِيْدَةٌ عَرَاءٌ يَفْـ نَى الدُّهْرُ قَبْلَ فَنَائِهَا

ويقول^(٥) :

وَعَتَّتْ كُلُّ قَافِيَةٍ شُرُودِ كَلِمَحِ البَرَقِ أَوْ لَهَبِ الضَّرَامِ

ويقول^(٦) :

وَتَأَوَّهْتَ عُرْرُ القَوَافِي بَعْدَهُ وَرَمَى الزَّمَانُ صَاحِبَهَا بِسِقَامِ

★ ومن الألفاظ الخاصة بالكتابة :

استخدم الشاعر لفظة (الكِتَاب) و(الرَّقْعَة) و(الأَسْطَار) و(الأَقْلَام) و(الخط) و(الحروف) . وإليك الأبيات التي وظفت فيها هذه الكلمات . يقول الشاعر^(٧) :

إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ وَعِنْدِي كِتَابٌ وَكَانَ الطَّبَاهُجُ مِنْ جَانِبِي

ويقول^(٨) :

(1) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ص ٢١٠ .

(2) الديوان ، ص ١٢٥ .

(3) السابق ، ص ٢١٢ .

(4) الديوان ، ص ٦٢ .

(5) السابق ، ص ٢٠٦ .

(6) نفسه ، ص ٢١٢ .

(7) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ص ٢٠٨ .

(8) الديوان ، ص ١٠٧ .

وَرُقْعَةٌ جَاءَتْكَ مَثْنِيَّةٌ كَأَنَّهَا خَدٌّ عَلَى خَدٍّ

ويقول (١) :

سَاهِمَةٌ أَسْطَارٌ مَصْرُوفَةٌ عَنِ مَلْحِ الْهَزْلِ إِلَى الْجَدِّ

ويقول (٢) :

وَعْدَا الْقَرِيضُ ضَنْبِلُ شَخْصٍ يَشْكُو رَزِيَّتَهُ إِلَى الْأَقْلَامِ

ويقول (٣) :

وَحَطٌّ كَمَوْشَى الْبُرُودِ مُنْظَمٌ أَنْبِقُ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ

ويقول (٤) :

حُرُوفٌ إِذَا لَاعَمْتَ بِالْعَيْنِ بَيْنَهَا حَكَتْ صَنْعَةَ الْوَأَشِيِّ الْمُسَدِّيِّ الْمُسَهَّمِ

★ ومن الألفاظ الخاصة بالملابس والحليّ :

استخدم الشاعر لفظة (البرود) و(الواشي) و(المسدي) و(الحلّة) ، ومن ألفاظ الحليّ استخدم الشاعر لفظة (الزّمرد) و(الفضة) و(الذهب) و(الياقوت) و(الزبرجد) . وإليك الأبيات التي وظف فيها هذه الألفاظ . يقول الشاعر (٥) :

وَحَطٌّ كَمَوْشَى الْبُرُودِ مُنْظَمٌ أَنْبِقُ لِعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ

ويقول (٦) :

وَحَتَّى اكْتَسَتْ مِنْ كُلِّ نَوْرٍ كَأَنَّهَا عَرُوسٌ زَهَاها وَشَيْها وَبُرُودها

ويقول (٧) :

حُرُوفٌ إِذَا لَاعَمْتَ بِالْعَيْنِ بَيْنَهَا حَكَتْ صَنْعَةَ الْوَأَشِيِّ الْمُسَدِّيِّ الْمُسَهَّمِ

(1) السابق ، ص ١٠٧ .

(2) نفسه ، ص ٢١٢ .

(3) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ص ٢٢٢ .

(4) الديوان ، ص ٢٠٢ .

(5) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ص ٢٢٢ .

(6) الديوان ، ص ١١٤ .

(7) السابق ، ص ٢١٢ .

ويقول (١) :

أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ وَجْهًا إِذَا بَدَا عَلَيْهِ حُلَّةٌ تَزْهَرُ

ويقول (٢) :

الْجِسْمُ فِيهَا قَضِيبٌ فِي زُمْرَدَةٍ وَالْجَفْنُ مِنْ فِضَّةٍ وَالْعَيْنُ مِنْ ذَهَبٍ

ويقول (٣) :

كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتٌ يُطِيفُ بِهَا زَبْرَجْدٌ وَسَطَهَا شَدْرٌ مِنَ الذَّهَبِ

★ الثقافة الإسلامية :

وللتقافة الإسلامية أثرها الواضح والجليّ في شعر علي بن الجهم ، فنلاحظ لديه كثرة توظيفه للفظ الجلالة (الله) وذلك في حوالي (١١) بيتًا ، واستمع إلى بعض النماذج التي وظف فيها اسم الله :

قال الشاعر (٤) :

وَمَا زَالَ بَيْتُ اللَّهِ بَيْنَ بِيُوتِكُمْ تَذُبُّونَ عَنْهُ بِالْمُهَيَّدَةِ الْبُشْرِ

ويقول (٥) :

لَا عَذَابَ لِلَّهِ إِلَّا مَنْ يُعَذِّبُهُ بِمُسْمَعٍ بَارِدٍ أَوْ صَاحِبِ نَكِدٍ

ويقول (٦) :

يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وَعَرَبِيَّتِهِ عَدْلٌ مِنَ اللَّهِ كُلُّ مَا صَنَعَا

كما نلاحظ كثرة اقتباساته لبعض ألفاظ القرآن الكريم في أبياته ، ومن ذلك الشواهد التالية :

قال الشاعر (٧) :

(1) نفسه ، ص ١٢٨ .

(2) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ص ٢٠٥ .

(3) الديوان ، ص ٧٣ .

(4) السابق ، ص ١٤١ .

(5) نفسه ، ص ١٠٥ .

(6) نفسه ، ص ١٥٩ .

(7) نفسه ، ص ٢٠٧ .

١- وَثُرْنَ وَلِلصَّبَاحِ مُعَقَّبَاتٌ ثُقُلْنَ عَنْهُ أَعْجَازَ الظَّلَامِ

فلفظة (معقبات) اقتباس من قوله تعالى : { لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } سورة الرعد ، آية رقم (١١) .

ويقول (١) :

٢- تَرَفُّضٌ عَنْ خُرْطُومِهِ الطَّوِيلِ صَوَاعِقٌ مِنْ حَجَرِ السَّجَّيلِ
تترك كَيْدَ القومِ فِي تَضْلِيلِ مَا كَانَ إِلا مِثْلَ رَجْعِ القِيلِ

وألفاظ هذين البيتين اقتباس من قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ آلِ فِيلٍ ﴿١﴾ أَلَمْ تَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ } سورة الفيل ، الآيات رقم (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

ويقول (٢) :

٣- الملك فيه وفي بنيه ما اختلف الليل والنهار

فلشطر الثاني اقتباس من قوله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ } سورة البقرة ، آية رقم (١٦٤) .

ويقول (٣) :

٤- فما برحت بعداد حتى تفجرت بأوديّة ما تستفيق مُدوِّها

فلفظة (تفجرت) اقتباس من قوله تعالى : { وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ } سورة البقرة ، آية رقم (٧٤) .

ويقول (١) :

- (1) الديوان ، ص ١٩٢ .
- (2) السابق ، ص ١٢٣ .
- (3) نفسه ، ص ١١٤ .

٥- ليس دارُ الدُّنيا بدارِ قرارٍ فَتَزُوذُ مِنْهَا لِدَارِ الْقَرَارِ

فهذا البيت اقتباس من قوله تعالى : { وَتَزُوذُوا فِإِنَّ خَيْرَ الْزَادِ التَّقْوَى }^ج
وَأَتَّقُونَ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ { البقرة ، آية (١٩٧) ؛ وقوله : { يَنْقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ } سورة غافر ، آية رقم (٣٩) .

ويقول (٢) :

٦- صُحُونٌ تُسَافِرُ فِيهَا الْعُيُونُ وَتَحْسِرُ عَنْ بُعْدِ أَقْطَارِهَا

فلفظة (تحسر) اقتباس من قوله تعالى : { يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ }
{ سورة الملك ، آية رقم (٤) .
ويقول (٣) :

٧- وَكُنَّ نَوَاهِضَ الْأَعْنَاقِ غُلْبًا فَعُدْنَ وَهُنَّ قَضَبَانُ الثَّمَامِ

فلفظة (غلبا) اقتباس من قوله تعالى : { وَحَدَّايِقُ غُلْبًا } سورة عبس ، آية رقم
(٣٠) .

ويقول (٤) :

٨- كَثِيرٌ هُمُومِ النَّفْسِ كَزُّ كَأَنَّهُ مِنْ الْبُخْلِ فَقُلْ ضَاعَ عَنْهُ مَفَاتِحُهُ

فلفظة (مفاتيحه) اقتباس من قوله تعالى : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ } سورة
الأنعام ، آية رقم (٥٩) .
ويقول (٥) :

٩- وَإِنْ ذُكِرَ الْمَجْدُ الْقَدِيمُ فَإِنَّمَا يُقْصُ عَلَيْنَا مَا تَنْزَلُ فِي الزُّبُرِ

(1) نفسه ، ص ١٤٤ .

(2) الديوان ، ص ١٤٧ .

(3) السابق ، ص ٢٠٧ .

(4) نفسه ، ص ٨٦ .

(5) نفسه ، ص ١٤٠ .

فلفظة (الزُّبر) اقتباس من قوله تعالى : { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ } سورة القمر ، آية رقم (٤٣) .

ويقول^(١) :

١٠- لَوْ أَنَّ سُلَيْمَانَ أَدَّتْ لَهُ شَيَاطِينُهُ بَعْضَ أَخْبَارِهَا

فلفظة شياطين اقتباس من قوله تعالى : { وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ } وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ . { سورة الأنبياء ، آية رقم (٨٢) .

ويقول^(٢) :

١١- تَخَرُّ الْوُفُودُ لَهَا سُجَّدًا إِذَا مَا تَجَلَّتْ لِأَبْصَارِهَا

وهي اقتباس من قوله تعالى : { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } سورة السجدة ، آية رقم (١٥) .

ومما سبق يتضح لنا أن علي بن الجهم كان كغيره من الشعراء في استخدامه لألفاظ الطبيعة والإنسان والحرب والحضارة والثقافة الإسلامية ، ولكنه وظفها توظيفاً جديداً لم ينفصل فيه عن مجتمعه وعصره الذي يعيش فيه ، وأنّ هذا المعجم الذي يتحرك ضمنه الشاعر وجد نتيجة لعوامل متنوّعة غير متجانسة ، منها المزاج الشخصي ، والإلهام الفطري ، والتحصيل الثقافي ، والوضع الاجتماعي ، والظرف الحضاري ، والنظام السياسي ، والمعتقد الديني ، وكلّ ما يهم الشاعر في الحاضر وما له قيمة في نفسه من الماضي^(٣) .

(1) الديوان ، ص ١٤٩ .

(2) السابق ، ص ١٤٧ .

(3) ينظر : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، د/ عبد القادر الرباعي ، بدون رقم الطبعة ، تاريخها (١٩٨٠م) ، نشر بدعم من جامعة اليرموك - إربد - الأردن ، ص ١٨ .

ثانيا - البناء اللغوي

<اللفظ هو المادة في بناء القصيدة الشعرية ؛ فهو بما يُثيره من أشكال يمنحها الصورة ، وبما فيه من جرس ، يهبها الإيقاع . وليس جلبه بالأمر الميسور ، وإنما يأتي لأن دوافع التجربة في داخل الشاعر هي التي تختاره وتعتمده وتطمئن إليه بعد أن تكون قد غاصت في أكوام هائلة من الألفاظ>^(١) .

فمدارُ الجمال الفني لأي عمل أدبي يكون في العلاقة الوثيقة بين الألفاظ والمعاني ، فليس <الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق ، بل أن تتأسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل>^(٢) .

والشعراء حينما يستخدمون الألفاظ فإنهم يستخدمونها استخداماً خاصاً بحيث يريدون منها أن تؤدي وظيفة خاصة تعكس ما يختلج في نفوسهم من معانٍ . وتبعاً لهذا دأب النقاد على التفريق بين وظيفتين للألفاظ هما :

١ - وظيفة إشارية دلالية .

٢ - وظيفة تعبيرية جمالية^(٣) .

وعلى هذا الأساس فإن تحليلنا للغة علي بن الجهم تتم من خلال المستويين : الصوتي والدلالي . فالصوتي نرعي به إلى الخصائص الصوتية من وزن وقافية وجرس ؛ أما الدلالي فهو المعاني التي تدل عليها الألفاظ الشعرية .

وبالنظر في شعر علي بن الجهم في الوصف ، نجد أنه <قد أدرك خاصية الملاءمة بين اللفظ والمعنى ، وما يمكن أن تحققه من آثار بعيدة في الأداء ، وقد وجد في غنى اللغة المتمثل في كثرة المترادفات ، وتنوع الصيغ ، وتعدد الجموع ، وفي ثروتها الكبيرة الناجمة عن سعة الاشتقاق ما يمكنه من اختيار اللفظة الملائمة للمعنى الذي يريد التعبير عنه>^(٤) .

فقد كان علي بن الجهم يستغل جرس الألفاظ والكلمات لتدل على معانيه ، وكان يُشاكل بين ألفاظه ومعانيه مُشاكلة دقيقة ، فعرف كيف يوائم بين أنغام موسيقاه ، ليؤدي بذلك إلى تصوير المعنى وتجسيمه .

(1) الصورة الفنيّة في شعر أبي تمام ، ص ٢٤١ .

(2) دلائل الإعجاز ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الطبعة الثانية (١٤١٠هـ-١٩٨٩م) ، مكتبة الخانجي - القاهرة - مصر ، ص ٤٩ .

(3) ينظر : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، ص ٢٤١ .

(4) علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ٢١٨ .

(أ) - سعة الاشتقاق :

لقد عمل الشاعر على إثراء مخزونه اللغوي بفيض زاخر من الألفاظ ، وذلك بالاعتماد على وسيلة هي من أهمّ وسائل نموّ اللغة ؛ حيث يقوم أكبر قسم من متن اللغة العربية عليها^(١) ؛ وهي وسيلة الاشتقاق .

والاشتقاق عند علماء اللغة يعني <استخراج لفظٍ من آخر متفق معه في المعنى والحروف الأصلية>^(٢) . فكلّ زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى . فاشتقّ الشاعر من المصادر صيغاً مختلفة كصيغة اسم الفاعل ، واسم المفعول ، وصيغ المبالغة ، وأفعال التفضيل .

وتسمى هذه الصيغ بالمشتقات .

★ اسم الفاعل :

لقد أبدع علي بن الجهم في توظيف أسماء الفاعلين المشتقة من الأفعال الثلاثية نحو : (ساطع ، وارث ، ناظر ، حاسر ، خادر ، دائر ، ناصل ، ذابل ، دافع ، مانع ، طالع ، الغامر ، النَّاصر ، الحاذق ، الشامل) ، وهي جميعاً على وزن فاعل .

فهذه الألفاظ إلى جانب ما توحىه من دلالة معنوية ، تُسهم بشكل واضح وملموس في إبراز الناحية الصوتية . واستمع إلى بعض من النماذج التي وظف فيها اسم الفاعل :

يقول الشاعر في قصيدته التي يصف فيها معركة خساف^(٣) :

بَارِضٌ حُسَافٍ حِينَ لَمْ يَكُ دَافِعٌ وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمُدَكَّرُ

فلنلاحظ أن لفظتي (دافع ومانع) مشتقتان من الفعلين (دَفَع ، مَنَعَ) ، وقد دلّتا على قيام السيف بالدفاع والحماية عن صاحبه ، هذا بالإضافة إلى ما في جرسهما الموسيقي من تلاؤم صوتي ، ففي حين انتهى الشطر الأول بلفظة (دافع) ، ابتدئ الشطر الثاني بلفظة (مانع) ، ولا شك أن ذلك إبداع لغوي جميل .

ويقول الشاعر من مقطوعته في وصف الحيّة^(٤) :

عُجْنَا الْمَطِيَّ وَنَحْنُ تَحْتَ الْحَاجِرِ بَيْنَ الْأَبَارِقِ وَالسَّبِيلِ الْعَامِرِ

(1) فقه اللغة ، د/ علي عبد الواحد وافي ، الطبعة السادسة (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م) ، جنة البيان العربي للطبع والنشر ، ص ١٧٢ .

(2) من أسرار اللغة ، ص ٦٢ .

(3) الديوان ، ص ١٢٠ .

(4) الديوان ، ص ١٤٢ .

وإذا بداهيّةٍ كأنّ حَفِيفَها بَيْنَ الثُّمَامِ حَفِيفُ لَيْثِ خَادِرِ

فنرى أن هذين البيتين ينتهيان باسمي فاعلين هما (الغامر ، وَ خادر) ، وهما أيضاً مشتقان من فعلين ثلاثيين هما (عَمَرَ وَ خَدَرَ) ، وقد أفادا بغزارة تلك المعاني التي تجول في فكر الشاعر ، فالسبيل قد ملئ بالماء حتى أصبح غامراً به ، والليث قد عراه فتور حتى أصبح خادراً ؛ كما أنّهما قد أسهما في إبراز الناحية الصوتية حيث يتردد على الأذن وزن فاعل في نهاية كلّ بيت ، وهذا مما تطرب إليه النفوس .

وكما أبدع الشاعر في توظيف أسماء الفاعلين من الثلاثي ، أبدع كذلك في توظيفها من غير الثلاثي ، وعمل على تآزرهما معاً مما أدى إلى إحداث ملاءمة صوتية ومعنوية رائعتين .

وإليك بعض النماذج التي وظّف فيها الشاعر أسماء فاعلين من الثلاثي وغير الثلاثي .

يقول الشاعر في وصف الشيب^(١) :

فلا وأبيك الخير ما انقك ساطعٌ من الشيب يجلو من دجى الليل

فلنلاحظ أن الشطر الأول ينتهي بلفظة (ساطع) ، وهي من الفعل الثلاثي ، على وزن فاعل ، في حين أن الشطر الثاني ينتهي بلفظة (مُظلم) وهي من غير الثلاثي ، بقلب ياء مضارعه ميماً مضمومة ، وكسر ما قبل الآخر^(٢) .

وقد كشفت هاتان اللفظتان بجلاء عن المعنى المراد ؛ إذ لا يخفى عليك ما في معناهما من التضاد ، فالشاعر يقصد بالساطع شعر الشيب الأبيض ، بينما يقصد بالمظلم شعر الرأس الأسود . كذلك نجد أن جرسهما الموسيقي المتناغم يُثري الناحية الصوتية لهذا البيت ؛ فالشاعر بحسّه الفنيّ وبدانقته الموسيقية الرائعة اهتدى إلى اختيار هاتين اللفظتين لتعبيراً بصدق عما يدور في خَلده بصياغة تستلذ الأذن بسماعها .

كما يقول في وصف إحساسه به^(٣) :

فها أنا منه حاسرٌ مُتَعَمِّمٌ ولم أر مثلي حاسراً مُتَعَمِّمًا

(1) السابق ، ص ٢٠٠ .

(2) ينظر : شذا العرف في فن الصرف ، لأحمد الحملوي ، الطبعة الخامسة (١٦٤١ هـ - ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت - لبنان ، ص ٦٣ .

(3) الديوان ، ص ٢٠٠ .

فقرى أن (حاسر) اسم فاعل من الفعل (حَسَرَ) ، و(متعمم) اسم فاعل من غير الثلاثي ، وقد كان لمجيئهما معاً وتأزرهما دورٌ كبيرٌ في إبراز المعنى بالصورة التي أرادها الشاعر ، بالإضافة إلى ما تصبغان به البيت من صبغة موسيقية ناتجة عن تكرارهما .

ويقول أيضاً في أبياته التي يصف فيها كلاب الصيد⁽¹⁾ :

بُمُسْتَرُوحَاتٍ سَابِحَاتٍ بَطُونُهَا على الأرض أمثال السهام الزوّاج
وَمُسْتَشْرَفَاتٍ بِالهُوَادِي كَأَنَّهَا وما عَقَقْتُ منها رُؤُوسُ الصَّوَالِجِ
وَمِنْ دَالِعَاتٍ أَلْسِنًا فَكَأَنَّهَا لِحَى مِنْ رَجَالٍ خَاضِعِينَ كَوَاسِجِ

فلنلاحظ أن لفظتي (سباحات ودالعات) هما من الفعلين الثلاثيين (سَبَحَ ودَلَعَ) ، وأن لفظتي (مستروحات ومستشرفات) هما من غير الثلاثي . وقد أسهمت تلك الألفاظ في أداء المعاني التي تعجز كثير من الألفاظ الأخرى عن أدائها إذا ما وضعت مكان أسماء الفاعلين هذه ، فقد ترجمت بصدق وقوة ما أراد الشاعر من أفكار ، وأحدثت أوزانها المتشابهة نغمة موسيقية رنانة .

★ اسم المفعول :

وإلى جانب صيغة اسم الفاعل ، أبدع الشاعر في توظيف صيغ أسماء المفعولين ، وقد جاءت معظم صيغ هذا المشتق من الفعل الثلاثي الجذر فقط ، وذلك نحو أسماء المفعولين التالية : (محصور ، مغمور ، مجهول ، مسلول ، مخذول ، محجوبة ، مملوكة ، مخبوءة ، مقرونة ، مصروفة ، موفورة) .

وإليك بعضاً من الشواهد التي وظفت فيها هذه الأسماء :

يقول الشاعر من قصيدته في وصف إحساسه بالصَّلب الأبيات التالية⁽²⁾ :

هل كان إلاّ اللَّيْثُ فارقَ غِيْلَهُ فرأيتُهُ في مَحْمَلٍ مَحْمُولًا
ما عَبَاهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِيَاسُهُ فالسَّيْفُ أهولُ ما يُرى مسلولا
إن يُبَدِّلُ فالبَدْرُ لا يزرِّي به أن كان ليلةً تمّهُ مبذولا

فلنلاحظ ذلك الجمال الموسيقي لهذه الأبيات ؛ حيث انتهت بأسماء المفعولين (محمول ، مسلول ، مبذول) ، فأحدثت رنات موسيقية متكررة في نهاية كل بيت ، علاوة على ما أوحى به هذه الألفاظ من الدلالات الغزيرة . فالليث قد حمل ،

(1) السابق ، ص ٨٤ .

(2) الديوان ، ص ١٨٦ .

والسيف قد سُلَّ ، والبدر قد بُذِل . وهذه الأفعال قد وقعت على المفعول به عنوة ، وهذا يشير إلى أن وقوع أمر الصَّلب على الشاعر كان عنوة أيضاً .

ويقول كذلك في مفاضلته بين وجه الخليفة المتوكل والشمس ، البيت التالي (١) :

الشَّمْسُ يَوْمَ الدَّجْنِ مَحْجُوبَةٌ وَاللَّيْلُ يُخْفِيهَا فَلَا تَظْهَرُ

ف(محجوبة) اسم مفعول للمؤنث ، دلّ على وقوع فعل الحجب على الشمس ، لذا فهي لا تقاس بنور عرّة الخليفة التي لا يحجبها شيء ، كما أن في وزن (مفعولة) نغمة موسيقية هادئة تستريح لها الأذن .

ويقول في مفاضلة بين سقاء كرم الخليفة والبحر (٢) :

الْبَحْرُ مَحْصُورٌ لَهُ بَرَزَخٌ وَالْجُودُ فِي كَفَيْهِ لَا يُحْصَرُ

ف(محصور) اسم مفعول ، دلّ على وقوع فعل الحصر على البحر ، فهو محصورٌ بدون إرادةٍ منه ؛ لذا لا يمكن قياسه بكف الخليفة التي لا يحصرها شيء .

هذا بالنسبة للدلالة المعنوية لصيغة اسم المفعول ، أما من ناحية الدلالة الصوتية فإننا نلاحظ أن كثرة ترديد أسماء المفعولين ، سواء المذكر منها أم المؤنث ، يطبع الأبيات الشعرية بطابع موسيقي خلّاب ؛ حيث يتردد على السمع تلك النغمات الموسيقية ذات الوزن المحدد فتستأنس الأذان بسماعها .
★ صيغ المبالغة :

وهي أوصافٌ تُستعمل للدلالة على الكثرة والمبالغة في الفعل ، ولها خمسة أوزان هي : فَعَّالٌ ، مِفْعَالٌ ، فُعُولٌ ، فَعِيلٌ ، فَعِلٌ (٣) .

وقد أبدع الشاعر في توظيف هذه الصيغ في شعره في الوصف ؛ وإليك بعضاً من النماذج التي وظف فيها بعض هذه الصيغ :

يقول الشاعر في مقطوعته التي يصف فيها قلائصه البيت التالي (٤) :

تَهاوَى بِبَيْنِ هَدَارٍ نَجِيٍّ وَقَوَّرَ الرَّحْلَ طِيَّاشَ الزَّمَامِ

(1) السابق ، ص ١٢٨ .

(2) نفسه ، ص ١٢٨ .

(3) ينظر : شذا العرف في فن الصرف ، ص ٦٣ .

(4) الديوان ، ص ٢٠٧ .

فلنحظ أن هذا البيت قد صور لنا حال تلك النوق في جريها تصويرا رائعا ، وذلك بسبب ما فيه من صيغ المبالغة التي تعاونت مع بعضها البعض لإبراز المعنى في صورة أوضح ، ف(هدّار وطيّاش) دلّتا على المبالغة في هدر الناقة وطيّشان زمامها . و(وقور) تدلّ على المبالغة في وقار رحلها حيث لم يتحرك أو يتزعزع مع جريها الشديد .

ويقول في أبياته التي يصف فيها كرم وشجاعة الواثق البيتين التاليين^(١) :

مَلِكٌ تَفَزَعُ مِنْ صَوِّ لَتِهِ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ

أَنَسَ السَّيْفُ بِهِ وَأَسَدٌ تَوَحَّشَ الْعَلِقُ النَّفِيسُ

فنرى أن هذين البيتين قد انتهى كلّ منهما بصيغة مبالغة ، فالبيت الأوّل انتهى بلفظة (الضَّرُوس) ، وهي على وزن (فَعُول) ، وانتهى البيت الثاني بلفظة (النفيس) ، وهي على وزن (فَعِيل) . ومعهما شعرنا بقوة الدلالة وفخامتها ، فقد أوحى لنا صيغة الضَّرُوس بالمبالغة في شدة تلك الحرب وإهلاكها للحرث والنسل ، وأوحى لنا صيغة (النَّفِيس) بالمبالغة في نفاسة تلك الجواهر وغلاء ثمنها .

ويقول في مقطوعته التي يصف فيها الكتاب البيت التالي^(٢) :

يُفِيدُكَ عِلْمًا أَوْ يَزِيدُكَ حِكْمَةً وَغَيْرَ حَسُودٍ أَوْ مُصِرًّا عَلَى الْحَقْدِ

و(حسود) على وزن فعول ، دلّت على المبالغة في ذلك الحسد الذي تحمله قلوب بعض الأصحاب المخادعين ، أما الكتاب فإنه لا يحمل من أشكال الحسد كثيره أو قليله شيئا ، بل هو محبٌ للخير لصاحبه . كما ساعدت صيغة (فَعُول) في تناسق الإيقاع الصوتي لهذا البيت .

★ اسم التفضيل :

وهو الاسم الدالّ <على شيين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة>^(٣) . ويشتق من الفعل الثلاثي ويكون على وزن (أفعل) .

وأسماء التفضيل التي جاءت في شعر علي بن الجهم في الوصف كثيرة ، منها : (أفوم ، أكحل ، أبهى ، أجمل ، أحمى ، أبسل ، أعذب ، أنفع ، أشمل ، أفضل ، أنور ، أحسن ، أخطب ، أكثر ، أرجم ، أولى ، أهول ، أكرم) .

فلنحظ أن في كثرة مجيء وزن (أفعل) في شعر علي بن الجهم في الوصف ، أسهم بشكل واضح وملموس في تجلية الناحية الصوتية ، وإبراز ما يتحلى به

(1) السابق ، ص ١٥١ .

(2) الديوان ، ص ١١١ .

(3) شذا العرف في فن الصرف ، ص ٦٦ .

الشاعر من حسن لغوي مُرهِف ، ونفس شاعرة تحافظ على جودة أبياته وتبتعد عن كل ما يؤدي إلى تنافر الألفاظ .

وإليك الآن بعضاً من الشواهد التي وُظفت فيها أسماء التفضيل :

يقول الشاعر في أبياته التي يصف فيها الخليفة المعتصم⁽¹⁾ :
 إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالِعًا بِحَسْنَاكَ حَظًّا أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْمَلُ
 وَنَظْمٌ إِنْ قِسْنَاكَ بِاللَّيْثِ فِي الْوَعَى فَأَنْتَ أَحْمَى لِلذَّمَارِ وَأَبْسَلُ
 وَكُنْتَ بِيحْرِ أَنْتَ أَعْدَبُ مَوْردًا وَأَنْفَعُ لِلرَّاجِي نَدَاكَ وَأَشْمَلُ
 وَلَا وَصْفَ إِلَّا قَدْ تَجَاوَزْتَ حَدَّهُ وَلَا سَيِّبَ إِلَّا سَيِّبُ كَفِّكَ أَفْضَلُ

فلنلاحظ على هذه الأبيات أنها تنتهي بأسماء التفضيل (أجمل ، أبسل ، أشمل ، أفضل) ، هذا بالإضافة إلى ما جاء داخل الأبيات منها وهي : (أحمى ، أعذب ، أنفع) ، فمنحت كثرة هذه الأسماء الأبيات رنات موسيقية متكررة ، كذلك أسهمت بشكل قوي وفعال في تصوير المعنى الذي يجول في خاطر الشاعر ، وهو تفضيل الخليفة من ناحية أنه أكحل عيناً من العيون التي لم تألف الكحل ، وأبهى وأجمل وجهاً من البدر ، وأحمى للذمار وأبسل من الليث ، وأعذب وأنفع وأشمل عطاءً من البحر . لذا فالشاعر يرى أنه قد تجاوز حد الأوصاف ، فاستحق بذلك أن يكون أفضل من غيره .

ويقول في قصيدته التي يصف فيها القصر الهاروني⁽²⁾ :

وَأَرْوْقَةٌ شَطْرُهَا لِلرُّخَامِ مِ وَاللَّتْبَرِ أَكْرَمُ أَشْطَارِهَا

فاسم التفضيل (أكرم) قد أوحى لنا بوجود مادتين تتكون منهما أروقة القصر ، وهما مادة الرُّخَامِ ومادة التبر ، إلا أن مادة التبر أكرم من مادة الرُّخَامِ ، وذلك لنفسيتها وتكونها من فئات الذهب والفضة . كما أن في صيغة (أكرم) تناسباً موسيقياً مع بقية ألفاظ البيت .

ويقول في مطلع قصيدته التي يصف فيها منزل المفضل⁽³⁾ :

نَزَلْنَا بِبَابِ الْكَرْخِ أَفْضَلَ مَنزِلٍ عَلَى مُحْسِنَاتٍ مِنْ قِيَانِ الْمُفْضَلِ

(1) الديوان ، ص ١٧٤ و ١٧٥ .

(2) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ص ٢١٥ .

(3) الديوان ، ص ١٨٨ .

فالشاعر قد فضّل منزل المفضل على غيره من بقية الدّور ، وذلك لوجود القيان الجميلات فيه . كذلك نلحظ الدور الموسيقي الذي أدته لفظة (أفضل) وجعلت الشاعر يختارها دون غيرها ويضعها في هذا الموضوع المناسب . ففي لفظة (أفضل) ولفظة (المفضل) تناسب وتناسق موسيقي رائع .

(ب) - جمع التكسير :

ومن مظاهر البناء اللغوي لدى الشاعر ، استخدامه لنظام جمع التكسير ، والذي <توسعت اللغة العربية في استخدامه توسعاً كبيراً ، حتى أصبح للمفرد الواحد فيها عدّة جموع من هذا النوع>^(١) .

لقد أبدع علي بن الجهم في توظيفه لهذا الجمع ؛ فهناك العديد من القصائد والمقطوعات التي تزخر بألفاظ هذا الجمع ، ومن يقرأ قصيدة الشاعر في وصف القصر الهاروني ، والتي مطلعها البيت التالي^(٢) :

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمُلُو كَ تَبْنِي عَلَى قَدْرِ أخطارها

فإنه سيلحظ كثرة جموع التكسير فيها ، نحو : (أخطار ، آثار ، أحرار ، أعمار ، أقطار ، أسرار ، أشفار ، أنوار ، أبكار ، أشطار ، أثمار ، أخبار ، الملوك ، العيون ، النجوم ، الوفود ، عقول ، صحون ، أروقة ، بدايع ، منابت ، شياطين) .

وهذا يعكس ثراء مخزون الشاعر اللغوي ، وجمال ذائقته الفنيّة ؛ إذ إن إيقاعات هذه الألفاظ وكثرة ترديدها بين الشطور أكسب أبيات القصيدة موسيقى متناغمة .

ونلحظ أيضاً هذه الكثرة في توظيف ألفاظ هذا الجمع في قصيدته في وصف جيش المتوكل والتي مطلعها قول الشاعر^(٣) :

جَاوَزَ نَهْرَ الْكَرِّ بِالْخَيْوَلِ تَرْدِي بِفَتِيَانٍ كَأَسَدِ الْغَيْلِ

فهناك : (خيول ، نحول ، عيون ، نصول ، فحول ، سهول ، كهول ، حجول ، ذهول ، بعول ، صواعق ، صوارخ ، ثواكل ، شعث ، حُسر ، الأولاد ، أسد) .

وهناك شواهد عديدة على توظيف الشاعر لألفاظ هذا الجمع في قصائده ، إلّا أنّ هاتين القصيدتين كانتا الأبرز في إيضاح جمال إيقاعات هذا الوزن .

(1) فقه اللغة ، ص ٢٠ و ٢١ .

(2) الديوان ، ص ١٤٦ .

(3) السابق ، ص ١٩٢ .

(ج) - الترادف :

ومن براعة الشاعر اللغوية كذلك ، استخدامه للترادف ، وهو < أن المعنى الواحد قد يُعبر عنه بعدة كلمات مختلفة الأصوات > (١) .

وإليك بعضاً من النماذج التي توضح لك أبعاد هذه الخاصيّة :
- السّيف :

استخدم الشاعر للسّيف أسماء متنوعة حيث يقول (٢) :

ما عَابَهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِباسُهُ فالسّيفُ أهولُ ما يُرى مسلولاً

ويقول (٣) :

قالت حُبست فقلت ليس بضائري حبسي ، وأيُّ مُهندٍ لا يُعمدُ

ويقول (٤) :

حتى إذا أصحَرَ للمَخْدول نَاجِزَهُ بِصَارِمِ صَقِيلِ

ويقول (٥) :

بأرضِ حُسادٍ حينَ لم يكِ دافعُ ولا مانعٍ إلا الصّفيحُ المُذكَرُ

ويقول (٦) :

إذا ساعدَ الطّرفُ الفتى وجنائه وأسمرَ خطّي وأبيضُ مِبْتَرُ

ويقول (٧) :

بمُعتركٍ فيه المنايا حواسرُ ونارُ الوعى بالمشرقيّة تُسعرُ

فلاحظ أن الشاعر استخدم لفظة السّيف والمهند والصارم والصفّيح - علماً بأن الاسم الوارد في كتب اللغة هو الصّفيحة وليس الصفّيح - والأبيض . إلا أن وصفه له بالمبتتر على غير ما جاء في كتب اللغة ، فالذي جاء فيها هو البتّار ،

(1) أسرار اللغة ، ص ١٤٤ .

(2) الديوان ، ص ١٨٦ .

(3) السابق ، ص ٨٨ .

(4) نفسه ، ص ١٩٢ .

(5) نفسه ، ص ١٢٠ .

(6) نفسه ، ص ١٢٠ .

(7) نفسه ، ص ١٢٠ .

والمشرفيّة^(١) .

- حَدَّ السَّيْفِ :

يقول الشاعر^(٢) :

وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا السَّيْفُ يَنْبُو وَحَدُّهُ كَهَامٌ وَيَفْرِي وَهُوَ لَيْسَ بِذِي حَدِّ

ويقول^(٣) :

فَمَا صُنْتُ وَجْهِي عَن ظُبَاتٍ وَلَا انْحَزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَتَكَسَّرُ

ويقول^(٤) :

وَضِيءٌ كَنَصْلِ السَّيْفِ إِنْ رَثَّ إِذَا كَانَ مَصْفُولَ الْغُرَارِينَ مَخْدَمًا

فاستخدم الشاعر لفظة الحدّ والظُّبَاتِ ، والغرارين .

- النوق :

كذلك استخدم الشاعر للنوق أسماء مختلفة ، من ذلك الأبيات التالية :

يقول الشاعر^(٥) :

بِخَيْفَانَةٍ كَالْقَصْرِ وَجَاءَ حُرَّةٍ نَمَتْهَا مِنَ النُّوقِ الْهَجَانُ الْخَوَانِفُ

ويقول^(٦) :

إِيَّاكَ خَلِيفَةَ اللَّهِ اسْتَقَلَّتْ قَلَائِصُ مِثْلُ مُجْفَلَةِ النَّعَامِ

ويقول^(٧) :

وَأَمْنَعُ نَوَاجِيَهَا النَّجَا ءَ فَلَاتَ حِينَ نَجَائِهَا

فلنلاحظ أن البيت الأول جاء بلفظة النوق ، والبيت الثاني بالقلائص ، وقد ورد

(1) ينظر أسماء السيِّف بالتفصيل في كتاب المُرْهَر في علوم اللغة وأنواعها ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاؤه) ، ص ٤٠٩ و ٤١٠ .

(2) مجلة العرب ، س ٤٠ ، ص ٢١٠ .

(3) الديوان ، ص ١٢٠ .

(4) السابق ، ص ٢٠٠ .

(5) مجلة العرب ، ص ٢١٦ .

(6) الديوان ، ص ٢٠٦ .

(7) السابق ، ص ٦١ .

بيت آخر بلفظة القلاص ، والبيت الثالث بلفظة النواجي .
- الصقور :

يقول الشاعر (١) :

شواهيئنا من بَعْدِ صَيْدِ الزَّمَامِجِ قرناً بُزاةً بالصُّقُورِ وَحَوَّمتْ

ويقول (٢) :

فوق القِلاصِ السِّعْمَلاتِ أَجَادِلُ وَحَمِيَتْ أَصْحابِي الكَرى وَكَأْتَهُم

فأستخدم الصقور والأجادل .

- العين :

يقول الشاعر (٣) :

أو مانِعاً جَفْنَ عَيْنِيهِ مِنَ السَّهْدِ كَأَنَّ فِيهِ شِفاءً مِنْ صَبَابَتِهِ

ويقول (٤) :

أَلْقَتْ قِناعَ الدُّجى فِي كلِّ أَحْدودِ وَلَيْلَةٍ كُحِلَتْ بِالنَّفْسِ مُقْلُتُهَا

فأستخدم لفظة العين ومرادفتها المقلّة .

- الأعناق :

يقول الشاعر (٥) :

قَصِداً وَيَحْجُبُها السَّوادُ الشَّامِلُ وَهَزَزَتْ أَعْناقَ المَطِيِّ أسُومُها

ويقول (٦) :

وما عَقَقْتُ مِنْها رُؤوسُ الصَّوالِجِ وَمُسْتَشْرِفاتِ بِالهَواذِي كَأَها

فأستخدم الأعناق والهواذي .

- الأيدي :

يقول الشاعر (٧) :

(1) نفسه ، ص ٨٤ .

(2) نفسه ، ص ١٧٧ .

(3) نفسه ، ص ١٠٤ .

(4) نفسه ، ص ١٠٦ .

(5) الديوان ، ص ١٧٧ .

(6) السابق ، ص ٨٤ .

(7) نفسه ، ص ١٨٨ .

ولا يَدْفَعُ الأَيْدِي السَّفِيهَةَ غَيْرَةً ۚ إذا نالَ حَظًا مِنْ لَبُوسٍ وَمَأْكَلٍ

ويقول (١) :

وَحَتَى رَأَيْنا الطَّيْرَ فِي جَنَباتِها تَكَادُ أَكْفُ الغائياتِ تَصيْدُها

فجاء بالأيدي والأكف .

ومما سبق نلاحظ تنوع البناء اللغوي في شعر الوصف ؛ حيث وجد الشاعر في غنى اللغة العربية والمتمثل في سعة الاشتقاق ، وتعدد الجموع ، وكثرة المترادفات ، ما مكّنه من اختيار اللفظ الملائم للمعنى المراد ؛ حيث <إن لكل نوع من المعنى نوعاً من اللفظ هو به أخصّ وأولى ، وضروباً من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أحلى> (٢) .

(1) نفسه ، ص ١١٤ .

(2) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، د/ محمد زغلول سلام ، الطبعة الرابعة (بدون تاريخ الطبع) ، دار المعارف بمصر ، ص ١١٧ ، <الرسالة الشافية للجرجاني> .

ثالثاً - الصورة الفنيّة

إنّ الصّورة الفنّيّة هي وسيلة الشاعر في محاولته إخراج ما بقلبه وعقله وإيصاله إلى غيره^(١) ، مُعتمداً في ذلك على ملكة الخيال التي تُمكنه <من خلق قصائد ، ينسج صورها من مُعطيات الواقع ، ولكنه يتجاوز ما وراء هذه المعطيات ويُعيد تشكيلها ، سعياً وراء تقديم رؤية جديدة مُتميّزة للواقع>^(٢) .
<وعلى هذا فإن الشعراء لا يتركون شيئاً في الطبيعة إلا وينفتون فيه من عواطفهم وخواطرهم ومشاعرهم>^(٣) .

وإذا أردنا أن نُجمل القول في تعريف الصّورة الفنّيّة نقول : <هي أية هيئة تُثيرها الكلمات الشعرية بالذهن ، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن>^(٤) .

وبتدقيقنا النّظر في شعر علي بن الجهم في الوصف نجد أنه <يلجأ إلى الخيال ويجعله وسيلة أخرى من وسائل التعبير ، فتآزر عندئذٍ الكلمة الموحية مع الصورة المُتخيّلة على التعبير والتأثير .

ومظهر التخيّل عند ابن الجهم هو التشبيهات والاستعارات والكنيات ، غير أنّه لا يُسرف في استعمالها كثيراً ، وقارئ شعره يجد في ديوانه ألواناً طريفة جميلة من الأخيّلة تفتح أمامه أبواباً من الحسّ والشعور كانت لولاها مُغلقة>^(٥) .
أ/ التشبيه :

وهو <صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ؛ لأنه لو ناسبه مُناسبة كُليّة لكان إياه>^(٦) .
<والتشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويُكسبه تأكيداً ، ولهذا أُطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ، ولم يستغن أحدٌ منهم عنه . وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل

(1) ينظر : الصّورة الفنّيّة في النّقد الشّعري- دراسة في النظرية والتطبيق ، د/ عبد القادر الرّباعي ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ص ٨٥ .

(2) الصّورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د/ جابر أحمد عصفور ، (بدون رقم الطبعة أو تاريخها) ، دار المعارف بمصر ، ص ١٣ و ١٤ .

(3) في النقد الأدبي ، د/ شوقي ضيف ، الطبعة الثامنة ، (بدون تاريخ الطبع) ، دار المعارف بمصر ، ص ١٧١ .

(4) الصّورة الفنّيّة في النّقد الشّعري ، ص ٨٥ .

(5) علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ٢١٩ و ٢٢٠ .

(6) العُمدة ، ٢٨٦/١ .

لسان> (١) .

فقد وجد علي بن الجهم في التشبيه وسيلة للتعبير وتمثيل المعاني بصورة رائعة .

وقد تنوعت تشبيهات الشاعر وتعددت ، فمن ذلك نعرض عليك النماذج التالية :

يقول الشاعر (٢) :

ووجوهٌ كنجومِ الـ _____ لئيلٍ تهدي من يحارُ

فشبهه وجوه بني العباس في إشراقها وشدة ضيائها والاهتداء بها بنجوم الليل اللامعة والمتألئة وسط الظلام ، والتي يهتدي بها الحائر في طريقه .

ويقول (٣) :

وَضِيءٌ كَنَصْلِ السَّيْفِ إِنْ رَثَّ _____ إِذَا كَانَ مَصْقُولَ الْغِرَارِينَ مِخْدَمَا

يشبه الشاعر شعيرات الشيب البيضاء في شدة ضيائها ولمعاتها بنصل السيف المضيء واللامع ، وذلك عندما يكون مصقول الحدين قاطعاً ، فالإنسان يهتم عادةً بنصل سيفه ويعتني به عناية فائقة ، أما الغمد فإنه يذوب ويتآكل بطول الزمن . فلشاعر قد أبدع حينما شبه الشيب الأبيض بذلك النصل اللامع .

ويقول (٤) :

جَاوَزَ نَهْرَ الْكَرِّ بِالْخَيُْولِ _____ تَرْدِي بِفَتِيَانٍ كَأَسَدِ الْغَيْلِ

شبه الشاعر فرسان جيش المتوكل الأقوياء بأسد الغابة القوية ، وذلك في شجاعتهم وقوة بطشهم .

ويقول (٥) :

تَرَاهَا كَالسَّرَاةِ مُعَمَّمَاتٍ _____ إِلَى اللَّبَاتِ مِنْ جَعْدِ اللَّغَامِ

يشبه الشاعر قطار الجمال أو النياق المرتفعت المعممات باللغام حتى الأعناق بجبال السروات المرتفعة والمتتابعة .

(1) الصناعتين - الكتابة والشعر ، لأبي هلال العسكري ، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ص ٢٦٥ .

(2) الديوان ، ص ١٢٦ .

(3) السابق ، ص ٢٠٠ .

(4) نفسه ، ص ١٩٢ .

(5) الديوان ، ص ٢٠٦ .

ويقول (١) :

وَسَمَتْ إِلَيَّ فَبَادَرْتُهَا ضَرْبَةً تَرَكْتُ مَعَالِمَهَا كَرَسَمٍ دَاثِرٍ
فالشاعر يُشَبِّهُ شَكْلَ الْأَفْعَى بَعْدَ أَنْ قَتَلَهَا وَانظُرْ جِزءَ مِنْهَا فِي الرَّمَالِ بِرَسْمِ
دَاثِرٍ بِسَبَبِ طَوْلِ الزَّمَنِ عَلَيْهِ .

ويقول (٢) :

وَعَنَّتْ كُلُّ قَافِيَةٍ شُرُودٍ كَلِمَحِ الْبُرْقِ أَوْ لَهَبِ الضَّرَامِ
شَبَّهَ الشَّاعِرُ سُرْعَةَ ظَهْوَرِ الْقَصِيدَةِ الْمَشْهُورَةِ أَمَامَهُ بِلِمَحِ الْبُرْقِ وَلَهَبِ
الضَّرَامِ فِي سُرْعَتِهَا .

ويقول أيضاً (٣) :

كَثِيرٌ هُمُومِ النَّفْسِ كَزُّ كَأَنَّهُ مِنْ الْبُخْلِ قَفْلٌ ضَاعَ عَنْهُ مَفَاتِحُهُ
شَبَّهَ الشَّاعِرُ الْبَخِيلَ الْمَنْغَلِقَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْقَفْلِ الَّذِي ضَاعَ مَفَاتِحُهُ ، وَذَلِكَ فِي
عَدَمِ اسْتِطَاعَةِ أَيِّ أَحَدٍ النَّفُوزَ إِلَى أَعْمَاقِهِ ، فَهُوَ مُحْكَمُ الْإِعْلَاقِ عَلَى نَفْسِهِ كَالْقَفْلِ
الَّذِي أُغْلِقَ وَضَاعَ مَفَاتِحَهُ .

ويقول (٤) :

فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّيْبِ لَاحٍ كَأَنَّهُ ثَنَائِيَا حَبِيبٍ زَارِنَا مُتَبَسِّمًا
فَشَبَّهَ شَعِيرَاتِ الشَّيْبِ الْبَيضَاءِ فِي بَيَاضِهَا وَلِمَعَاتِهَا بِثَنَائِيَا الْحَبِيبِ الزَّائِرِ
الْمُبْتَسِمِ ، وَهِيَ صُورَةٌ تَعَكْسُ لَنَا ارْتِيَاخَ الشَّاعِرِ مِنْ مَشْيِبِ رَأْسِهِ .

ويقول (٥) :

حَتَّى تَوَلَّى اللَّيْلُ ثَانِيًا عِطْفِهِ وَكَأَنَّ آخِرَهُ خِضَابٌ نَاصِلٌ
وَحَرَجْتُ مِنْ أَعْجَازِهِ وَكَأَنَّمَا يَهْتَزُّ فِي بَرْدِيٍّ رُمَحٌ ذَابِلٌ
وَحَمَيْتُ أَصْحَابِي الْكُرَى وَكَأَنَّهُمْ فَوْقَ الْقِلَاصِ الْيَعْمَلَاتِ أَجَادِلٌ

شَبَّهَ الشَّاعِرُ لَوْنَ أَوَاخِرِ اللَّيْلِ عِنْدَ انْجِلَانِهِ بِلَوْنِ الْحَنَاءِ عِنْدَ زَوَالِهِ ، وَفِي
الْبَيْتِ الثَّانِي شَبَّهَ الشَّاعِرُ حَالَهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ أَوَاخِرِ ذَلِكَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ بِالرَّمْحِ
الْيَاسِ الْمَهْتَزِّ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ ، وَفِي الثَّلَاثِ شَبَّهَ الشَّاعِرَ أَصْحَابَهُ وَهُمْ يَقَاوِمُونَ لِدَّةِ

(1) السابق ، ص ١٤٢ .

(2) نفسه ، ص ٢٠٦ .

(3) نفسه ، ص ٨٧ .

(4) نفسه ، ص ٢٠٠ .

(5) الديوان ، ص ١٧٧ .

النعاس فوق نوقهم بالصقور القوية الحادة البصر .
ويقول (١) :

كَأَنَّهُ شُعْلَةٌ نَارٍ إِذَا عَايَنَ قَبَجًا أَوْ خَشْبًا شَارًا
أَوْ عَرَبِيًّا فَاتِيكَ تَائِرٌ يَخَافُ فِي تَقْصِيرِهِ الْعَارَا

فشبهه الشاعر طائر الصيد عند انطلاقه مُسرِعًا خلف الطريدة بالنار في سرعة اشتعالها ، وبالعربيّ السائر في طلب الثأر فلا يستطيع أحدٌ أن يثنيه عن طلبه .

ويقول (٢) :

كَأَنَّهُ وَوَلَاةُ الْعَهْدِ تَتَّبَعُهُ بَدْرُ السَّمَاءِ تَلْتَهُ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ

شبهه الشاعر الخليفة ببدر السماء ، وشبهه ولاة عهده بنجوم السماء ، وذلك في التتابع والمعان .

ويقول (٣) :

إِيَّاكَ خَلِيفَةَ اللَّهِ اسْتَقَلَّتْ قَلَائِصُ مِثْلِ مُجْفَلَةِ النَّعَامِ

فشبهه الشاعر نياقه التي ارتحل عليها إلى الخليفة المعتصم في سرعة جريها وانطلاقها بالنعام الشارد من العدو .

ويقول (٤) :

بِمُسْتَرَوْحَاتٍ سَابِحَاتٍ بَطُونُهَا عَلَى الْأَرْضِ أَمْثَالَ السَّهَامِ الزَّوَالِجِ

شبهه الشاعر بطون كلاب الصيد عند انطلاقها خلف الطريدة بالسهم السريعة الزاحفة .

ومن الصور السمعية يقول الشاعر (٥) :

وَإِذَا بَدَاهِيئُهُ كَأَنَّ حَفِيفَهَا بَيْنَ الثَّمَامِ حَفِيفٌ لَيْثٌ خَادِرِ

فشبهه صوت حفيف الأفعى بصوت حفيف الليث المُسترخي .

وكذلك قول الشاعر (١) :

(1) مجلة العرب ، ص ٢١٢ .

(2) الديوان ، ص ١٢٢ .

(3) السابق ، ص ٢٠٦ .

(4) الديوان ، ص ٨٤ .

(5) السابق ، ص ١٤٢ .

كَأَنَّهُ مُعْتَلِّجُ السُّيُولِ يَسُوسُهُ كَهْلٌ مِنَ الْكُهُولِ
فشبهه صوت حوافر خيول الجيش عند جريها وضربها الأرض بقوة ،
بصوت تلاطم أمواج البحر الهائج .

ومن أجمل تشبيهات الشاعر أبياته التي يصف فيها نفسه فيقول فيها^(٢) :

قَالَتْ حُبْسَتْ فَقَلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِ حَبْسِي وَأَيُّ مَهْتَدٍ لَا يُعْمَدُ
أَوْ مَا رَأَيْتِ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ كِبْرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرَدُّدُ
وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنِ نَاطِرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
وَالغَيْثُ يَحْصِرُهُ الْعَمَامُ فَمَا يُرَى إِلَّا وَرَيْقَهُ يِرَاحُ وَيِرْعُدُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْنُدُ
وَالزَّاعِبِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا إِلَّا النَّقَافُ وَجَدْوَةٌ تَتَوَقَّدُ

فالشاعر يشبه حاله عندما سُجن بالسيف عندما يُعمد ، واللّيث عندما يأوي إلى عرينه ، والشمس عندما تحتجب وراء الأفق ، والغيث عندما يُحصر وسط الغمام ، والنّار التي اختبأت بين الأحجار ، والرّماح الزاعبية عندما تُطرق بألة حادة وتتحرق بالنّار حتى تُقيم كعوبها ، وهي تشبيهات بليغة ؛ لأنها محذوفة الأداة ووجه الشبه .

ويقول^(٣) :

هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثُ فَارِقَ غِيْلَهُ فَرَأَيْتَهُ فِي مَحْمَلٍ مَحْمُولَا
لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ مِنْ شِدَاتِهِ شَدَا يُقْصَلُ هَامِهِمْ تَقْصِيلَا
مَا عَبَاهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ فَالسَّيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولَا
إِنْ يُبْتَدَلُ فَالْبَدْرُ لَا يُزْرِي بِهِ أَنْ كَانَ لَيْلَةً تَمَّهَ مَبْدُولَا

فالشاعر يشبه نفسه عندما صُلب باللّيث الذي فارق عرينه فحُمِل في محمل خوفاً من بطشه وقوته ، وبالسيف الذي استلّ من غمده فكان أهول وأهيب منظرًا ، وبالبدر الذي تمّ شكله وهو عريان ، وهذا لا يُزري به ، بل زاده بهاءً وجمالاً . وهي تشبيهات بليغة لأنها محذوفة الأداة ووجه الشبه .

(1) نفسه ، ص ١٩٢ .

(2) نفسه ، ص ٨٨ وما بعدها .

(3) الديوان ، ص ١٨٦ .

ومن تشبيهات الشاعر البليغة نورد لك بعضاً من الشواهد التالية :

يقول الشاعر^(١) :

نَسَجَتْ سَنَابِكُهَا سَمَاءً فَوْقَهَا جَعَلَتْ أَسْنَتَهَا نُجُومَ سَمَاءِ

شبه الشاعر الغبار المتصاعد فوق الخيول بفعل ضرب حوافرها الأرض بقوة ، بالسماة المظلمة ، وشبه أسنة رماحهم وسيوفهم وهي تلمع وسط ذلك الغبار بنجوم السماء اللامعة وسط الظلام .

ويقول أيضاً^(٢) :

وَكُنَّ نَوَاهِضَ الْأَعْنَاقِ غُلْبًا فَعُدْنَ وَهْنًا قَضَبَانَ الثَّمَامِ

شبه الشاعر أعناق الإبل بعد توقفها من المسير الطويل في الليل بأغصان نبات الثمام ، وذلك في تقوسها وانحنائها . وهو تشبيه بليغ لأنه محذوف الأداة ووجه الشبه

ويقول^(٣) :

مُنْتَصِبٌ تَجْدِبُهُ الْـ أَرْسَانُ جَذَبِ الطُّنْبِ

شبه الشاعر شكل الحبال وهي تمسك بأشعة السفينة وتجذبها بالطنب التي تجذب الخيمة ، وذلك في قوة الشدّ ومئاته ، وهو تشبيه بليغ أيضاً .

ومن التشبيه التمثيلي نعرض لك الشواهد التالية :

يقول الشاعر^(٤) :

وَدِجْلَةٌ كَالدَّرْعِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهَا لَهَا حَلَقٌ يَبْدُو وَيَخْفَى حَدِيدُهَا

شبه لمعان أمواج نهر دجلة بفعل هبوب الريح عليها بلمعان الدرع المتحرك ، الذي اعتنى به صاحبه ووضع الزيت على مساميره .

ويقول^(٥) :

لِلْمَاءِ فِي حَيْرُومِهِ مِنْ صَوْتِ مَوْجِ صَخْبِ

حَشْرَجَةٌ كَالرَّغْدِ فِي عَارِضِ غَيْثٍ لَجِبِ

(1) مجلة العرب ، ص ٢٠٤ .

(2) الديوان ، ص ٢٠٧ .

(3) الديوان ، ص ٧٦ .

(4) السابق ، ص ١١٤ .

(5) نفسه ، ص ٧٦ .

فهذه صورة سمعية حيث شبه الشاعر صوت احتكاك الأمواج بمقدمة السفينة بصوت الرعد المتردد في السحاب المعترض في الأفق .

ويقول^(١) :

يُضيءُ لأبصار الرّجال كأنَّهُ صَباحٌ تجلّى يَزحمُ اللَّيلَ مُقبِلُ

شبه الشاعر ما يشع من وجه الخليفة من ضوء شديد ، بأنوار الصبح التي زاحمت ظلام الليل وطاردته حتى طردته .

ويقول^(٢) :

ورأيتُ أعباشَ الدّجى وكأنّها حَزقُ النّعامِ ذِعِرْنَ فهي جَوافِلُ

شبه الشاعر ما تبقى من ظلام الليل عند انجلاته ، بجماعة النعام المذعور والشارد من العدو .

ويقول^(٣) :

كأنّها والرّياضُ مُحَدِقَةٌ بها عَرُوسٌ تُجلى لِخاطِبِها

شبه الشاعر البركة وقد أحاط بها الرياض الخضراء من كل جانب ، بالعروس التي أحاط بها النساء لتزينها لخاطبها .

فمن خلال تشبيهات الشاعر السابقة يتبين لنا أن الشاعر قد لجأ إلى أسلوب التشبيه ، وذلك لأنه يخرج المعنى من الخفاء إلى الجلاء والوضوح ، فإن <أنسَ النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ ، وتأتيها بصريح بعد مكني ، وأن تردّها في الشيء تُعلّمها إياه إلى شيءٍ آخر هي بشأنه أعلم ، وثقتها به في المعرفة أحكم>^(٤) .

ب- الاستعارة :

وهي <ما كانت علاقته تشبيهه معناه بما وضع له>^(٥) . وهي <من أدقّ أساليب البيان تعبيراً ، وأروقها تأثيراً ، وأجملها تصويراً ، وأكملها تأدية للمعنى ، ولا غرو فهي مُنبثقة عن التشبيه>^(٦) .

(1) نفسه ، ص ١٧٤ .

(2) نفسه ، ص ١٧٧ .

(3) الديوان ، ص ٨٠ .

(4) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الطبعة الأولى ، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) ، مطبعة المدني بمصر ، ص ١٢١ .

(5) الإيضاح ، ص ٢٨٥ .

(6) البلاغة ، فنونها وأفنانها ، د/ فضل حسن عباس ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ،

يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا المجال : < اعلم أن الاستعارة كما علمت تعتمد التشبيه أبدأ >^(١) . وفي تعريفها يقول : < اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلُّ الشواهد على أنه اختصَّ به حين وُضع له ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم ، فيكون هناك كالعارية >^(٢) .

وتنقسم الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها إلى نوعين هما :

١- استعارة تصرّحية : وهي أن < تجعل الشيء الشيء ليس به >^(٣) .

٢- استعارة مكنية : وهي أن < تجعل للشيء الشيء ليس له >^(٤) .

وقد أبدع علي بن الجهم في استعمال الاستعارة ، من ذلك نعرض عليك بعضاً من شواهد الاستعارة فاستمع إليها .
★ الاستعارة التصريحية :

يقول الشاعر^(٥) :

يا بَدْرُ كَيْفَ صَنَعْتَ بِالْبَدْرِ وَفَضَحْتَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي

فاستعار الشاعر لفظة < البدر > للخليفة المتوكل . وقد عمد إلى ذلك للمبالغة في وصف جمال وجه المتوكل . ويقول^(٦) :

بِخَيْفَانَةٍ كَالْقَصْرِ وَجَنَاءِ حُرَّةٍ نَمَتْهَا مِنَ الثُّوقِ الْهَجَانُ الْخَوَانِفُ

فاستعار الشاعر لفظة < خيفانة > وهي - تعني الجرادة السريعة - للناقة ؛ وذلك لإبراز مدى سرعة انطلاقها .
★ الاستعارة المكنية :

يقول الشاعر^(٧) :

وَأَخْطَبُ النَّاسِ عَلَى مَنْبَرٍ يَخْتَالُ فِي وَطْأَتِهِ الْمُنْبَرُ

دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ص ١٥٨ .

(1) أسرار البلاغة ، ص ٥٥ .

(2) أسرار البلاغة ، ص ٣٠ .

(3) دلائل الإعجاز ، ص ٦٧ .

(4) السابق ، ص ٦٧ .

(5) الديوان ، ص ١٤٣ .

(6) مجلة العرب ، ص ٢١٦ .

(7) الديوان ، ص ١٢٨ .

وتَطْرَبُ الْخَيْلُ إِذَا مَا عَلَا مُتَوْنَهَا فَالْخَيْلُ تَسْتَبْشِرُ
وَتَرْجُفُ الْأَرْضُ بِأَعْدَائِهِ إِذَا عَلَاهُ الدَّرْعُ وَالْمِعْفَرُ

فلاحظ أن الشاعر يُشخص الجمادات ، ويجعل للحيوانات مشاعر وأحاسيس كالإنسان ، فنرى المنبر يختال ، والخيال تطرب ، والأرض ترجف ؛ وهذه جميعاً استعارات مكنية . ويقول^(١) :

قَدْ كَانَ مُشْتَقًا إِلَى خُطْبَةٍ مِنْكَ سَرِيرُ الْمَلِكِ وَالْمَنْبَرُ
فَأَصْبَحَا قَدْ ظَفَرَا بِالْتِي مَا مِثْلَهَا غَنَمٌ لِمَنْ يَظْفَرُ

فنرى أن الشاعر يخلع مشاعر الشوق والحنين إلى ذلك الخليفة على سرير الملك والمنبر ويشخصهما بتشبيههما بالإنسان الذي يشتاق ، وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه ، وهو الاشتياق ، وذلك حتى يوضح الشاعر أن حب الخليفة شمل كل شيء حتى الجمادات ، فهي تحب ذلك الخليفة . ويقول^(٢) :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أَعْجَبَهُ حُسْنُ النَّبَاتِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ

فالشاعر يشخص ذلك الورد ويجعله يضحك حينما أعجبه حسن النبات وصوت الطائر الغرد ، فشبهه بالإنسان ، وحذف المشبه به ، وذلك حتى يبين الشاعر مدى سعادة الورد بجمال الربيع الذي زان كل شيء . ويقول كذلك^(٣) :

فَتَى تَسْعُدُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِ كَمَا تَسْعُدُ الْأَيْدِي بِنَائِلِهِ الْعَمْرِ

فلاحظ أن في لفظة (تسعد) استعارة مكنية ؛ حيث شخّص الشاعر الأبصار والأيدي وجعلها تسعد كما يسعد الإنسان ، فالأبصار أسعدتها رؤية جمال وجه الخليفة ، والأيدي أسعدتها كثرة الأعطيات التي حصلت عليها . ويقول^(٤) :

صَفْرَاءُ تَضْحَكُ عَنْهَا رَوْضَةٌ أُنْفُ فِي وَصْفِهَا عَجَبٌ نَاهِيكَ مِنْ عَجَبِ

ففي لفظة (تضحك) استعارة مكنية حيث شبه ورود تلك الروضة الصفراء بالإنسان الذي يضحك ، وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه ، وهو الضحك . ويقول^(٥) :

أَتَتْهَا الْقَوَافِي صَارَخَاتٍ لِفَقْدِهِ مُصَلِّمَةً أَرْجَازُهَا وَقَصِيدُهَا

(1) الديوان ، ص ١٢٦ و ١٢٧ .

(2) السابق ، ص ١٠٤ .

(3) الديوان ، ص ١٣٩ .

(4) مجلة العرب ، ص ٢٠٥ .

(5) الديوان ، ص ١١٧ .

فقد شخّص الشاعر القوافي في صورة النساء الصارخات المصلّيات لبعض أعضائهن لشدة حزنهن على فقد عزيز عليهن ، وهذا يعكس الحزن الذي تغلغل في أعماق الشاعر بسبب موت الخليفة المتوكّل ، فنراه يعكس ذلك حتى على الأمور المعنوية كالقوافي التي استاءت أيضاً لموته . ويقول^(١) :

كَمْ قَدْ تَجَهَّمَنِي السُّرَى وَأَزَّالِنِي لَيْلٌ يَأْوِي بِصَدْرِهِ مُتَطَاوِلُ

ففرى أن الشاعر يشبهه ذلك الليل في استقبله له بوجه كريبه بالإنسان المتجهّم ، وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهو (تجهمني) ففرى أنه خلع مشاعر الكراهية والغضب على ذلك الليل . ويقول^(٢) :

وغدا القريضُ ضئيلُ شخصٍ باكيا يشكو رزيّته إلى الأقالام

وتأوّهت غررُ القوافي بعده ورمى الزّمانُ صحيحها بسقام

فالشاعر يشخّص القريض ويجعله إنساناً ضئيلاً باكياً يشكو مصيبته إلى الأقالام . كما يشخّص القوافي ويجعلها تتأوّه لتلك المصيبة التي حلّت بها وهي فقدتها أبا تمام .

فلنحظ من خلال استعارات الشاعر ، ما تفيد الاستعارة من الإيجاز والمبالغة وتأكيد المعنى وتقديره . يقول عبد القاهر الجرجاني عن فائدتها : <فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً ، والأعجم فصيحاً ، والأجسام الخرس مبيّنة ، والمعاني الخفيّة بادية جليّة>^(٣) .

فالتشبيه والاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني هي الأصول التي عليها مدار الحُسن والجمال في الكلام . واستمع إلى قوله في هذا الجانب : <وأوّل ذلك وأولاه ، وأحقّه بأن يستوفيه النظر ويتقصّاه القول على (التشبيه) و(التمثيل) و(الاستعارة) ، فإنّ هذه أصولٌ كبيرة كأنّ جُلّ محاسن الكلام -إن لم نقل كلّها- مُتفرّعة عنها ، وراجعة إليها ، وكأَنَّها أقطابٌ تدور عليها المعاني في مُتصرفاتها ، وأقطارٌ تُحيط بها من جهاتها>^(٤) .

ج/ الكناية :

وهي : <أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ،

(1) السابق ، ص ١٧٦ .

(2) نفسه ، ص ٢١٢ .

(3) أسرار البلاغة ، ص ٤٣ .

(4) أسرار البلاغة ، ص ٢٧ .

فيومئى به إليه ، ويجعله دليلاً عليه> (١) .

وللكناية أثرٌ بارز في تأكيد المعنى ، وذلك لأنها تتضمن الحكم مصحوباً بدليله . يقول عبد القاهر الجرجاني : <أما (الكناية) فإنَّ السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح ، أن كلَّ عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه ، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها ، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها ، أكد وأبلغ في الدّعى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً> (٢) .

وبالنظر إلى كنايات علي بن الجهم في شعر الوصف نجد أن معظمها كانت كناية عن صفة ، وإليك بعضاً من شواهد الكناية عند الشاعر قوله (٣) :

فَمَا بَرَحَتْ بَعْدَادُ حَتَّى تَقْجَرَتْ بِأَوْدِيَةِ مَا تَسْتَفِيقُ مُدْوِدَهَا
وَحَتَّى رَأَيْنَا الطَّيْرَ فِي جَنَابَتِهَا تَكَادُ أَكْفُ الْغَائِيَاتِ تَصِيدُهَا

فهذان البيتان كناية عن شدة غزارة أمطار تلك السحابة ، حتى إن سيول الأودية لا تتوقف عن الجريان ، وطيورها تكاد أكف الغائيات تصيدها لتبلل أجنحتها ، بفعل غزارة الأمطار ؛ لذا لم تقوَ على التحليق في الجو . ويقول أيضاً (٤) :

وَلَوْ قَرَنْتُ بِالْبَحْرِ سَبْعَةَ أَبْحُرَ لَمَّا بَلَغْتَ جَدْوَى أَنَامِلِهِ الْعَشْرَ
وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا لِبَدْلِهَا كَمَا لَا يُسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ
وَفَرَّقَ شَمْلَ الْمَالِ جُودُ يَمِينِهِ عَلَى أَنَّهُ أَبْقَى لَهُ أَحْسَنَ الذِّكْرِ

فهذه الأبيات الثلاثة كناية عن شدة كرم الخليفة المتوكل ، حتى إن البحر لو قرناه بسبعة أبحر أخرى لما بلغت عطاء الخليفة وكرمه ، فقد فرّق كرمه شمل المال ، فهو لا يجمع الأموال إلا لبذلها . ويقول كذلك (٥) :

أَيَّامَ لَمْ تَجْرُ النَّوَى بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا
مَا كَانَ أَنْسَهَا وَأَشْـ عَفَّ أَسْـدَهَا بِظَبَائِهَا

فهذان البيتان كناية عن سعادة الشاعر في تلك الأيام لسيادة المحبة والمودة

(1) دلائل الإعجاز ، ص ٦٦ .

(2) السابق ، ص ٧٢ .

(3) الديوان ، ص ١١٤ .

(4) السابق ، ص ١٤٠ .

(5) الديوان ، ص ٦٢ .

فيها ، حتى شغفت الأسد بالطباء حقيقة أو مجازاً . ويقول^(١) :

وَقَبَّةٌ مُلْكٌ كَأَنَّ النُّجُومَ مَ تَقْضِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
كناية عن شدة شفافية تلك القبة ، حتى انعكست عليها صورة النجوم وكأنّها
تريد إفشاء أسرارها إليها . ويقول^(٢) :

إِذَا لَمَعَتْ تَسْتَبِينُ الْعِيُونَ نُ فِيهَا مَنَابِتَ أَشْفَارِهَا
فهذا البيت كناية عن شدة لمعان تلك القبة وبريقها ، حتى إن العيون إذا
أبصرتها فإنها تستطيع أن ترى منابت أشفارها . ويقول^(٣) :

نَشَطَتْ عَقْلُهَا فَهَبَّتْ هُبُوبَ الـ رِيحِ خَرْقَاءَ تَخْبِطُ الْبُلْدَانَ
فهذا البيت في صفة الناقة ، وهو كناية عن سرعة جريها حتى كأنها الهبوب
التي تهب مسرعة . ويقول^(٤) :

لَهُوُهُمُ الْأَسْمَارُ وَالْأَشْعَارُ وَمَلْحٌ نُقْدَحٌ مِنْهَا النَّارُ
وهذا كناية عن شدة لذع تلك الملح للنفوس ، وكأنّها الشرارة التي تقدح منها النار .
ويقول^(٥) :

وَمَعْتَصِمِي الْخَلْقِ لِلسَّيْفِ وَالْقَنَا عَلَيْهِ بَهَاءٌ حِينَ يَبْدُو وَيُقْبَلُ

كناية عن شجاعة وإقدام الخليفة المعتصم .

<إن أسلوب الكناية من الأساليب البيانية التي يتسابق فيها البلغاء وتتفاوت
فيها أقدامهم ومنازلهم ؛ لأنه يحتاج إلى اللمحة الذكيّة والغوص على المعنى ،
والمجيء باللفظ الذي يمكن أن يدلّ عليه دون تكلف أو تصنع>^(٦) .

فمن خلال هذا الاستعراض الجميل لبعض من شواهد التشبيهات والاستعارات
والكنايات عند ابن الجهم ، تبين لنا أن الصورة الفنيّة تُمثّل معاني وانطباعات
الشاعر ، وتعكس لنا عقل الشاعر وقدرته على الخلق والإبداع ، فـ<المجازات
والتشبيهات والاستعارات ليست غاية في ذاتها ، إنما هي غاية لمعان تمثّلها ،
معانٍ تصوّر انطباعات روح الكون في خيال الأديب ، ولكل أديب انطباعاته ،
وكذلك لكل أديب استعاراته وتشبيهاته ومجازاته ، بحيث نستطيع أن نقول إنّها

(1) السابق ، ص ١٤٧ .

(2) نفسه ، ص ١٤٧ .

(3) نفسه ، ص ٢١٩ .

(4) نفسه ، ص ١٢٥ .

(5) نفسه ، ص ١٤٧ .

(6) البلاغة فنونها وأفنانها ، ص ٢٤٤ .

صوره ، صور نفسه وما انعكس عليها من روح الوجود>⁽¹⁾ .

(1) في النقد الأدبي ، ص ١٧٣ .

رابعًا - الإيقاع الخارجي والداخلي

إنّ من أسرع نواحي الجمال في الشّعر إلى نفوسنا هو ما فيه من جرس الألفاظ وانسجام توالي المقاطع وتردّد بعضها بعد قدر معيّن منها . وكلّ هذا هو ما نسمّيه بموسيقى الشّعر^(١) ؛ فهي <تزيد من انتباهنا وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها ، وتجعلنا نحسّ بمعانيه كأنّما تُمثّل أمام أعيننا تمثيلًا عمليًا واقعيًا>^(٢)

وقد حرص الشعراء على موسيقى شعرهم بالرغم من الأمية التي شاعت بينهم ، وذلك <حين كان الأدبُ أدبَ الأذن لا أدبَ العين ، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النصّ اللّغوي ، فاكتمت تلك الأذان المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة ، وأصبحت مرهفة تستريح إلى كلام لحسن وقعه أو إيقاعه ، وتأبى آخر لنبوّه أو لأنه كما يُعبّر أهل الموسيقى نشاز>^(٣) .

ولا غرو في ذلك ، فالسمّع هو أبو الملكات اللّسانية^(٤) .

وقد <كان علي بن الجهم شاعرًا سمعيًا ، فهو يُعنى بالسمّع ويحاول أن يُرضيه ، بل إنه يخاطب الأذان بموسيقاه الرّصينة ، وما يُودع فيها من قوّة وضخامةٍ حينًا ، ومن عذوبةٍ وسلاسةٍ حينًا آخر>^(٥) .

(1) ينظر : موسيقى الشعر ، د/ إبراهيم أنيس ، الطبعة الخامسة (١٩٨١م) ، بدون مكان الطبع ، ص ٨ و ٩ .

(2) السابق ، ص ١٦ .

(3) دلالة الألفاظ ، د/ إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة (١٩٨٠م) ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ١٩٥ .

(4) ينظر : تاريخ ابن خلدون ، للعلامة عبد الرحمن محمد بن خلدون ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان (بدون رقم طبعة أو تاريخها) ، الجزء الأول ، ص ٤٨٠ .

(5) علي بن الجهم - حياته وشعره ، ص ٢٥٥ .

وبالنظر إلى القصيدة العربية نجد أن البناء الموسيقي يُعدُّ في مقدمة البنى التي تتكون منها^(١) ، وأن لهذا البناء نوعين من الإيقاع : إيقاعاً خارجياً يظهر في الوزن والقافية ، وإيقاعاً داخلياً يظهر في <المحسنات البديعية الداخلة في تكوين الأبيات لتضفي عليها قليلاً أو كثيراً من السطوع والإشراق ، ولتمنحها قليلاً أو كثيراً من السيولة والتدفق>^(٢) .

(١) الإيقاع الخارجي :

(أ) الوزن :

وهو <مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت>^(٣) ، كما أنه <أعظم أركان حدّ الشّعر ، وأولها خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة>^(٤) .

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أول من وضع أوزان الشّعر العربي ، وهي خمسة عشر وزناً ، سمّي كلّ وزن منها بحراً ، <وذلك تشبيهاً بالبحر الذي لا ينتاهي بما يُغترف منه>^(٥) .

فاتّحدت بذلك الأوزان الموسيقية للقصيدة العربية ، غير أن هذه الأوزان لم تكن تلتزم صورة واحدة دائماً ، بل كان يدخلها في بعض الأحيان زخافات وعللٌ تزيد من صورة الوزن الواحد <وبذلك تتعدد صورة الأوزان حتى لتبلغ الثمانين ، وهو غنى واسع في أوزان الشّعر العربي القديم ، لا نعرفه لأيّ شعر من أشعار

(1) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، د/ صابر عبد الدايم ، الطبعة الثالثة (١٣١٤ هـ - ١٩٩٣ م) ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ص ١٨٣ .

(2) التجربة الشعرية عند ابن المقرب ، د/ عبده عبد العزيز قلقيله ، النادي الأدبي بالرياض ، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) ، ص ١٠٨ .

(3) النقد الأدبي الحديث ، د/ محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - مصر ، (بدون رقم طبعة أو تاريخها) ، ص ٤٣٦ .

(4) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١/ ١٣٤ .

(5) موسيقى الشعر ، ص ٥١ .

اللغات الغربية>^(١) .

ولو دققنا النظر في شعر علي بن الجهم في الوصف لوجدناه متنوع الأوزان ، وهي مُرتبة في الجدول التالي على حسب كثرة عدد الأبيات في كل بحر :

عدد الأبيات فيه	البحر	
١٠٧	١- الطويل	البحر الطويلة
٣٧	٢- الكامل	
٣٠	٣- المتقارب	
٢٦	٤- السريع	
١٩	٥- البسيط	
١٩	٦- الوافر	
١٩	٧- المنسرح	
١٠	٨- الخفيف	
٤٠	١- الرجز	البحر القصيرة
١٨	٢- مجزوء الكامل	
٧	٣- مجزوء الرمل	
٦	٤- مخلع البسيط	
٤	٥- المجتث	
٣٤٢	المجموع	

لقد جاءت أبيات الشاعر في هذا الفنّ على نهج من سبقه في الأوزان الشعرية المتناولة بكثرة لديهم ، وذلك لأنّ <الأذان تعاد النغمات الكثيرة التردد وتميل إلى ما ألفته>^(٢) .

فبحر الطويل والكامل والبسيط والوافر والخفيف ، كانت هي البحور التي ظلت على مرّ العصور يطرقها كلُّ الشعراء ، أما المتقارب والرمل والسريع فقد

(1) في النقد الأدبي ، ص ١٠٠ .

(2) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، ص ٩٠ .

تذبذبت بين القلّة والكثرة في الاستعمال^(١) .

★ بحر الطويل :

احتل بحر الطويل مكان الصّدارة في شعر الوصف عند علي بن الجهم ، فقد جاء من هذا البحر ما يقرب من (١٠٧) أبيات ، وهو عددٌ ليس بالقليل بالنسبة إلى عدد الأبيات في بقية الأوزان ، فهو من أطول البحور وأحفلها بالجلال والرّصانة والعمق^(٢) ، وليس بين بحور الشعر ما يضاهيه في نسبة الشّيوع^(٣) .

ويمتاز هذا البحر بازدواج تفعيلاته ؛ إذ يتكون شطر البيت منه من التفعيلات التالية :

فعولن + مفاعيلن + فعولن + مفاعيلن

يقول حازم القرطاجني عن هذا الوزن : <أوزان الشّعر منها متناسب تامّ التناسب ، متركّب التناسب ، متقابله <متضاعفه> ، وذلك كالطويل والبسيط ، فإنّ تمام التناسب فيها مقابلة الجزء بمماثله ، وتضاعف التناسب هو كون الأجزاء التي لها مقابلات أربعة ، وتركّب التناسب هو كون ذلك في جزئين متنوعين كفعولن ومفاعيلن في الطويل ، وتقابل التناسب هو كون كلّ جزء موضوعاً من مقابله في المرتبة التي توازيه ، فإن كان الواحد في صدر الشطر الأول كان الآخر في صدر الشطر الثاني ، وإن كان ثانياً كان مقابله ثانياً ، وإن ثالثاً فثالث . فالأعاريض التي بهذه الصفة هي الكاملة الفاضلة>^(٤) .

وموصوفات الشاعر التي جاءت من هذا البحر عديدة ، نذكر لك هذين النموذجين :

١ - ففي قصيدة الشاعر في وصف السحابة والتي يقول في مطلعها^(٥) :

وساريةٍ ترّتادُ أرضاً تجودُها شَعَلَتْ بها عَيْنًا قليلاً هُجودُها

لقد ساعدت تفاعيل البحر الطويل الشاعر في إبراز المعاني التي امتلأت بها نفسه ، وأن يتخلّص من الكثير من المشاعر التي اضطربت داخل أعماقه ، وذلك

(1) ينظر : موسيقى الشعر ، ص ١٩١ و ١٩٢ ، وموسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، ص ١٠٨ .

(2) دراسات في النّصّ الشعري ، ص ١٣١ .

(3) ينظر : موسيقى الشعر ، ص ٥٩ .

(4) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب ابن خوجه ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية (١٩٨١م) ، ص ٢٥٩ .

(5) الديوان ، ص ١١٣ .

بسبب كثرة تفاعيله وازدواجها ؛ فالسحابة كما امتلأت بالأمطار ، فأخذت تبحث عن أرض تنزل عليها ما تجود به من أمطار . كذلك نجد نفس الشاعر قد امتلأت حُرّاً وأسى لمقتل الخليفة المتوكل ، فكان العراق هو المكان الذي جادت عليه كل من السحابة ونفس الشاعر بما تحمله في داخلها .

فهو بحرٌ طويلٌ رحيب الصدر ، طويل النفس ، وفيه مجالٌ أوسع للتفصيل^(١)

٢- وفي مقطوعة الشاعر في وصف الكتاب ، والتي يقول في مطلعها^(٢) :

سَمِيرٌ إِذَا جَالَسْتُهُ كَانَ مُسَلِّيًّا فُؤَادَكَ مِمَّا فِيهِ مِنَ أَلَمِ الْوَجْدِ

نرى أن الكتاب يحمل الكثير من مشاعر الوفاء والإخلاص لمسامره الذي اختاره دون بقية الصحاب ؛ لذا رأى الشاعر أنه لا بد أن يتحدث عن هذا الصديق المخلص وأن تترجم مشاعره للناس ، فوجد في تفاعيل البحر الطويل ما يمكنه من التعبير في أوصاف ذلك الكتاب .

لقد <أخذ الطويل من حلاوة الوافر دون انبثاره ، ومن رقة الرمل دون لينه المفرط ، ومن ترسل المتقارب المحض دون خفته وضيقه ، وسلم من جلبية الكامل وكزازة الرجز ، وأفاده الطول أبهة وجلالة ، فهو البحر المعتدل حقاً . ونغمه من اللطف بحيث يخلص إليك وأنت لا تكاد تشعر به . وتجد دندنته مع الكلام المصوغ فيها بمنزلة الإطار الجميل من الصورة ، يزينها ولا يشغل الناظر عن حسنها شيئاً>^(٣) .

★ الكامل :

ويأتي بحر الكامل في المرتبة الثانية من الأوزان التي استخدمها الشاعر ، فقد جاء من هذا البحر ما يقرب من (٣٥) بيتاً .

وقد سُمِّيَ هذا البحر بهذا الاسم <لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر ، وله تسعة أضرب لم يحصل عليها بحرٌ آخر>^(٤) . فله مقياسٌ واحد يتكرر في الشطر الواحد ثلاث مرات وهو <مُتَّفَاعِلُنْ> ، فتكون تفاعيل هذا البحر كالتالي :

مُتَّفَاعِلُنْ + مُتَّفَاعِلُنْ + مُتَّفَاعِلُنْ مُتَّفَاعِلُنْ + مُتَّفَاعِلُنْ + مُتَّفَاعِلُنْ

(1) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، د/ عبد الله الطيب ، الطبعة الثانية (١٩٧٠م) ، دار الفكر - بيروت - لبنان ، ٣٧٠/١ .

(2) الديوان ، ص ١١١ .

(3) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ٣٦٢/١ .

(4) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١٣٦/١ .

كوهو أكثر بحور الشعر جلجلة وحركات ، وفيه لونٌ خاصّ من الموسيقى يجعله - وإن أريد به الجدّ- فخماً جليلاً مع عنصر ترنيمي ظاهر ، ويجعله إن أريد به إلى الغزل وما بمجره من أبواب اللّين والرّقة ، طوّاً مع صلصلة كصلصلة الأجراس ، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقاً أو خفيفاً شهوانياً^(١) .

ومما جاء من موصوفات الشاعر على هذا البحر نذكر هذين النموذجين :

١- ففي قصيدة الشاعر في وصف إحساسه بالسجن والتي مطلعها^(٢) :

قالت حُبست فقلت ليس بضائري حبسي ، وأيُّ مُهنِدٍ لا يُغمدُ

نلاحظ أن تفعيلات هذا البحر قد أسهمت بشكل واضح وجليّ في إبراز تلك العاطفة الجيّشة المحتمة داخل نفس الشاعر ، ف شعرنا معها بالفخامة التي اكتست بالطابع الترنمي الجميل .

٢- وكذلك نلاحظ في قصيدته التي يصف فيها إحساسه بالصلب ، والتي مطلعها^(٣) :

لم يَنْصَبُوا بالشّاذياخ صَبِيحَةَ الـ إثنين مَعْمُوراً وَلَا مَجْهُولاً

فخامة وإجلالاً في إبراز ذلك الإحساس المحتدم في أعماق الشاعر ، مع نعمة موسيقية تنساب مع ذلك الإحساس .

فبحر الكامل > فيه طواعية للعديد من الأغراض الواضحة الصريحة ، وهو مُترَع بالموسيقى ، ويتفق مع الجوانب العاطفية المحتمة داخل الإنسان ، كما أنه يجمع بين الفخامة والرّقة^(٤) . لذا نجد أن مجال الشاعر فيه أفسح منه في غيره^(٥) .

★ بحر المتقارب :

ويأتي هذا البحر في المرتبة الثالثة ، وسمّي بهذا الاسم > لتقارب أجزائه ؛ لأنها خماسية كلّها ، يشبه بعضها بعضاً^(٦) . إذ يتكون الشطر من البيت من التفعيلة > فَعولن + فَعولن + فَعولن + فَعولن + فَعولن ؛ وبذلك تكون تفاعيل البيت كالتالي :

فَعولن + فَعولن + فَعولن + فَعولن + فَعولن + فَعولن + فَعولن + فَعولن

(1) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ٢٤٦/١ .

(2) الديوان ، ص ٨٨ .

(3) السابق ، ص ١٨٥ .

(4) دراسات في النصّ الشعري - العصر العباسي ، ص ٧٦ .

(5) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٢٦٨ .

(6) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١٣٦/١ .

ومما جاء من أوصاف الشاعر من هذا البحر نذكر لك هذين النموذجين :

١- ففي قصيدة الشاعر في وصف الفنّ المعماري للقصر الهاروني والتي مطلعها^(١) :

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمُو كَ تَبْنِي عَلَى قَدْرٍ أَخْطَارَهَا

نلاحظ أن تفاعيل هذا البحر قد ساعدت الشاعر على إبراز جمال ذلك القصر وتعداد ما له من محاسن وصفاتٍ جميلة ، وذلك في جوّ متناغم مضطرد بالموسيقى ، ودندنة جميلة .

٢- كذلك مقطوعة الشاعر في مفاضلة وجه الخليفة المتوكل مع الهلال ، والتي مطلعها^(٢) :

رَأَيْتُ الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَدْرُ أَيُّهُمَا أُنْوَرُ

لقد استطاع الشاعر بفضل جمال تفعيلات هذا البحر وانسيابيتها أن يفاضل بين وجه الخليفة والهلال ، وأن يذكر بعض الصفات التي يتفوق فيها وجه الخليفة على الهلال ، بأسلوب متناغم جذاب .

<فبحر المتقارب سهلٌ يسير ذو نغمة واحدةٍ متكررة ، بسيط النغم ، مضطرد التفاعيل ، مناسبٌ ، طليّ الموسيقى ، ويصلح لكل ما فيه تعداد للصفات ، وتلذذ بجرس الألفاظ ، وسرد للأحداث في نسق مستمر . والناظم فيه لا يستطيع أن يغافل عن دندنته ، فهي أظهر شيء فيه ، ولذلك فتجويد الصنّاعة فيه أمرٌ مهمٌ جداً . وكثير من الشعراء يتحامونه لأنه يتطلب اندفاعاً وراء النغم كما يندفع التيار في غير ما توقف>^(٣) .

★ بحر السريع :

ويأتي في المرتبة الرابعة بحر السريع . وهذا البحر هو <من أقدم بحور الشعر العربي>^(٤) ؛ وقد سمّي بالسريع <لأن كثرة الأسباب فيه تمكن من سرعة النطق به>^(٥) . وتفاعيل البيت منه هي :

مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن

فنلاحظ أن تفاعيله تغلب عليها الرّزانة والنّمهل ، ممّا يوشك أن يجعله من

(1) الديوان ، ص ١٤٦ .

(2) السابق ، ص ١٣٣ .

(3) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ٣١٢/١ .

(4) موسيقى الشعر ، ص ٩٠ .

(5) العمدة ، ١٣٦/١ .

قبيل النثر لولا انتظام وزنه^(١) .

ومما جاء على هذا البحر من أوصاف الشاعر نذكر لك هذا النموذج :
١ - ففي قصيدة الشاعر في مفاضلته بين نور وجه الخليفة المتوكّل والشمس ،
والتي مطلعها^(٢) :

وقائلٍ أيُّهمَا أنورُ الشَّمْسُ أم سَيِّدُنَا جَعْفَرُ

لقد حدثت تفاعيل هذا البحر بالشاعر إلى التمهّل والتريث في اختيار ألفاظه ،
والتي جعلنا نشعر بتفوّق الخليفة على الشمس في جوانب متعدّدة ؛ فنجدّه يلجأ إلى
الألفاظ القويّة الجزلة .

إن بحر السريع < من الأبحر المتحامة ؛ لأن آخر أجزاءه ثقيلٌ جدًّا ، وندنته
أشبه شيء بدننة القدح من القرع تضربه مكفأ على الماء . ولذلك فالناظم فيه
يحتاج إلى البطء والتأني >^(٣) .

★ البسيط :

ويأتي هذا البحر في المرتبة الخامسة من أوزان الشاعر . وهو < من البحور
التي يكثر استعمالها في الشعر العربي >^(٤) ؛ وقد سمّي بهذا الاسم لأنه < انبسط
عن مدى الطويل وجاء وسطه (فَعِلُنْ) وآخره (فَعِلُنْ) >^(٥) . وتفاعيل هذا البحر
هي :

مستفعلن + فاعلن + مستفعلن + فاعلن مستفعلن + فاعلن + مستفعلن + فاعلن
فاعلن

فلنحظ أن لها سباطة وطلاوة^(٦) .

ومن أوصاف الشاعر التي جاءت على هذا الوزن نذكر لك هذين النموذجين

:

١ - ففي مقطوعة الشاعر في وصف حبه للأدب ومجالسة الأديب^(٧) :

لو قِيلَ لي تَمَلِكُ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا ولا تكونُ أديبًا تُعْرِفُ الأديبَا

(1) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ١٤٩/١ .

(2) الديوان ، ص ١٢٧ .

(3) السابق ، ص ١٤٥ .

(4) موسيقى الشعر ، ص ١٣٦ .

(5) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١٣٦/١ .

(6) ينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٢٦٩ .

(7) مجلة العرب ، ص ٢٠٦ .

نلاحظ فيها أن تفاعيل هذا البحر قد أسهمت بشكل قويّ في إبراز مشاعر القوّة والعنف في رفض الشاعر كل مساومةٍ في الأدب ؛ فهو لا يقدر بأيّ ثمن عنده .

٢- أمّا مقطوعته في وصف الورد ، والتي مطلعها^(١) :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أُعْجِبَهُ حُسْنُ النَّبَاتِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ

فإنّا نجد فيها تعبيراً عن معاني الرقة واللين التي جاشت بها نفس الشاعر عندما شاهد تلك الورد .

★ الوافر :

أما في المرتبة السادسة فيأتي بحر الوافر . وهو بحرٌ يتميز بتدفق نغمه > لأن نغمه ينتبر في آخر كلّ شطر ، وهذا الانتبار شديد المفاجأة .

ولانتبار الوافر الذي يحدث في كلّ شطر خاصّة غريبة ، وهي أن عجزه سريع اللحاق بصدّره ، حتى إن السّامع لا يكاد يفرغ من سماع الصّدر حتى يهجم عليه العجز>^(٢) .

فتفاعيل البيت من هذا البحر هي :

مفاعلتن + مفاعلتن + فعولن

ومن أوصاف الشاعر التي جاءت على هذا الوزن نذكر لك النموذج التالي :

١- في مقطوعة الشاعر في وصف نياقه التي ارتحل عليها إلى الخليفة المعتصم والتي مطلعها^(٣) :

إِيَّاكَ خَلِيفَةَ اللَّهِ اسْتَقَلَّتْ قَلَائِصُ مِثْلِ مُجْفَلَةِ النَّعَامِ

فلنلاحظ فيها ذلك الانتبار الجميل الذي يحدث في الشطر الأوّل ليعجل بلحاق عجزه به ، فشعرنا بنفس الشاعر المتحمّسة لتصوير سرعة تلك النياق .

فكما كان هناك سرعة في جري النياق ، كان هناك سرعة في نظم الشاعر لهذه الأبيات .

يقول حازم القرطاجني عن هذا الوزن : >إنّ الشاعر القويّ المتين إذا صنع شعراً على الوافر اعتدل كلامه وزال عنه ما يوجد فيه مع غيره من الأعرىض القوية من قوّة العارضة وصلابة النّب>^(٤) .

(1) الديوان ، ص ١٠٤ .

(2) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ٣٣٢/١ .

(3) الديوان ، ص ٢٠٦ .

(4) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٢٦٩ .

★ بحر المنسرح :

ويأتي في المرتبة السابعة بحر المنسرح . وقد سمّي بالمنسرح <لانسراحه وسهولته>^(١) . وتفاعيل البيت منه هي :

مستفعلن + مفعولات + مُفْتَعِلُنْ مستفعلن + مفعولات + مُفْتَعِلُنْ

ومن أوصاف الشاعر التي جاءت على هذا الوزن :

١- أبيات الشاعر في وصف إحساسه بالغربة ، والتي يقول في مطلعها^(٢) :

وارحمتا للغريب في البلد النَّـ أزح ماذا بنفسه صنعا؟!

فلنحظ على هذه المقطوعة تلك السهولة الجميلة وذلك الانسراح الممتع حتى إننا نستطيع أن نتغنى بها وأن نحفظها بسرعة . وقد ساعد على ذلك كثرة الألفات فيها والتي تمدّ السمع بأنغام موسيقية جيّاشة .

٢- مقطوعتا الشاعر في وصف القصر الهاروني ، والبركة المحفّرة فيه ،

والتي يقول في مطلع إحداهما^(٣) :

بانَ بِقَرَبِ الخَلِيفَةِ التحفُ محلُّ صدقٍ ورَوْضَةِ أنفُ

ويقول في مطلع الأخرى^(٤) :

أنشأتها بركّة مَبَارَكَة فَبَارَكَ اللهُ فِي عَوَاقِبِهَا

★ بحر الخفيف :

ويأتي في المرتبة الثامنة والأخيرة من أوزان الشاعر بحر الخفيف . وقد

سمّي بذلك <لأنه أخفّ السُّبَاعِيَات>^(٥) ، والوزن الشائع لهذا البحر هو :

فاعلاتن + مستفعلن + فاعلاتن فاعلاتن + مستفعلن + فاعلاتن

ف نجد أنّ لها <جزالة ورشاقة>^(٦) .

ومن موصوفات الشاعر التي جاءت على هذا الوزن نذكر لك النموذج التالي

:

ففي أبياته في وصف سرعة ناقته التي أوردته ديار أهله ، والتي يقول في

(1) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١٣٦/١ .

(2) الديوان ، ص ١٢٩ .

(3) السابق ، ص ١٦١ .

(4) الديوان ، ص ٨٠ .

(5) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١٣٦/١ .

(6) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٢٦٩ .

مطلعها^(١) :

نَشَطْتُ عَقْلَهَا فَهَبَّتْ هُبُوبَ الـ رِيحِ حَرَقَاءَ تَخْبِطُ الْبُلْدَانَا

نلاحظ تلك الرشاقة التي اكتستها أبياته ، وجعلتنا نشعر بمدى إعجاب الشاعر بسرعة ناقته ؛ وذلك لأن بحر الخفيف يميل إلى الفخامة بعد الطويل والبسيط ؛ لأنه ساطع النغم ، بارز الموسيقى ، ثم إنه صالحٌ للحوار بقال وقلت ، ويصلح للجدل وللتريد وللسرود ، ويمتلئ بالروح الملحمي ...، وقد قيل إنه أخفُّ البحور على الطبع وأطلاها للسمع^(٢) .

ومن البحور الطويلة عند شاعرنا ننتقل إلى البحور القصيرة ، والتي جاء في مقدمتها :

★ الرجز :

وقد سُمِّيَ بهذا الاسم <لاضطراب أوزانه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام>^(٣) .

وتفعيلات هذا البحر هي :

مستفعلن + مستفعلن + مستفعلن + مستفعلن + مستفعلن

وقد جاءت أبيات الشاعر من هذا البحر على صورتين هما :

أ- الرجز المشطور : وهو الرجز التام حينما تكون كلُّ أشطره مُقفاة بقافية واحدة .

ب- الرجز المجزوء ، وهو الذي يتكون شطر البيت منه من التفعيلة (مستفعلن) مكررة مرتين ، وهو غير مقفى جميع الشطور^(٤) .

فمن الصورة الأولى جاءت قصيدة الشاعر في وصف جيش المتوكل ، والتي يقول في مطلعها^(٥) :

جَاوَزَ نَهْرَ الْكَرِّ بِالْخَيُْولِ تَرْدِي بِفَتِيَانِ كَأَسَدِ الْغَيْلِ

وكذلك مقطوعته في وصف ليلة أدبية ، والتي يقول في مطلعها^(٦) :

(1) الديوان ، ص ٢١٩ .

(2) دراسات في النص الشعري - العصر العباسي ، ص ١٨٥ .

(3) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١/١٣٦ .

(4) ينظر : موسيقى الشعر ، لإبراهيم أنيس ، ص ١٣٣ و ١٣٦ .

(5) الديوان ، ص ١٩٢ .

(6) السابق ، ص ١٢٥ .

وَلَيْلَةٌ كَأَنَّهَا نَهَارٌ سَهْرُتُهَا وَفَيْتَةٌ أَخْيَارٌ
 أمّا من الصورة الثانية فقد جاءت قصيدة الشاعر في وصف السفينة
 وملاحيتها ، والتي يقول في مطلعها^(١) :

عَجِبْتُ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ سَيْرِ هَذَا الْمَرْكَبِ

وقد كان بحر الرجز فيها صالحاً للخفة والترنم .
 ★ مجزوء الكامل :

وهذا البحر هو من < أكثر البحور القصيرة شيوعاً في الشعر العربي >^(٢) .
 وميزان هذا البحر هو :

متفاعلن + متفاعلن متفاعلن + متفاعلن

ومن موصوفات الشاعر التي جاءت على هذا الوزن : أبياته في وصف
 وادي العقيق ، وأبياته في وصف حال الغريب ، وأبياته في وصف قصيدة في
 مدح الخليفة المتوكل . وإليك نموذجاً من ذلك: قصيدة الشاعر يقول في وصف
 الوادي والتي يقول في مطلعها^(٣) :

هَذَا الْعَقِيقُ فَعَدَّ أَيُّ سَدِي الْعَيْسِ عَنْ غُلَوَائِهَا

فلنلاحظ سهولة وسلاسة إيقاع هذه الأبيات الموسيقي ، والنتاج عن تكرار
 التفعيلة <متفاعلن> في كلا الشطرين .
 ★ مجزوء الرَّمَل :

وتفاعيله هي :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

غير أن <فاعلاتن هنا تجيء أحياناً في صورة (فَعَلَاتِن) ، وكلاهما حسن
 جيد تميل الأذان إليه وتستريح إلى موسيقاه>^(٤) .
 ومن بين الأوصاف التي جاءت على هذا البحر : أبيات الشاعر في وصف
 جمال وأخلاق بني العباس ، والتي يقول في مطلعها^(٥) :

لِبَنِي الْعَبَّاسِ أَحْلَا مَّ عِظَامٍ وَوَقَارُ

(1) نفسه ، ص ٧٥ .

(2) موسيقى الشعر ، ص ١٠٧ .

(3) الديوان ، ص ٦١ .

(4) موسيقى الشعر ، ص ١٢٤ .

(5) الديوان ، ص ١٢٥ .

وكذلك أبياته في وصف الخليفة الواثق والتي يقول في مطلعها^(١) :

مَلِكٌ يَشْقَى بِهِ الْمَا لٌ وَلَا يَشْقَى الْجَلِيْسُ

ونلاحظ على هذه الموصوفات أن <نعمة الرّمْل كانت خفيفة جداً ، وتفعيلاته مرنة للغاية ؛ إذ كثيراً ما تصير (فاعلاتن) (فعلاتن) ولا يكاد يُلاحظ ذلك . وفي رثته نشوة وطرب>^(٢) .

★ مَخْلَعُ الْبَسِيْطِ :

وهو <من الألوان الموسيقية لبحر البسيط ، تكون العروض مقطوعة والضرب مقطوع أيضاً ، وتفاعيله هكذا :

مستفعلن + فاعلن + فعولن مستفعلن + فاعلن + فعولن>^(٣)

ومن أوصاف الشاعر التي جاءت على هذا الوزن مقطوعة الشاعر في وصف شدة كرم المتوكّل ، والتي قول في مطلعها^(٤) :

بَسْرٌ مِنْ رَا إِمَامٌ عَدْلٌ تَعْرِفُ مِنْ بَحْرِهِ الْبَحَارُ

وبيته في وصف الورد ، اللذان يقول فيهما^(٥) :

مَا أَخْطَأَ الْوَرْدُ مِنْكَ لَوْ نَا وَطِيْبَ رِيْحٍ وَلَا مِلَالَا

أَقَامَ حَتَّى إِذَا أُنْسْنَا بِقُرْبِهِ أَسْرَعَ اثْتِقَالَا

★ الْمَجْتَثُ :

<إن هذا البحر يتسم بإيقاع خفيف فيه رشاقة وحسن أداء تميل إليه النَّفس ، فطرب الأذن لسماع إيقاعاته الموقعة القصيرة>^(٦) .
وتفعيلات هذا البحر :

مستفعلن + فاعلاتن مستفعلن + فاعلاتن

وأوصاف الشاعر التي جاءت من هذا البحر : بيته في وصف آخر ليلة في حياته ، ويقول فيهما^(٧) :

أَزِيدُ فِي اللَّيْلِ لَيْلُ أَمْ سَالُ بِالصَّبْحِ سَيْلُ؟!!

(1) السابق ، ص ١٥١ .

(2) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ١١٦/١ .

(3) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، ص ١٠٧ .

(4) الديوان ، ص ١٢٣ .

(5) السابق ، ص ١٨٤ و ١٨٥ .

(6) موسيقى الشعر بين الثبات والتطور ، ص ١٣٨ .

(7) الديوان ، ص ١٨٣ .

يا إخوتاي بدجيل وأين منّي دجيل؟!

وكذلك بيتاه في وصف جسم الحيّة ، ويقول فيهما^(١) :

جسم كغود أراك ما يرتضى لسواك

ما فيه نفع لباع إلا أنتحال سواك

وجميعها أبيات سهلة وجميلة يسهل حفظها لإيقاعاتها القصيرة .

(ب) القافية :

وهي <شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر>^(٢) ؛ وقد عرفها علماء العروض فقالوا : <ليست إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة ، وتكررها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعريّة>^(٣) .

وقد اهتمت كتب العروض القديمة والحديثة بالقافية فبيّنت حروفها وحركاتها ، وأنواعها ، وأسماءها ، وعيوبها^(٤) ؛ كما أشار بعض المؤلفين إلى وجوب اختيار القافية السليمة المناسبة للمعنى والغرض الذي يتناوله الشاعر . يقول أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين : <وإذا أردت أن تعمل شعراً فأحضر المعاني التي تريد نظمها في فكرك ، وأخطرها على قلبك ، واطلب لها وزناً يتأتى فيه إيرادها ، وقافية يحتملها . فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ، ولا تتمكن منه في أخرى ، أو تكون في هذه أقرب طريقاً ، وأيسر كلفة منه في تلك>^(٥) .

وقد صنّف الدكتور إبراهيم أنيس حروف القوافي إلى أربعة أقسام ، وذلك على حسب نسبة شيوعها في الشعر العربي ، وهي :

(1) السابق ، ص ١٧٠ .

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١٥١/١ .

(3) موسيقى الشعر ، ص ٢٤٦ .

(4) للاستزادة انظر كتاب ميزان الذهب في صناعة شعر العرب للسيد أحمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ، ص ١١٣ وحتى ١٢٧ . وانظر : أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية ، محمود مصطفى ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، المكتبة التجارية - نزار مصطفى الباز - مكة ، ص ١١٠ وحتى ١٢٩ . وانظر : العروض الواضح ، د/ ممدوح حقي ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان ، الطبعة السادسة عشرة (١٩٨٤م) ، ص ١١٣ وحتى ١٤٤ ؛ واللزوميات لأبي العلاء المعري ، حققه وأشرف على طباعته جماعة من الأخصائيين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، الجزء الأول ، من ص ٦ وحتى ص ٣٢ .

(5) الصناعتين ، ص ١٥٧ .

- ١- حروف تجيء رويًا بكثرة ، وإن اختلفت نسبة شيوعها في أشعار الشعراء ، وتلك هي : الرّاء ، اللّام ، الميم ، النون ، الباء ، الدّال ، السّين ، العين .
- ٢- حروف مُتوسطة الشّيع وتلك هي : القاف ، الكاف ، الهمزة ، الحاء ، الفاء ، الياء ، الجيم .
- ٣- حروف قليلة الشّيع وهي : الضاد ، الهاء ، الطاء ، التاء ، الصاد ، الثاء .
- ٤- حروف نادرة المجيء وهي : الدّال ، الغين ، الخاء ، الشين ، الزاي ، الظاء ، الواو^(١) .

ولو أردنا أن نطبق هذا التصنيف على قوافي شعر الوصف عند عليّ بن الجهم فإننا سنجد تنوعًا في قوافيه وهي مرتبة في الجدول التالي على حسب كثرة عدد الأبيات :

عدد الأبيات	حرف القافية
١٠٣	الرّاء
٦٠	اللّام
٤٦	الدّال
٤٤	الباء
٣٣	الميم
١٧	الهمزة
١٠	الفاء
٨	الجيم
٧	النّون
٤	العين
٤	الحاء
٣	السّين
٢	الكاف
١	الضّاد
٣٤٢	المجموع

فلاحظ أن الحروف الخمسة الأولى التي أكثر منها الشاعر قد كانت من القسم الأول ، وهي الحروف الشائعة الاستعمال بكثرة .
وجاء من القسم الثاني وهي الحروف المتوسطة الاستعمال حرف الهمزة والفاء والحاء والكاف والجيم .
وجاء من القسم الثالث ، وهي الحروف قليلة الشّيع ، حرف الضاد فقط ،

(1) ينظر : موسيقى الشعر ، لإبراهيم أنيس ، ص ٢٤٨ .

وذلك في بيت واحد فقط ، أما الحروف النادرة الشيوخ فلم يكن لها نصيب من شعر الوصف عند شاعرنا .

فستشف من ذلك ارتقاء ملكة الشاعر الشعريّة ، وتمرسه بالشعر العربي ؛ لذا جاءت قوافيه منسوجة على غرار سابقيه من الشعراء ، وفي هذا تأكيد لقول ابن خلدون : < اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً ، أولها الحفظ من جنسه ، أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها . . . ، فبارتقاء المحفوظ في طبقتة من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة لأن الطبع إنما ينسج على منوالها ، وتنمو قوى الملكة بتغذيتها>^(١) .

وقوافي شعر الوصف عند شاعرنا كانت جميعها مطلقة ، < وهي التي يكون فيها الروي متحرّكاً>^(٢) ؛ ما عدا مقطوعته في وصف حال الغريب ، فقد كانت مقيدة ، والتي يبدوها بقوله^(٣) :

طَلَبُ الْمَعَاشِ مُفَرَّقٌ بَيْنَ الْأَحْبَابِ وَالْوَطَنِ

وقد كانت الكسرة -وهي أقوى الحركات- أكثر حركات الروي استعمالاً في شعر الوصف ، تليها الضمة ، ثم الفتحة .

وهناك مظاهر تظهر فيها براعة علي بن الجهم الفنيّة في القافية ، وهي التزامه حرف مدّ معيّن (ردف) قبل الروي ، وقد ذكر أبو العلاء المعري في مقدّمة اللزوميات ثلاثة منازل للردف هي :

١- أن يكون بينه وبين انقضاء البيت حرف واحد ، وذلك في الشعر المقيد ، نحو : (المنيع) ، و(الخيام) .

٢- أن يكون بينه وبين انقضاء البيت حرفان ، وذلك في الشعر المطلق الذي لا خروج له ، نحو : (الجدودا) ، و(الزور) .

٣- أن يكون بينه وبين انقضاء البيت ثلاثة حروف ، وذلك في الشعر المطلق الذي له خروج ، نحو (جودها)^(٤) .

ولمّا كانت قوافي علي بن الجهم جميعها مطلقة فإننا سنتجاوز المنزلة الأولى إلى المنزلة الثانية ، ومن شواهد هذه المنزلة ما يلي :

١- أبيات الشاعر التي يبدوها بقوله^(٥) :

(1) تاريخ ابن خلدون ، ١/٥٠٣ و ٥٠٦ و ٥٠٧ ، وانظر التجربة الشعرية عند ابن المقرب ، ص ١١٤ .

(2) موسيقى الشعر ، لإبراهيم أنيس ، ص ٢٦٠ .

(3) الديوان ، ص ٢٢٢ .

(4) ينظر : مقدّمة اللزوميات ، الجزء الأول ص ٧ و ٨ و ٩ .

(5) الديوان ، ص ٢٠٧ .

- وَتُرْنَ وَالصَّبَاحَ مُعَقَّبَاتٌ تُقَلِّصُ عَنْهُ أَعْجَازَ الظَّلَامِ
- ٢- وأبياته التي يبدوها بقوله^(١) : لَبْنِي الْعَبَّاسِ أَحْلَا
- ٣- ومقطوعته التي مطلعها^(٢) : بِسْرٌ مِنْ رَا إِمَامٌ عَدْلٌ
- ٤- وأبياته التي يبدوها بقوله^(٣) : مِنْ وَرَاءِ الشَّبَابِ شَيْبٌ حَثِيثٌ السِّدِّ
- ٥- وأبياته في وصف الناقة ، والتي يبدوها بقوله^(٤) : قَلَائِصُ مِثْلُ مُجْفَلَةِ النَّعَامِ
- ٦- أبياته التي يبدوها بقوله^(٥) : نَشَطَتْ عَقْلَهَا فَهَبَّتْ هُبُوبَ الـ
- ٧- بيته في وصف الحيّة^(٦) : مَا يُرْتَضَى لِسَوَاكِ
- ٨- بيته في وصف الجواد^(٧) : جِسْمٌ كَعُودِ أَرَاكِ
- فَوْقَ طَرْفٍ كَالطَّرْفِ فِي سُرْعَةٍ دِ وَكَالْقَلْبِ قَلْبُهُ فِي الدَّكَاةِ
- ٩- مقطوعته في وصف طائر الصيد التي يبدوها^(٨) : وَقَدْ حَمَلْنَا كُلَّ مُسْتَوْفِرٍ
- ١٠- بيته في وصف آخر ليلة^(١) : أَدْبَهُ الْحَادِقُ وَاخْتَارَا

(1) السابق ، ص ١٢٥ .

(2) نفسه ، ص ١٢٣ .

(3) نفسه ، ص ١٤٤ .

(4) نفسه ، ص ٢٠٦ .

(5) نفسه ، ص ٢١٩ .

(6) الديوان ، ص ١٧٠ .

(7) السابق ، ص ٥٨ .

(8) مجلة العرب ، ص ٢١٢ .

- أزِيدُ فِي اللَّيْلِ لَيْلُ أم سَالُ بِالصُّبْحِ سَيْلُ؟!
 ١١ - بَيْتُهُ فِي وَصْفِ لَيْلَةٍ (٢) :
 وَلَيْلَةٌ كُحِلَتْ بِالنَّفْسِ مُقْلَتْهَا أَلْقَتْ قَبَاعَ الدَّجَى فِي كُلِّ أَخْدُودِ
 ١٢ - أَبْيَاتُهُ فِي وَصْفِ لَيْلَةٍ أُدْبِيَةٍ (٣) :
 وَلَيْلَةٌ كَأَنَّهَا نَهَارُ سَهْرَتْهَا وَفَيْتُهُ أَخْيَارُ
 ١٣ - أَبْيَاتُهُ فِي وَصْفِ الْقَوَافِي وَهِيَ تَتْرَاعَى لَهُ (٤) :
 وَعَنَّتْ كُلُّ قَافِيَةٍ شُرُودِ كَلِمَحِ الْبَرْقِ أَوْ لَهَبِ الضَّرَامِ
 ١٤ - أَبْيَاتُهُ فِي وَصْفِ حَالِ الْقَرِيضِ بَعْدَ أَبِي تَمَامٍ (٥) :
 وَغَدَا الْقَرِيضُ ضَيْلُ شَخْصٍ بَاكِيَا يَشْكُو رَزِيَّتَهُ إِلَى الْأَقْلَامِ
 وَمِنْ شَوَاهِدِ الْمَنْزِلَةِ الثَّلَاثَةِ :
 ١ - أَبْيَاتُ الشَّاعِرِ فِي وَصْفِ وَادِي الْعَقِيقِ الَّتِي يَبْدُوهَا بِقَوْلِهِ (٦) :
 هَذَا الْعَقِيقُ فَعَدَّ أَيُّ دِي الْعَيْسِ عَنِ غَوَائِهَا
 ٢ - قَصِيدَتُهُ فِي وَصْفِ الْفَنِّ الْمَعْمَارِيِّ لِلْقَصْرِ الْهَارُونِيِّ (٧) :
 وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمَلُوكَ كَيْ تَبْنِي عَلَى قَدْرِ أَخْطَارِهَا
 ٣ - أَبْيَاتُهُ فِي وَصْفِ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ الْمُتَوَكَّلِ (٨) :
 وَقَصِيدَةٍ غَرَاءَ يَفُ نَى الدُّهْرِ قَبْلَ فَنَائِهَا
 وَكَذَلِكَ نَجِدُ مِنْ مَظَاهِرِ بَرَاعَتِهِ الْفَنِّيَّةِ فِي الْقَافِيَةِ التِّزَامِ أَلْفَ التَّاسِيْسِ ، وَهِيَ

- (1) الديوان ، ص ١٨٣ .
- (2) السابق ، ص ١٠٦ .
- (3) نفسه ، ص ١٢٥ .
- (4) نفسه ، ص ٢٠٦ .
- (5) نفسه ، ص ٢١٢ .
- (6) الديوان ، ص ٦١ .
- (7) السابق ، ص ١٤٦ .
- (8) نفسه ، ص ٦٢ .

- ألف هاوية لا يفصلها عن الرّويّ إلا حرف واحد متحرّك>^(١) .
 وللتأسيس عند أبي العلاء المعري ثلاث منازل أيضاً هي :
- ١- أن يكون بين التأسيس وبين انقضاء البيت حرفان ، وذلك في الشعر المقيد ، نحو : (عاجز) .
- ٢- أن يكون بينه وبين انقضاء البيت ثلاثة حروف ، وذلك في الشعر المطلق الذي لا خروج له ، نحو : (سالم) .
- ٣- أن يكون بينه وبين انقضاء البيت أربعة أحرف ، وذلك في الشعر المطلق الذي له خروج ، نحو : (يوافقها)^(٢) .
- وبما أنّنا قد وضّحنا فيما سبق أن قوافي شعر الوصف جميعها مطلقة ، فإننا نتجاوز المنزلة الأولى إلى المنزلة الثانية والتي من شواهدنا :
- ١- أبيات الشاعر في وصف النّاقة والتي يبدوها بقوله^(٣) :
- بَخِيفَانَةٌ كَالْقَصْرِ وَجَنَاءَ حُرَّةٍ نَمَتْهَا مِنَ الثُّوقِ الْهَجَانُ الْخَوَانِفُ
- ٢- مقطوعته في وصف الحيّة والتي يبدوها بقوله^(٤) :
- عُجْنَا الْمَطِيِّ وَنَحْنُ تَحْتَ الْحَاجِرِ بَيْنَ الْأَبَارِقِ وَالسَّبِيلِ الْعَامِرِ
- ٣- مقطوعته في وصف كلاب الصّيد والتي يبدوها بقوله^(٥) :
- وَطِينْنَا رِيَاضَ الزَّعْفَرَانِ وَأَمْسَكْتُ عَلَيْنَا الْبُرَاةَ الْبَيْضَ حُمْرَ الدَّرَارِجِ
- ٤- مقطوعته في وصف طول الليل عليه وتجهّمه^(٦) :
- كَمْ قَدْ تَجَهَّمَنِي السُّرَى وَأَزَّالَنِي لَيْلٌ يَأْوِي بِصَدْرِهِ مَتَطَاوِلُ
- ٥- مقطوعته في وصف المظهر الخارجي لناقته ، ويبدوها بقوله^(٧) :
- وَأُحُو فَلَاحٍ سَهْوَقٍ وَسَقَتْ لَهْ خُفٌّ نَوَاحِلُ كَالْقِسِيِّ ذَوَابِلُ

(1) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، ص ١١٦ .

(2) ينظر : مقدمة اللزوميات ، ٦/١ و ٧ .

(3) مجلة العرب ، ص ٢١٦ .

(4) الديوان ، ص ١٤٢ .

(5) السابق ، ص ٨٤ .

(6) نفسه ، ص ١٧٦ .

(7) مجلة العرب ، ص ٢١٩ .

وأما المنزلة الثالثة فلم يأت منها سوى شاهد واحد هو :

١ - مقطوعة الشاعر في وصف البركة والتي يبدوها بقوله^(١) :

أَنْشَأَتْهَا بَرْكَةً مُبَارَكَةً فَبَارَكَ اللهُ فِي عَوَاقِبِهَا

(٢) الإيقاع الداخلي :

يقول الدكتور شوقي ضيف عن هذا النوع من الإيقاع : <إنّ موسيقى الشّعْر لم يُضبط منها إلاّ ظاهرها ، وهو ما تضبطه قواعد علميّ العروض والقوافي ، ووراء هذه الموسيقى الظاهرة موسيقى خفيّة تتبع من اختيار الشاعر لكلماته ، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات ، وكأنّ للشاعر أدنًا داخليّة وراء أدنه الظاهرة تسمع كلّ شكّلة وكلّ حرف وحركة بوضوح تام . وبهذه الموسيقى الخفيّة يتفاضل الشعراء>^(٢) .

وهذه الموسيقى هي <أدقّ من الموسيقى الأولى ، وإذا فقدت في شعر لم يُسمَّ شعراً>^(٣) .

وتتجلى مظاهر اهتمام علي بن الجهم بالإيقاع الداخلي في شعره الوصفي في التكرار والجناس والطباق والمقابلة والتقسيم والتصريح .
(أ) التكرار :

<وحدّه هو : دلالة اللفظ على المعنى مُردِّدًا>^(٤) . يقول ابن رشيق في هذا الجانب : <وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني>^(٥) .

ويُعدُّ التكرار من أبرز المظاهر اللغوية في بنية النصّ الشعريّ عند ابن الجهم ، والتكرار هو <تكرير اللفظ أو المعنى في البيت أو العبارة لإحراز فائدة التأكيد والترسيخ>^(٦) .

(1) الديوان ، ص ٨٠ .

(2) في النّقد الأدبي ، ص ٩٧ .

(3) السابق ، ص ١١٣ .

(4) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق د/ أحمد محمد الحوفي و د/ بدوي طبانة . الطبعة الأولى (١٣٨١هـ-١٩٦٢م) ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ٤/٣ و ٥ .

(5) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ٧٣/٢ .

(6) البديع في علم البديع ، ليحيى بن معطي ، تحقيق ودراسة : د/ محمد مصطفى أبو شوارب ، راجعه وقدم له : أ.د. مصطفى الصادي الجويني ، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م) ،

ومن الشواهد الجميلة للتكرار في شعر علي بن الجهم في الوصف ما يلي :
يقول الشاعر (١) :

١- أَعَدَنْ لِي الشَّوْقَ القَدِيمَ ولم أكنْ سَلَوْتُ ولكنْ زدنَ جَمْرًا على جَمْرٍ

فتكرار الشاعر للفظة <جمر> زاد من تقوية المعنى وأكسب البيت نغمة موسيقية جميلة .

ويقول (٢) :

٢- شُعْتُ على شُعْتٍ من الفحول جَيْشٌ يَلْفُ الحَزْنَ بالسُّهول

ففي تكرار لفظة <شعث> هدف أراد الشاعر الوصول إليه ، وهو تعميق الصورة وتجليتها للسامع .

ويقول (٣) :

٣- ورُقَعَةٌ جَاءَتْكَ مَثِيَّةً كَأَنَّهَا خَدٌّ على خَدٍّ

فهذا التكرار قد أكسب البيت نغمة موسيقية جميلة ، وزاد من تقريب الصورة إلى الذهن .

ويقول (٤) :

٤- بَيْنَ النَّدِيمِينَ والخَلِيْنَ مَضْجَعُهُ وَسَيْرُهُ مِنْ يَدٍ مَوْصُولَةٍ بِيَدٍ

أيضاً نلاحظ في هذا التكرار زيادة في تقريب الصورة وإكساب البيت رنة موسيقية .

ويقول (٥) :

٥- فَعُجِنَ بها وقدْ أُنْضِيَ طَلاها قِرَانُ اللَّيْلِ بِاللَّيْلِ التَّمَامِ

ففي تكرار لفظة <الليل> نغمة موسيقية .

ويقول (٦) :

الناشر : دار الوفاء للطباعة بالإسكندرية - مصر ، ص ١٨٩ .

(1) الديوان ، ص ١٣٧ .

(2) الديوان ، ص ١٩٢ .

(3) السابق ، ص ١٠٧ .

(4) نفسه ، ص ١٠٥ .

(5) نفسه ، ص ٢٠٧ .

(6) نفسه ، ص ١٨٣ .

٦- يا إخوتي بِدُجِيلٍ وأيّن مني دُجِيْلُ

فقد هدف الشاعر من وراء تكرار لفظة <دجيل> إلى تصوير معنى الشوق والحنين الذي يجيش في نفسه .
ويقول^(١) :

٧- صُفْرًا تَضْحَكُ عَنْهَا رَوْضَةٌ في وصفها عَجَبٌ نَاهِيكَ مِنْ عَجَبٍ

فهذا التكرار يثير دهشة السّامع ، فوصف هذه الروضة عجب في عجب .
ويقول^(٢) :

٨- ما تراه العيون إلا خيالاً وهو مثل الخيال في الإنطواء

وهنا تكرار كلمة <الخيال> زيادة في التأكيد على وصف ذلك الجواد بالخيال .
ويقول^(٣) :

٩- وإذا بداهيّة كأنّ حفيفها بين الثّمام حفيفٌ ليثٌ خادر

لقد كرر الشاعر لفظة <حفيف> لإكساب البيت رنة موسيقية ولتقريب الصورة .
ويقول^(٤) :

١٠- وتطرب الخيل إذا ما علا مئونها فالخيل تستبشر

وهو هنا يكرر لفظة <الخيال> لإيضاح شجاعة المتوكل .
ويقول^(٥) :

١١- نسجت سناجها سماءً فوقها جعلت أسنتها نجوم سماء

فكرر لفظة <سماء> لإيضاح الصورة وتقريبها .
ويقول^(٦) :

(1) مجلة العرب ، ص ٢٠٥ .

(2) الديوان ، ص ٥٨ .

(3) السابق ، ص ١٤٢ .

(4) نفسه ، ص ١٢٨ .

(5) مجلة العرب ، ص ٢٠٤ .

(6) الديوان ، ص ١٨٩ .

١٢- وأَعْرَضَ عَنِ الْمِصْبَاحِ فَإِنْ حَمَدَ الْمِصْبَاحُ فَادْنُ وَقَبْلُ
فكرر لفظة <المصباح> لبيان الدّور الذي يلعبه المصباح في ذلك المنزل ،
ولزيادة نغمة البيت .

ويقول^(١) :

١٣- وَأَنَّ أَقَالِيمَ الْعِرَاقِ فَعِيرَةٌ إِلَيْهَا أَقَامَتْ بِالْعِرَاقِ تَجُودُهَا

فقد كرر لفظة <العراق> لزيادة موسيقى البيت ونغمته .

وهذه الشواهد هي غيض من فيض ، فهناك نماذج وأمثلة كثيرة للتكرار عند
الشاعر ، إلا أننا رغبنا في الاكتفاء بهذا القدر من الشواهد .
(ب) الجناس :

وهو اتفاقُ اللفظ واختلاف المعنى ، أي تكرار اللفظ من أجل جرسه
الموسيقي ، <وإنما سُمِّيَ هذا النوع من الكلام مجانساً ؛ لأن حروف ألفاظه يكون
تركيبها من جنس واحد ، وحقيقته أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً>^(٢) .

وهو أوّل أنواع الاشتراك اللفظي الذي أشار إليه ابن رشيق بقوله : <أن
يكون اللفظان راجعين إلى حدٍّ واحدٍ ومأخوذين من حدٍّ واحدٍ ، فذلك اشتراكٌ
محمودٌ ، وهو التجنيس>^(٣) .

ومن شواهد الجناس عند الشاعر بين الاسمين ما يلي :

يقول الشاعر^(٤) :

١- هُوَ شَمْسُ الضُّحَى إِذَا أَظْلَمَ بُبُ وَبَدْرُ الدُّجَى وَسَعْدُ السُّعُودِ

فقد جانس بين لفظتي (سعد ، السعود) ، وهو جناس ناقص .

ويقول^(٥) :

٢- وَمُصَيِّرٌ جَلْدَ الْجَلِيدِ _____ إِلَى الضَّرَاعَةِ وَالْوَهْنِ

جناس ناقص بين لفظتي (جلد ، الجليد) .

ويقول^(١) :

(1) الديوان ، ص ١١٣ .

(2) المثل السائر ، ٣٤٢/١ .

(3) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ٩٦/٢ .

(4) الديوان ، ص ١١٠ .

(5) السابق ، ص ٢٢٢ .

٣- هل كان إلاّ اللّيث فارق غيِّلهُ فرأيتُهُ في مَحْمَلٍ مَحْمُولًا

جناس ناقص بين لفظتي : (محمل ، محمولا) .

ويقول (٢) :

٤- فإذا اسْتِرَابَ بِرَبْوَةٍ أَوْ رَهْوَةٍ فَلهنَّ عَنهُ تَجَانُفٌ وَتَزَايُلٌ

جناس ناقص بين لفظتي (ربوة ، رهوة) .

ويقول (٣) :

٥- فكيف قايست بها غرّةً غرّاء لا تخفى ولا تُستر

جناس ناقص بين لفظتي : (غرة ، غراء) .

ومن شواهد الجناس بين الفعلين ما يلي :

يقول الشاعر (٤) :

١- سَلِمْنَ وَأَسْلَمْنَ القلوبَ كَأَنَّمَا تُشَكُّ بِأَطْرَافِ المُنْقَعَةِ السَّمْرِ

جناس ناقص بين الفعلين (سلمن ، أسلمن) .

ويقول (٥) :

٢- سَقَيْتُمْ وَأَسَقَيْتُمْ وما زالَ فضلكمُ على غيركمُ فضلَ الوفاءِ على

جناس ناقص بين الفعلين (سقيتم ، أسقيتم) .

ومن شواهد الجناس بين الاسم والفعل ما يلي :

يقول الشاعر (٦) :

١- أنشأتها بِرِكَاةٍ مُبارِكةٍ فَبَارَكَ اللهُ في عَواقِبِها

جناس بين (بركة ، مباركة ، بارك) .

ويقول (١) :

(1) الديوان ، ص ١٨٦ .

(2) مجلة العرب ، ص ٢١٩ .

(3) الديوان ، ص ١٢٨ .

(4) السابق ، ص ١٣٧ .

(5) نفسه ، ص ١٤١ .

(6) الديوان ، ص ٨٠ .

٢- بِمِثْلِهِمْ تُعَاقِرُ الْعُقَارُ وَتُمْتَعُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ
جناس بين (تعافر ، العقار) .
(ج) الطّباق :

وهو الجمع بين معنيين متقابلين ، مثل قوله تعالى : { يُحْيِي - وَيُمِيتُ } ،
وقوله : { وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ } .

وللطباق في شعر علي بن الجهم الوصفي أمثلة كثيرة نستشهد عليها
بالشواهد التالية :

يقول الشاعر (٢) :

الملك فيه وفي بنيه ما اختلف الليل والنهار
يُرجى ويُخشى لكل خطبٍ كأنه جنة ونار
لم تأت منه اليمينُ شيئاً ألا أتت مثلها اليسار

وفي هذه الأبيات نلاحظ طباقاً بين ثمانية ألفاظ هي : (الليل - النهار) ، (يُرجى -
يُخشى) ، (جنة - نار) ، (اليمين - اليسار) .
ويقول (٣) :

سَقَيْتُمْ وَأَسْقَيْتُمْ وَمَا زَالَ فَضْلُكُمْ
على غيركم فضلَ الوفاءِ عليّ طباق بين لفظتي (الوفاء - الغدر) .
ويقول (٤) :

مِنْ وَرَاءِ الشَّبَابِ شَيْبٌ حَثِيثُ السِّدِّ
وَمَعَ الصَّحَّةِ السَّقَامُ وَحَالَ الـ
يُرِّ وَاللَّيْلُ مُزْعَجٌ بِنَهَارِ
عَزٌّ مَقْرُونَةٌ بِحَالِ صِغَارِ

طباق بين الألفاظ التالية : (الشباب - شيب) ، (الليل - نهار) ، (الصحة -
السقام) ، (العز - صغار) .

(1) السابق ، ص ١٢٥ .

(2) نفسه ، ص ١٢٣ .

(3) نفسه ، ص ١٤١ .

(4) الديوان ، ص ١٤٤ .

ويقول (١) :

لَمْ يَخْلُقَ اللَّهُ مِثْلَهَا وَطَنًا فِي مَشْرِقِ الْأَرْضِ أَوْ مَغَارِبِهَا
لِلْمَوْجِ فِيهَا تَلَاظِمٌ عَجَبٌ وَالْجَزْرُ وَالْمَدُّ فِي مَشَارِبِهَا

طباق بين (مشرق - مغاربها) ، (الجزر - المد) .

ويقول (٢) :

فَلَا وَأَبْيَكَ الْخَيْرَ مَا انْفَكَّ سَاطِعٌ مِنْ الشَّيْبِ يَجْلُو مِنْ دُجَى اللَّيْلِ
١ ١١٤

طباق بين (ساطع - مظلما) .

ويقول (٣) :

وَكُلُّهُمْ مِنْ مَنْطِقَةٍ عِنْدَ الرِّضَا بِالْغَضَبِ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ سَاوَا عَنَّ عِنْدَهُ فِي سَبَبِ
إِذَا اسْتَرَاخُوا فَهُمْ فِي رَاحَةٍ مِنْ تَعَبِ

طباق بين ستة ألفاظ هي : (الرضا - الغضب) ، (الخير - الشر) ، (راحة - تعب) .

ويقول (٤) :

وَدِجَلَةٌ كَالدَّرْعِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهَا لَهَا حَلَقٌ يَبْدُو وَيَخْفَى حَدِيدُهَا
طباق بين (يبدو - يخفى) .

ويقول (٥) :

الْبَحْرُ وَالْبَرُّ فِي يَدَيِ مَلِكٍ تُشْرِقُ مِنْ نُورٍ وَجْهَهُ السُّدْفُ

هنا طباق بين لفظتي (البحر والبر) ، و(نور - السدْف) .

ويقول (٦) :

(1) السابق ، ص ٨٠ .

(2) نفسه ، ص ٢٠٠ .

(3) نفسه ، ص ٧٧ .

(4) الديوان ، ص ١١٤ .

(5) السابق ، ص ١٦١ .

(6) نفسه ، ص ١٢٥ .

وَلَيْلَةٌ كَأَنَّهَا نَهَارٌ سَهْرُهَا وَفَيْتَةٌ أَخْيَارٌ
 طباق بين (ليلة - نهار) .

ويقول (١) :
 نَبْدُ سَوَادٍ فِي بَيَاضٍ كَمَا ذُرٌّ فَيْتٍ فِي الْمِسْكِ فِي الْوَرْدِ
 سَاهِمَةُ الْأَسْطَارِ مَصْرُوفَةٌ عَنْ مُلْحِ الْهَزْلِ إِلَى الْجِدِّ
 هنا طباق بين أربعة ألفاظ هي : (سواد - بياض) ، و(الهزل - الجد) .

ويقول (٢) :
 تَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ نُصْدٌ بَبَ صَبَاحِهَا وَمَسَائِهَا
 لَمْ تَسْتَمِحْ أَيْدِي الرَّجَا لِمَمْدَحِهَا وَهَجَائِهَا
 طباق بين (صباحها - مسائها) ، و(بمدحها - هجائها) .
 ويقول (٣) :

وتأوّهت عُرْرُ الْقَوَافِي بَعْدَهُ وَرَمَى الزَّمَانَ صَحِيحَهَا بِسِقَامِ
 طباق بين (صحيحها - بسقام) .
 (د) المقابلة :

وهي أن يوتى بمعنيين أو أكثر ثم يوتى بما يُقابل ذلك على الترتيب ، كما في قوله تعالى : { فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا } .

يقول عنها ابن رشيق : < وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب ؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به آخراً ، ويأتي في الموافق بما يوافقفه ، وفي المخالف بما يخالففه > (٤) .

وللمقابلة في شعر علي بن الجهم الوصفي شاهدٌ واحد هو :
 قول الشاعر (٥) :

(1) نفسه ، ص ١٠٧ .

(2) نفسه ، ص ٦٢ .

(3) الديوان ، ص ٢١٢ .

(4) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١٥/٢ .

(5) الديوان ، ص ١٣٣ .

سَوَى أَنْ ذَاكَ بَعِيدُ الْمَحَلِّ وَهَذَا قَرِيبٌ لِمَنْ يَنْظُرُ
وَذَاكَ يَغِيبُ وَذَا حَاضِرٌ وَمَا مَنْ يَغِيبُ كَمَنْ يَحْضُرُ

فقابل في البيت الأول بين : (ذاك بعيد) و(هذا قريب) ، وقابل في البيت الثاني بين : (ذاك يغيب) و(ذا حاضر) .
(هـ) التقسيم :

وهو <استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتداء به>^(١) . <والتقسيم الصحيح هو أن تُقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه ، ولا يخرج منها جنس من أجناسه ، فمن ذلك قوله تعالى : {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} ؛ وهذا أحسن تقسيم ؛ لأن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ، ليس فيهم ثالث>^(٢) .

ومن شواهد التقسيم عند علي بن الجهم الشواهد التالية :

يقول الشاعر^(٣) :

أَشْرِبُ بِيَدٍ وَأَعْمِرُ بِطَرْفٍ وَلَا تَخَفُ رَقِيبًا إِذَا مَا كُنْتَ غَيْرَ مُبْخَلٍ
وَسَلُّ غَيْرَ مَمْنُوعٍ وَقَلِّ غَيْرَ مُسْكَتٍ وَنَمِّ غَيْرَ مَدْعُورٍ وَقَمِّ غَيْرَ مُعْجَلٍ

ويقول كذلك^(٤) :

وَكَادَتْ تَمِيسُ الْأَرْضُ إِمَّا تَلْهَفَا وَإِمَّا حِذَارًا أَنْ يَضِيعَ مُرِيدُهَا

ويقول أيضاً^(٥) :

مَا أَخْطَأَ الْوَرْدُ مِنْكَ لَوْ نَا وَطَيْبَ رِيحٍ وَلَا مِلَالَا

(و) التصريح :

يقول ابن رشيق عنه : <فأما التصريح فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة

(1) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ٢٠/٢ .

(2) الصناعتين ، ص ٣٧٥ .

(3) الديوان ، ص ١٨٨ .

(4) السابق ، ص ١١٣ .

(5) نفسه ، ص ١٨٤ .

لضربه ، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته>^(١) ؛ وهو ظاهرة إيقاعية صوتية>^(٢) .
وقد أكثر علي بن الجهم من تصريح مطالع قصائده ، ومن الشواهد على ذلك
النماذج التالية ، وهي للتمثيل فقط لا الإحصاء :

- ١- مطلع قصيدته في وصف إحساسه بألم الجوى^(٣) :
عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلْبُنُ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا
- ٢- مطلع قصيدته في وصف جيش المتوكل^(٤) :
جَاوَزَ نَهْرَ الْكَرِّ بِالْخَيُْولِ تَرْدِي بِفَتِيَانٍ كَأَسَدِ الْغَيْلِ
- ٤- مطلع مقطوعته في وصف الحية^(٥) :
عُجْنَا الْمَطِيَّ وَنَحْنُ تَحْتَ الْحَاجِرِ بَيْنَ الْأَبَارِقِ وَالسَّبِيلِ الْعَامِرِ
- ٥- مطلع قصيدته في وصف السحابة^(٦) :
وَسَارِيَةٍ تَرْتَادُ أَرْضًا تَجُودُهَا شَعَلْتُ بِهَا عَيْنًا قَلِيلًا هُجُودُهَا
- ٦- مطلع قصيدته في وصف منزل مقين^(٧) :
نَزَلْنَا بِبَابِ الْكَرْخِ أَفْضَلَ مَنَزَلِ عَلَى مُحْسِنَاتٍ مِنْ قِيَانِ الْمُفْضَلِ
- ٧- مطلع قصيدته في وصف السفينة^(٨) :
عَجِبْتُ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ سَيْرِ هَذَا الْمَرْكَبِ
- ٨- مطلع مقطوعته في وصف القصر الهاروني^(٩) :
بَانَ بِقَرْبِ الْخَلِيفَةِ التَّحْفُ مَحَلُّ صَدْقِ وَرَوْضَةِ أَنْفُ
- ٩- مطلع مقطوعة الشاعر في وصف ليلة أدبية مائعة^(١) :

(1) العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١٧٣/١ .

(2) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، ص ٤٩ .

(3) الديوان ، ص ١٣٥ .

(4) الديوان ، ص ١٩٢ .

(5) السابق ، ص ١٤٢ .

(6) نفسه ، ص ١١٣ .

(7) نفسه ، ص ١٨٨ .

(8) نفسه ، ص ٧٥ .

(9) نفسه ، ص ١٦١ .

وَلَيْلَةٌ كَأَنَّهَا نَهَارٌ سَهْرُهَا وَفَيْتَةٌ أَخْيَارٌ

مما سبق يتّضح لنا أن ابن الجهم كان يعنى بموسيقى شعره الخارجية والداخلية عناية فائقة ملحوظة ؛ حيث نجد تنوعاً في بحور شعره ، كان في مقدّمتها بحر الطويل يليه الكامل فالمتقارب فالسريع فالبسيط فالوافر فالمنسرح ثم الخفيف . كما استخدم البحور القصيرة كالرّجز ومجزوء الكامل والرّمّل ومخلّع البسيط والمجتث . كذلك كان لديه تنوعٌ في حروف القوافي ، كان في مقدّمتها قافية الراء فاللام فالذال فالباء فالميم فالهمزة فالفاء فالجيم فالنون فالعين فالحاء فالسين فالكاف ثم الضاد .

وفي الموسيقى الداخلية اهتمّ الشاعر بضروب من الموسيقى الداخليّة كالترار والجناس والطباق والتقسيم والتصريع . وبذلك كلّه وفر ابن الجهم لشعره ينابيع ثرة من عذب النّغم .

الخاتمة

علي بن الجهم شاعرٌ فصيحٌ عذب الألفاظ ، غزير الكلام ؛ وقر لشعره اللفظة الجزلة والعبارة الفخمة ، والصورة القويّة والنغمة الهادرة ؛ ليتلاءم المعنى مع المبنى ، ويخرج منهما شعرٌ يملأ القلبَ ويطرب السمعَ ، ويُمتع الخيالَ في آنٍ واحد .

وقد تميّز شعر علي بن الجهم في الوصف بالبراعة ، وربما كان هذا الباب من أقوى مظاهر شاعريته ، وأدلّها على قوة ملاحظته ؛ حيث توافرت له أدوات الوصف والتي تبدو في الملاحظة الدقيقة ، والانفعال الهادئ المستمر بالصور التي يقع عليها حسّ الشاعر ، واللغة التي تمكّنه من التعبير والتصوير .

ومن أبرز الموضوعات التي تناولها الشاعر بالوصف : الإنسان ؛ حيث وصف الشاعر الخليفة المعتصم والوائق والمتوكّل وصفًا حسّيًا ومعنويًا ، كذلك وصف المعارك الحربيّة ، ووصف الشيب ، ووصف البخيل والغريب .

وقد ساعد عمق الثقافة عند علي بن الجهم على عمق تجربته الإنسانيّة ، فجاء شعره زاخرًا بالمعطيات الإنسانيّة من حيث تصويره لجوهر النفس ، وما يتعاقب عليها من حالات اليأس والأمل والضعف والقوة ، وغير ذلك ... فنجدّه يصور لنا إحساسه بالسجن والصلب وألم الجوى وألم الغربة .

ومن موصوفاته كذلك الحيوان فقد وصف الإبل ، والحية ، والجواد ، وكلاب الصيد ، وطائره الجارح .

ووصف الطبيعة والتي تمثّلت في وصفه للورد واللّيل والسحابة والوادي ؛ كذلك تناول المشاهد الحضريّة المتمثّلة في وصفه للقصر الهاروني ، والسفينة وملاحيتها ، ومنزل قيان .

وتناول الشاعر أيضًا وصف الأدبيات والشعر، وقد أبدع في ذلك أيما إبداع .

وشعر علي بن الجهم عامّة يمتاز ببطانة من الخصائص والفنّيّة ، منها : تنوّع معجمه الشعري ؛ حيث استقى بعض ألفاظه من الطبيعة ، وبعضها الآخر من الإنسان ومن الحرب ، كما كان للحضارة دورها في إثراء مخزونه اللغوي فوجدت لديه ألفاظ خاصّة بالخلافة والحكم ، وبالشعر والعروض ، وبالكتاب ، وبالملايس والحلي.

وللتقافة الإسلامية أثرها الواضح في معجم الشاعر ؛ حيث عمد الشاعر في بعض أبياته إلى اقتباس بعض ألفاظ القرآن الكريم . فكان معجمه الشعري يخضع لإلهامه الفطري ، وتحصيله الثقافي ، والظرف الحضاري ، والمعتقد الديني .

ومن خصائص شعره الفنّيّة أيضًا ، جمال البناء اللغوي لأبياته ، فقد وجد الشاعر في غنى اللغة العربيّة المتمثّلة في سعة الاشتقاق ، وتنوّع الصيغ ، وتعدد الجموع ، وكثرة المترادفات ؛ ما مكّنه من اصطفاء اللفظ الملائم للمعنى المراد .

واعتمد ابن الجهم على الخيال في استكمال التعبير ، فنلاحظ كثرة استخدامه للتشبيه والاستعارة والكناية ، غير أنه لا يُسرف في استعمالها .

كذلك اعتنى الشاعر بموسيقى شعره عناية فائقة ، فاهتم بالبحور والقوافي ولاعم بينها ملاءمة تترك في أذن السامع أثراً موسيقياً رائعاً .

واهتمّ بالموسيقى الداخلية المتمثلة في ما يحدثه من التكرار والتجنيس والطباق والتقسيم والتصريع ، وفي كل ذلك نغمٌ موسيقيٌّ رائع ، كان له أكبر الأثر في تجويده القريض وتفوقه فيه .

وفي نهاية هذا البحث أوصي بالأمور التالية :

١- أن يعمل الباحثون على دراسة شعر علي بن الجهم دراسة فنيّة تكشف لنا ما يتمتع به هذا الشاعر من حسّ فنيّ وعاطفة فياضة .

٢- أن يعمل الباحثون على دراسة فنّ الوصف عند شعراء العصر العباسيّ وعقد الموازنات بينهم.

٣- أن يعمل الباحثون على دراسة أجمل قصائد الوصف في العصر العباسيّ دراسة فنيّة توضح إبداعاتها.

وفي الختام أسأل الله عزّ وجلّ أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ثمّ مقبولاً من أساتذتي . والله أسأل أن يكون وليي ، هو نعم المولى ونعم النصير .

فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- أخبار أبي تمام ، لأبي بكر الصولي ، تحقيق : محمود عساكر ومحمد عبده عزام وآخرين ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، الناشر : المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- ٣- أسرار البلاغة ، لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) ، مطبعة المدني بمصر .
- ٤- الأسلوب - دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشايب ، الطبعة الثامنة (١٩٩٠م) ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية بمصر .
- ٥- الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة الخامسة (١٩٨٠م) ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .
- ٦- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب بمصر) ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر .
- ٧- أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية ، محمود مصطفى ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، المكتبة التجارية - نزار مصطفى الباز - مكة .
- ٨- الإيضاح في علوم البلاغة - المعاني والبيان والبديع ، للخطيب القزويني ، (بدون رقم طبعة وتاريخها) ، مكتبة الفيصلية بمكة .
- ٩- البداية والنهاية ، لأبي الفداء ابن كثير ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .
- ١٠- البديع في علم البديع ، ليحيى بن معطي ، تحقيق ودراسة : د/ محمد مصطفى أبو شوارب ، راجعه وقدم له : أ.د. مصطفى الصادي الجويني ، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م) ، الناشر : دار الوفاء للطباعة بالإسكندرية - مصر .
- ١١- البلاغة - فنونها وأفنانها ، د/ فضل حسن عباس ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن .
- ١٢- تاريخ ابن خلدون ، للعلامة عبد الرحمن محمد بن خلدون ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان (بدون رقم طبعة أو تاريخها) ، الجزء الأول .
- ١٣- تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، الطبعة الثانية (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ١٤- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، الطبعة الثانية (١٩٧٨م) ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .

- ١٥- تاريخ الآداب العربية ، رشيد يوسف رضا (اساروفيم فيكتور) ، تحقيق : د/ على نجيب عطوي ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر .
- ١٦- تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني ، د/ شوقي ضيف ، الطبعة الحادية عشرة ، (بدون تاريخ) ، دار المعارف بمصر .
- ١٧- تاريخ الأدب العربي - الأعرس العباسية - (الأدب المحدث : إلى آخر القرن الرابع الهجري <١٣٢هـ-٣٩٩هـ>) ، عمر فروخ ، الطبعة الرابعة (١٩٨١ م) ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .
- ١٨- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة : د/ عبد الحليم النجار ، الطبعة الرابعة (بدون تاريخ) ، دار المعارف بمصر .
- ١٩- تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر الطبري ، بدون رقم الطبعة ، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ، دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت - لبنان .
- ٢٠- تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، (بدون رقم الطبعة أو تاريخها) ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .
- ٢١- تاريخ الخلفاء ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها ومكانها) .
- ٢٢- التجربة الشعرية عند ابن المقرب ، د/ عبده عبد العزيز قلقيله ، النادي الأدبي بالرياض ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) .
- ٢٣- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد ، د/ محمد زغلول سلام ، الطبعة الرابعة (بدون تاريخ الطبع) ، دار المعارف بمصر ، <الرسالة الشافية للجرجاني> .
- ٢٤- حديث الأربعاء ، د/ طه حسين ، الطبعة التاسعة (بدون تاريخ) ، دار المعارف بمصر .
- ٢٥- الحية في التراث العربي ، د/ أحمد إسماعيل أبو يحيى ، قدم له د/ ياسين الأيوبي ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) المكتبة العصرية - بيروت .
- ٢٦- الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية (١٣٨٥هـ - ١٩٨٦م) مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٢٧- دراسات في الأدب العربي - العصر العباسي ، د/ محمد زغلول سلام ، بدون رقم الطبعة ، (١٩٩٠م) ، الناشر : منشأة المعارف بالإسكندرية .

- ٢٨- دراسات في النص الشعري -العصر العباسي ، د/ عبده بدوي ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار قباء للطباعة والنشر - القاهرة - مصر .
- ٢٩- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الطبعة الثانية (١٤١٠هـ-١٩٨٩م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر .
- ٣٠- دلالة الألفاظ ، د/ إبراهيم أنيس ، الطبعة الرابعة (١٩٨٠م) ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- ٣١- ديوان ابن الرومي ، تحقيق : د/ حسين نصّار ، (١٩٧٤م) ، مطبعة دار الكتب بمصر .
- ٣٢- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار المعارف بمصر .
- ٣٣- ديوان أبي العتاهية ، (بدون رقم الطبعة ، تاريخها ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) ، دار بيروت للطباعة والنشر .
- ٣٤- ديوان البحري ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار صادر - بيروت .
- ٣٥- ديوان بشار بن برد ، اعتنى بجمعه : السيد محمد بدر الدين العلوي ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار الثقافة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- ٣٦- ديوان علي بن الجهم ، تحقيق : خليل مردم بك ، الطبعة الثالثة (١٩٩٦م) ، دار صادر- بيروت - لبنان .
- ٣٧- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، لمحمود الزمخشري ، تحقيق : د/ سليم النعيمي ، بدون رقم الطبعة ، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، مطبعة العاني ببغداد .
- ٣٨- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ، لجمال الدين بن نباته المصري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بدون رقم الطبعة ، (١٣٨٣هـ) ، الناشر : دار الفكر العربي - بيروت - لبنان .
- ٣٩- شذا العرف في فن الصرف ، لأحمد الحملاوي ، الطبعة الخامسة (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت - لبنان .
- ٤٠- الصناعتين - الكتابة والشعر ، لأبي هلال الحسن العسكري ، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٤١- الصّورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، د/ جابر أحمد عصفور ، (بدون رقم الطبعة أو تاريخها) ، دار المعارف بمصر .
- ٤٢- الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، د/ عبد القادر الرّباعي ، بدون رقم الطبعة ، تاريخها (١٩٨٠م) ، نشر بدعم من جامعة اليرموك - إربد -

- الأردن .
- ٤٣- الصورة الفنيّة في النّقد الشعري- دراسة في النظرية والتطبيق ، د/ عبد القادر الرباعي ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ- ١٩٨٤ م) ، دار العلوم للطباعة والنشر .
- ٤٤- طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، تحقيق : عبد الستار أحمد فرّاج ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار المعارف بمصر .
- ٤٥- الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول د/ أنور عليان أبو سليم ، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م) ، دار العلوم للطباعة والنشر .
- ٤٦- العروض الواضح ، د/ ممدوح حقي ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان ، الطبعة السادسة عشرة (١٩٨٤ م) .
- ٤٧- علي بن الجهم - حياته وأغراضه الشعرية ، حسن محمد نور الدين ، الطبعة الأولى ، (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٤٨- علي بن الجهم - حياته وشعره ، عبد الرحمن رأفت الباشا ، (بدون رقم الطبعة وتاريخها) ، دار المعارف بمصر .
- ٤٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، (١٩٧٢ م) ، دار الجيل للنشر والطباعة - بيروت - لبنان .
- ٥٠- فقه اللغة ، د/ علي عبد الواحد وافي ، الطبعة السادسة (١٣٨٨ هـ- ١٩٦٨ م) ، جنة البيان العربي للطبع والنشر .
- ٥١- فنّ الوصف وتطوره في الشعر العربي ، إيليا الحاوي ، الطبعة الثانية (بدون تاريخ طبع) ، دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان .
- ٥٢- الفهرست ، لابن النديم ، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
- ٥٣- في الشعر العباسي الروية والفن ، عزالدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية (١٩٩٤ م) .
- ٥٤- في النّقد الأدبي ، د/ شوقي ضيف ، الطبعة الثامنة (بدون تاريخ الطبع) ، دار المعارف بمصر .
- ٥٥- الكامل في التاريخ ، لعز الدين ابن الأثير ، تحقيق : خليل مأمون شيخا ، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٢ م) ، دار المعرفة - بيروت - لبنان >
- ٥٦- اللزوميات لأبي العلاء المعري ، حققه وأشرف على طباعته جماعة من الأخصائيين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى

- (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) .
- ٥٧- لسان العرب ، لابن منظور ، الطبعة الثالثة (٢٠٠٤م) ، دار صادر - بيروت .
- ٥٨- لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، د/ جمال نجم العبيدي ، (بدون رقم طبعة أو تاريخها) ، دار زهران للطباعة والنشر - عمان - الأردن .
- ٥٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق د/ أحمد محمد الحوفي و د/ بدوي طبانة . الطبعة الأولى (١٣٨١هـ-١٩٦٢م) ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر بالفجالة .
- ٦٠- مجمع الأمثال ، للميداني ، تحقيق : د / جان عبد الله ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، دار صادر .
- ٦١- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، د/ عبد الله الطيب ، الطبعة الثانية (١٩٧٠م) ، دار الفكر - بيروت - لبنان .
- ٦٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لأبي الحسن المسعودي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) ، دار الفكر - بيروت - لبنان .
- ٦٣- المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم (بدون رقم طبعة وتاريخها) ، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاؤه) .
- ٦٤- معجم البلدان ، لشهاب الدين البغدادي ، تحقيق : فريد الجندي ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٦٥- معجم الشعراء ، للمرزباني ، تحقيق : د / ف . كرنكو ، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) ، دار الجيل - بيروت - لبنان .
- ٦٦- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، الطبعة الأولى ، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) ، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان .
- ٦٧- المعجم الوسيط ، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، (بدون رقم طبعة أو تاريخها) ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر - إستانبول - تركيا .
- ٦٨- من أسرار اللغة ، د/ إبراهيم أنيس ، الطبعة الخامسة (١٩٧٥م) ، مكتبة الأنجلو المصرية بمصر .
- ٦٩- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق :

- محمد الحبيب ابن خوجه ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية (١٩٨١ م) .
- ٧٠- موسيقى الشعر ، د/ إبراهيم أنيس ، الطبعة الخامسة (١٩٨١ م) ، بدون مكان الطبع .
- ٧١- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور ، د/ صابر عبد الدايم ، الطبعة الثالثة (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- ٧٢- الموشح (مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر) ، للمرزباني ، تحقيق : على محمد البجاوي ، بدون رقم الطبعة ، (١٩٦٥ م) ، دار النهضة بمصر .
- ٧٣- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب للسيد أحمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .
- ٧٤- نصوص من الشعر العباسي ، د/ عمر الأسعد ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن .
- ٧٥- النقد الأدبي الحديث ، د/ محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة - مصر ، (بدون رقم طبعة أو تاريخها) .
- ٧٦- الوافي بالوفيات ، لصالح الدين الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ، دار إحياء التراث العربي .
- ٧٧- الوصف من وضع لجنة من أدباء الأقطار العربية ، (بدون رقم الطبعة أو تاريخها) ، دار المعارف بمصر .
- ٧٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، بدون رقم الطبعة ، (١٩٧٠ م) ، دار صادر بيروت - لبنان .
- الدوريات :
- ٧٩- مجلة العرب ، ج ٩ و ١٠ ، السنة ٣٩ ، عدد الربيعان ١٤٢٥ ، تصدر عن دار اليمامة بالرياض .
- ٨٠- مجلة العرب ، ج ٣ و ٤ ، السنة ٤٠ ، عدد رمضان وشوال ١٤٢٥ هـ ، تصدر عن دار اليمامة بالرياض .
- ٨١- مجلة الفيصل ، العدد (٢١٣) ، ربيع الأول ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م تصدر من المملكة .

فهرس المحتويات

ج.....	ملخص الرسالة
د.....	A Summary of The Thesis
هـ.....	المقدمة
١.....	علي بن الجهم (..... ، ٢٤٩ هـ - ، ٨٦٣ م)
١.....	نسبه وحياته :
١٠.....	ديوانه :
١٢.....	فن الوصف في الشعر العباسي :
١٥.....	الفصل الأول : موضوعات شعر الوصف
١٦.....	أولاً : البعد الإنساني الحسيّ والمعنويّ والوجدانيّ.....
١٨.....	★ وصف الخلفاء :
١٨.....	١- وصف الخليفة بالصبح :
١٩.....	٢- وصف الخليفة بالشمس :
٢٠.....	٣- وصف الخليفة بالبدر :
٢١.....	٤- وصف الخليفة بالشمس والبدر :
٢١.....	٥- وصف الخليفة بالهلال :
٢٢.....	٦- وصف الخليفة بالنجم :
٢٢.....	٧- وصف الخليفة بالبحر :
٢٤.....	٨- وصف الخليفة بالشجاعة :
٢٥.....	٩- وصف الخليفة بفصاحة اللسان :
٢٦.....	★ وصف المعارك الحربية :
٣٠.....	★ وصف الشيب :
٣٢.....	★ وصف البخيل :
٣٢.....	★ وصف الغريب :
٣٣.....	(ب) - الوصف الوجدانيّ :
٣٣.....	★ إحساسه بالسجن :
٣٤.....	★ إحساسه بالصَّلب :
٣٥.....	★ إحساسه بآلام الجوى :
٣٦.....	★ إحساسه بالغربة :
٣٨.....	ثانياً : البعد الحيوانيّ.....
٣٨.....	الإبل :
٣٨.....	١- وصف الشكل الخارجي لها :
٤٢.....	٢- وصف سرعة الناقة :
٤٢.....	الحية :
٤٤.....	الجواد :
٤٥.....	كلاب الصيد وطائره الجارح :
٤٩.....	ثالثاً : الطبيعة والحضارة :

٤٩	(أ) وصف الطبيعة :
٤٩	★ الورد
٥٣	★ اللّيل :
٥٥	★ السحابية والمطر :
٥٧	★ وصف الوادي :
٥٩	(ب) - الحضارة :
٥٩	★ وصف القصر الهاروني :
٦٤	★ وصف منزل قيان :
٦٥	★ وصف السفينة وملاحيها :
٦٩	رابعاً : الأدبيات والشعر
٦٩	(أ) - الأدبيات :
٦٩	١- وصف المجالس الأدبية :
٧٠	٢- وصف الكتاب :
٧١	٣- وصف الرقعة :
٧٢	٤- وصف الخط :
٧٢	(ب) الشعر :
٧٦	الفصل الثاني : الخصائص الفنيّة
٧٧	أولاً : المعجم الشعريّ
٧٧	(أ) ألفاظ الطبيعة :
٨٢	(ب) ألفاظ الإنسان :
٨٦	(ج) ألفاظ الحرب :
٨٧	★ الحضارة :
٩١	★ الثقافة الإسلامية :
٩٥	ثانياً - البناء اللغويّ
٩٦	(أ) - سعة الاشتقاق :
٩٦	★ اسم الفاعل :
٩٨	★ اسم المفعول :
٩٩	★ صيغ المبالغة :
١٠٠	★ اسم التفضيل :
١٠٢	(ب) - جمع التفسير :
١٠٣	(ج) - الترادف :
١٠٣	- السيف :
١٠٤	- حدّ السيف :
١٠٤	- النوق :
١٠٥	- الصقور :
١٠٥	- العين :
١٠٥	- الأعناق :
١٠٥	- الأيدي :

١٠٧ ثالثاً - الصورة الفنيّة
١٠٧ أ/ التشبيه :
١١٣ ب/ الاستعارة :
١١٤ ★ الاستعارة التصريحية :
١١٤ ★ الاستعارة المكنية :
١١٦ ج/ الكناية :
١٢٠ رابعاً - الإيقاع الخارجي والداخلي
١٢١ (١) الإيقاع الخارجي :
١٢١ (أ) الوزن :
١٢٣ ★ بحر الطويل :
١٢٤ ★ الكامل :
١٢٥ ★ بحر المتقارب :
١٢٦ ★ بحر السريع :
١٢٧ ★ البسيط :
١٢٨ ★ الوافر :
١٢٩ ★ بحر المنسرح :
١٢٩ ★ بحر الخفيف :
١٣٠ ★ الرجز :
١٣١ ★ مجزوء الكامل :
١٣١ ★ مجزوء الرّمّل :
١٣٢ ★ المجتث :
١٣٣ (ب) القافية :
١٣٩ (٢) الإيقاع الداخلي :
١٣٩ (أ) التكرار :
١٤٢ (ب) الجناس :
١٤٤ (ج) الطّباق :
١٤٦ (د) المقابلة :
١٤٧ (هـ) التقسيم :
١٤٧ (و) التصريح :
١٥٠ الخاتمة
١٥٣ فهرس المصادر والمراجع
١٥٩ فهرس المحتويات